مصطفى محمود و أفكاره:

دراسة نقديّة

بحث جامعي

لنيل درجة الدكتوراه

تقديم

معراج أحمد

تحت إشراف

البروفيسور رضوان الرحمن

مركز الدراسات العربية والأفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي ــ الهند

٢٠١٧

مركز الدراسات العربية و الإفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi – 110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax: 91-11-2671 7525

Dated: 21/07/ 2017

Declaration

I hereby declare that the research work in this Ph.D. Thesis entitled ***"Mustafa Mahmud and His Thoughts – A Critical Study." (Mustafa Mahmud wa Afkaruhu, Dirasa Naqdiya)*** submitted by me is my original research work and has not been previously submitted for any other degree to this University or elsewhere.

21/07/2017

Meraj Ahmad
(Research Scholar)

Prof. Rizwanur Rahman
(Supervisor)

Prof. Rizwanur Rahman
(Chairperson)

Chairperson
Centre of Arabic and African Studies
SLL&CS, Annex Building
Jawaharlal Nehru University
New Delhi-110067

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبيه محمد المبعوث إلى الأسود والأحمر، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فإن هذا البحث المعنون بـ "مصطفى محمود و أفكاره: دراسة نقدية" يهدف إلى تتبع مسيرة حياة مصطفى محمود (١٩٢١- ٢٠٠٩م)، ورحلاته الفكرية، والوقوف لدى مراحل حياته العقلية الشتى حيث قيض له الله الولوج في المعارك الفكرية العديدة. وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع للدراسة نظراً إلى شخصيته التي تتلاقى فيها أمواج كثيرة من الفكر والأدب والفلسفة والتصوف والعلم، والذي مارس الفكر كأداة العقل الحر ظل يستغل هذه الأداة طوال سنوات طويلة فيما بين الشك والإيمان، نحو ثلاثين عاما، إلى أن وجد ضآلته المنشودة في القرآن الكريم، وأخرج كتابه الشهيرة "رحلتي من الشك إلى الإيمان". وبالإيجاز هذا البحث محاولة لإبراز مواقف حياته، وأعماله العلمية، والفلسفية، والفكرية، والاجتماعية، والسياسية، وتطور أفكاره في شتى مراحل حياته. وجاء التركيز على دراسة تطور أفكاره. وعلى الرغم من أعماله الشتى ظل منبوذا لدى الباحثين، لعل السبب الرئيسي وراءه هو عدم انتمائه إلى حزب سياسي خاص، أو إلى اتجاه فكري وأدبي خاص، إذ كان شخصا غير منحاز، ومن ثم رغم أعماله الضخمة، وولوج في المعارك الفكرية العديدة قلما اعتنى به الباحثون للدراسة، ومن ثم اتخذنا شخصيته وأفكاره للبحث عنها. وحاولنا تدوين المعلومات المتاحة بعد تحليل علمي دقيق إلى أن جاء البحث في أربعة أبواب ما عدا المقدمة ونتائج البحث. وخلاصة الأبواب كما يلي:

المقدمة بمثابة مدخل وانطباع عام تعطي لمحة مؤجزة عن الموضوع وشخصية مصطفى محمود وأفكار، وتبرز محتويات البحث وخلاصة القول في محتويات الأبواب باختصار.

والباب الأول "مصطفى محمود: عصره وشخصيته وتكوينه الثقافي"يحتوي على ثلاثة فصول، الفصل الأول يعطي انطباعا سريعا لعصر مصطفى محمود، وقد قسمنا عصره وقد قسمنا عصره إلى أربعة عصور؛ عصر الطفولة والبلوغ (عصر الملوك)، وعصر الشباب والكهولة (عصر جمال عبد الناصر)، وعصر الكهولة والشيخوخة (عصر السادات)، وعصر الشيخوخة (عصر حسني مبارك) ومن خلال هذه العصور الأربعة درسنا أوضاع عصره لأن لها أثر كبير في تكوينه الثقافي والفكري. والفصل الثاني يتناول "حياة مصطفى محمود وشخصيته" حيث ذكرنا مولده ونشأته، وحياة الطفولة والتعليم، وأبعاد شخصيته الفكرية والعلمية. ثم تحدثنا في الفصل الثالث عن "تكوينه الثقافي وعوامله" المؤثرة في تطوير شخصيته تطويراً إيجابياً أو سلبياً بعض الأحيان. ومن هذه العوامل الرئيسية؛ عزلته بسبب الأمراض ومكوثه طوال الساعات وحيدا والذي يساعد كثيرا في نشوء مفكر، والعامل الآخر "أحلامه" الذي رآه كثيرا وحاول تحقيقه، ولتربية أبيه في سنّه الباكر أيضا دور كبير في تنشيئته. كما ذكرنا بعض الاتجاهات والتيارات الأخرى التي أثرت في شخصيته وأفكاره، منها العوامل الاشتراكية، والمادية، والوجودية، ويوجد للثقافة الأجنبية والتصوف، والطب، وعلم الفك أيضا دور كبير في تطور أفكاره وتغييره.

والباب الثاني المعنون بـ "أعمال مصطفى محمود وانجازاته الكتابية والإعلامية والخيرية"، يتكون من ثلاثة فصول؛ الفصل الأول يبحث عن أعماله المنشورة، فقد ألف مصطفى محمود ٨٩ كتاباً في القصة، والرواية القصيرة، والكتب العلمية، والفلسفية، والاجتماعية، والسياسية، إضافة إلى الفكر الديني، والتصوف ومرورا بأدب الرحلات، واختار أسلوبا علميا وأدبيا يتميز بالقوة والجاذبية والبساطة. والفصل الثاني " أعمال مصطفى محود الإعلامية؛ الصحافية والتلفزيونية" حيث اشتهرمصطفى

محمود منذ منتصف القرن المنصرم ككاتب صحافي في مصر، بل في العالم العربي والإسلامي كله، وترك سلسلة من المقالات في الصحف والجرائد المتداولة ، وكان منتسبا إلى نِقابة الصحافة في عهد جمال عبدالناصر، وقد آثر هذه الوظيفة على وظيفته المهنية "الطب"، وعمل في روزاليوسف، وكتب للصحف العديدة الأخرى. وبجانب أعماله الصحفية المطبوعة، أنه ساهم في الإعلام الحديث المرئي التلفزيوني، وقدم نحو ٤٠٠ حلقة من برنامجه التلفزيوني الشهير "العلم والإيمان" ونالت الحلقات سمعة وشعبية داخل مصر، وخارجها. وفي هذا الفصل قمنا بتحليل بعض الحلقات على سبيل النموذج. والفصل الثالث "أعمال مصطفى محمود الخيرية" لابد من الإشارة إلى أن العمل الخيري ظل دافعا قويا لخدماته الإنسانية منذ صباه الباكر، كان دائما يفكرفي العمل لأجل الفقراء والمحتاجين والنهوض بهم إلى الرقي والتقدم- وليقضي على التطرف والإرهاب والانحراف الفكري، لأنه ظل يشاهد الشيوعية والحركات اليسارية المتطرفة الأخرى التي كانت تتحين الفرص من أجل الفقراء وتحضهم على القتال. ومن ثم أنه أنشأ "جمعية مصطفى محمود الخيرية" ، وأنشأ في داخل مبنى الجمعية مستشفى، ومكتبة عامة للاستفادة العامة. ومن خدماته الطبية وأهم ميزاته، أنه قام بتجهيزالمستشفى وعياداته المختلفة بأحدث الأجهزة والماكينات المتطورة، والتي حصل عليها من الدول الأجنبة خلال رحلاته.

وعلى هذا المنوال، أن أعمال مصطفى محمود الكتابية والإعلامية؛ من الصحافة والتلفزيون، وأعماله الخيرية كلها تدل على كثافتها وضخامتها، وقيمتها أيضًا، كان طبيبا، مارس الطب، ولكنه طرق أبواب الفكروالفن ودخلها ليقدم روائع طيبة لنا وللأجيال القادمة.

والباب الثالث الذي يحمل عنوان "تطور أفكار مصطفى محمود" بمثابة العمود الفقري" للموضوع، وهذا الباب يدور حول ثلاثة فصول؛ فصل يبحث عن تكوين مصطفى محمود الفكري ومؤثراته؛ فمن أهم عناصر التكوين الفكري المؤثرة في شخصية مصطفى محمود تتمثل في حالته البدنية وصحته، وحلمه، وخياله، وحبّه

للأساطير، وحكايته مع إمام المسجد الشيخ محمود، الذي بذر بذرة الشك الأولى داخل نفسه، وطبيعته الفكرية، وميوله العلمية، ودراسته للطب وشدة تعلقه بعلم التشريح والوقوف الطويل أمام الجثث في المشرحة والتفكير في حقيقة الموت والتأمل في الكون، والخوض في التساؤلات المعروفة لديه المتمثلة في ''من أين'' و ''إلى أين'' ثم ظاهرة الإلحاد والميمنة العلمية، والتيار المادي من الشيوعية، والعلمانية والوجودية، وحبّ الاستطلاع والاكتشاف ومحاولة تفسير الحياة، والغيب، وهاجس التفكير غير المنحاز إلى اتجاه أو مذهب معين... وعلى كلٍ، إخلاصه في الفكر، والذي يدل على إخلاصه في التفكير هو جرأته البارزة على نقد الذات الذي يتواجد في مذاكراته واعترافاته، اللهم إلا أنه بسب عدم اتقان الأصول والقواعد للعلوم الشرعية اللازمة شهد زلات و عثرات وتراجع عما عرفه وتبين له الخطاء.

والفصل الثاني من هذا الباب يتحدث عن تطور أفكار مصطفى محمود ومراحلها الشتى، فقد تشير كتابات مصطفى محمود إلى أنه كان رجل العقل والمنطق وشديدا بتمسكه بالمنهج العلمي ومن ثم استمر البحث عن الإجابة لتساؤلات حول الحياة والموت، وبناءاً على هذا شهد تقلبات عديدة ومنعطاف كثيرة في حياته الفكرية وعاش عدة مراحل من أنماط عقلية واتجاهات متنوعة وهي تتواجد شائعة في كتبه، ودراساته ومقالاته، وقصصه القصيرة، ورواياته، ومذكراته واعترافاته مع الآخرين. ومن خلال تصريحاته عرفنا كثرة تحولاته فيما يرى ويفكر حول حقيقة الحياة والموت منذ طفولته حتى آخر لحظاته من العمر. قد يمكننا متابعة تحولاته الفكرية وتطور أفكاره على مر السنين في الفترات التالية:

- فترة التدين التقليدي
- فترة الشك
- فترة الإيمان

وتتراوح التقلبات الفكرية لمصطفى على شكل رئيسي بين هذه الفترات على طول عمره. وتفصيل هذه الفترات كما يلي:

فترة التدين التقليدي: بدأت حياته من الدين والعمل بالإسلام ولكن سرعان ما تحوّل من تدينه التقليدى إلى الشك في الإيمان أو فيما اعتقده من المعتقد الديني، وقد أطلقنا عليه ''التقليدي'' لأنه لم يطبق عقله وآمن كما آمن الأطفال المسلمون الآخرون بالوراثة، ولكنه تميز باستخدام عقله وتعلقه منذ صباه الباكر.

فترة الشك: تبتدأ هذه الفترة مع قصة الصرصار. حيث بدأ يحاور ويرفض المسلمات الدينية الأولية وبدأت تحدث فجوة بينه وبين الدين وتزايدت هذه الفجوة تدريجا إلى أن قام بتكوين ''جمعية الكفار'' وهو ابن ١٢ عاماً. ومبعث شكوكه في الأديان إنما نشأ على يد شيخ (صاحب قصة الصراصير) بسبب جهله وخطأه وسوء فهمه للدين الإسلامي. كما أكبّ آنذاك الوقت على قراءة كتابات تثير الشكوك حول المسلمات الدينية على سبيل المثال كتب داروين، وسلامة موسى وشبل شميل والآخرين. وهذه الكتب كانت تغذيه على الساحة الفكرية. ويتحدى المسلمات على أساس العلمية والمادية ونظرية العلمانية التي تعرف عليها من خلال كتب الزنادقة من الفلاسفة الذين مضى ذكر آنفا. ومن هنا شهدت فترة الشك مراحل عديدة تتقلب آراء مصطفى محمود وأفكاره فيما بينها. وامتدت الفترة شوطاً طويلاً. يمكننا تقسيم هذه الفترة منذ صدور كتابه ''الله والإنسان'' إلى أربع مراحل على النحو التالي:

١- مرحلة المادية العلمانية

٢- مرحلة التذبذب وعدم الاستقرار

٣- مرحلة الطبيعة.

٣- المرحلة العليمية.

٥- المرحلة الأدبية:

وقطع مصطفى محمود هذه المراحل الخمسة حاملاً في داخله الشكوك حول المسلمات الدينية فى القضاء والقدر، والجبر والاختيار، والجنة والنار، ونوع الخلود فيهما وشكله ومظهره... كان يفكر في هذه القضايا والمسائل على أساس العلم والمنطق والفسلفة.

إلا أنه لم يكن متعصباً لموقف يختاره في مرحلة ما، بل إذا بدا له دليل أو نتيجة بعد إمعان النظر وإعادة التفكير في الموقف السالف سرعان ما يتحول إلى رأي آخر.

فترة الإيمان:

بعد رحلة مصطفى محمود الطويلة الشائكة التي ركب فيها جميع المواصلات والوسائل الممكنة بداية بالعلم والمادة والفلسفة وعلم النفس، والخوض في غمار الطبيعة؛ غاباتها وواحاتها وصحراءها، ثم بعد ذلك الأديان بداية بالفيدات الهندية والزراد شتية وانتهاءً بالأديان السماوية حتى المنتهى... القرآن الكريم وجد مصطفى محمود ضالته المنشودة الفكرية في الإسلام وبالأخص منه في التصوف الإسلامي. وهذه الفترة تبتدأ منذ عام ١٩٦٧ وتنتهى بوفاته عام ٢٠٠٩م. وفي هذه الفترة إنه كتب عدة كتب ومقالات علمية اسلامية وفلسفية صوفية. و ١٥ من ''الكنيسة''، و''الروح والجسد'' و''محمد'' و''الله'' و''الشيطان يحكم'' و''التوراة'' و''حوار مع صديقى الملحد'' و''لما ذا رفضت الماركسية'' و''الماركسية والإسلام'' و''حكايته الجامعة من الشك إلى الإيمان بشكل كتابه'' رحلتي من الشك إلى الإيمان. ومن كتبه الإسلامية ''القرآن حي كائن''، و''رأيت الله''، و''السر الأعظم'' في التصوف الإسلامي السني.

والفصل الأخير من الباب الثالث يقدم نماذج من أفكار مصطفى محمود تعكس عن أنماطه الفكرية عاش مصطفى محمود منذ صباه المبكر كمفكر ورجل المنطق، له آراء وخواطر حول مسار الحياة الإنسانية وجوانبها الشتى خاصة فيما يتعلق بالعلم والسياسة والاجتماع إضافة إلى الفكر الديني والتصوف. فقد مثّل علامة فارقة في تاريخ الأدب والثقافة والسياسة، فهو كمفكر وكاتب وأديب وفيلسوف وطبيب وفنان مصري ترك وراءه كمية هائلة من الآراء والأفكار حول معترك الحياة، وتناولنا هنا نماذج شتى من أفكاره المثيرة للإعجاب والدهشة حول "القرآن"، و"النفس والروح والجسد"، و"التصوف"، و"الحب"، و"الحرية" والسعادة"، و"تطبيق الشريعة"...

هكذا نرى أن أفكار مصطفى محمود نابع عن قريحته الفكرية المستنيرة ومنهجه الخاص الجامع بين العلم والمعرفة والمادية وغيرها من مقدمات تكوينه الفكري. ولكن

هناك بعض أفكاره التي ظلت مثاراً للجدل بل أثارت بعضها ضجة بين المجتمع المسلم.

والباب الأخير من البحث يناقش مدى قيمة أفكاره، يدور حول فصول ثلاثة؛ فالفصل الأول يقوم بتقييم أفكاره المثيرة للجدل، ومن هذه الأفكار التي حاولنا تقييمها وتحليلها أفكاره المتهمة بالإلحاد بوجه خاص من خلال كتابه "الله والإنسان"، وأفكاره حول فكرة تفسير القرآن العصري"، التي قدمها في كتابه "القرآن تفسيرا عصريا" و ما دارت من مناقشات ساخنة بينه وبين بنت الشاطئ، ومنها أفكاره حول شفاعة الرسول – ﷺ – للمذنبين يوم القيامة، التي أتى بها في كتابه "محاولة لفهم الشفاعة"، و أفكاره حول تطبيق الشريعة والإسلام السياسي" وهي أفكار كثيرة الرواج والتداول في عصره آنذاك الوقت، وأفكاره فيما تتعلق بتنبوءاته حول سقوط اليسار والحضارة الأوروبية الترفيهية، كما قمنا في هذا الفصل بتقييم أفكاره حول الأعمال الخيرية، ونشاطاته الخيرية من خلال "جمعية مصطفى محمود الخيرية"، حيث أنه كرس حياته من أجل فقراء مجتمعه واليتامى والفلاحين. وعاد بالنفع الحجم والخيرات الجمّة لصالح بلاده. إنه أنشأ المعامل الصحية والاقتصادية واطلق مشاريع خيرية لتقديم العون والمساعدة للمحتاجين والفقراء بل للعامة من الناس مقابل أجور رمزية ومجانية. ومن أهم أفكاره من خلال الأعمال الخيرية أنه فكر في محاربة الإرهاب بالتعليم ومحاربة البلطجة بإطعام الفقير وتربيته.

وفي الفصل الثاني تناولنا دراسة الشائعات والانتقادات العامة التي وُجهت صوب مصطفى محمود وأفكاره، ومن هذه الشائعات شائعة تشوّه سمعته، منها شائعة التلوث العقلى وشائعة الردة الدينية، ونوع آخر من الشائعات تضيف قدره ومكانته وهو كونه عاملا كخادم للكعبة المشرفة والقيام بخدمة الحجاج، ونوع آخر من الشائعات لحقته بآخر أيامه، وهو شائعة علاقته بالجن. وعلى هذا يمكننا تقسيم الشائعات إلى أنواع ثلاثة:

- شائعة عادية تتعلق بموته في وقت ما.

- شائعتان تشوهان سمعته.
- شائعة تضيفه قيمة وتدينا وعلاقة بالله.
- شائعة تضيفه قيمة في تقديم العون للآخرين بمساعدة الجن، والعلاقة بهم.

ومن انتقادات وردود أُتّهم بها ، هي كون "أفكاره متضاربة فيما بينها" إلى حد قد تصل إلى التناقض بعض الأحيان خاصة في تحليل القضايا السياسية، وبسبب "هيمنة العلم والمادة على أفكاره"، و "دعوته إلى التفسير العلمي"، و "خوضه فيما لايعنيه من الأفكار" ودرسنا هذه الأفكار دراسة تحليلية منطيقية.

والفصل الثالث والأخير يعنون بـ " أفكار مصطفى محمود في ميزان العلماء والمفكرين والنقاد" ويحلل ثناءهم عليه وآراءهم فيه ، ويزنها على قسطاس مستقيم.

وعلى هذا المنوال، من خلال هذه الأبواب والفصول والمباحث سلطنا ضوءا ساطعاً على أفكار مصطفى محمود وأعماله العلمية، والأدبية والفلسفية، وحددنا قيمتها مع سرد انطباعاتنا النقدية بعد تحليل عدة نماذج من كتاباته العربية بشتى أنواعها، والذي أدهشنا كثيرا في هذا، هو تطور أفكارها بشكل مستمر، حيث يتراوح بين أفكار عديدة، إذ يدع كل الأفكار بعد بعدما انكشاف نقصائها، بدون تعصب نظري أو فكري أو شخصي، وأهم المدهشات، من أفكاره أنه لم يقيد نفسه في بوتقة اتجاه ما، في حين آثر الكتاب المكوث في خيام الاتجاهات المختصة بهم، وبقى كل حزب بما لديهم فرحون، خاصة في تلك الآونة التاريخية انقسموا إلى فئتين؛ فئة اليمين، وفئة اليسار، اللهم إلا مصطفى محمود لا ينتم إلى فئة ما من الفئتين.

هكذا وصلنا إلى النهاية بعون من الله تعالى إلى خاتمة الأطروحة حيث قدمنا فيها أهم نتائج البحث التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة. فنشكر المولى القدير الذي وفقنا للوصول إلى النهاية. ولايفوتنا أن نتقدم بباقة الشكر والامتنان إلى مشرفنا وأستاذنا الجليل البروفيسوررضوان الرحمن الذي لم يدخر وسعاً إلا وبذله في إرشادنا وتوجيهنا لإعطاء الرسالة صورتها المستحقة من ناحية البحث والتحقيق، وأفادنا باقتراحاته الغالية وآرائه القيمة الغالية المشكورة وساعدنا كثيرا منذ مرحلة إعداد الخطة حتى

كتابة الرسالة. كما نقدم هدية الشكر إلى أساتذتي وزملائي الآخرين الذين ساعدوننا في إتمام هذا البحث وعلى رأسهم الأخ الدكتور عطاء الله والدكتور أختر عالم محاضر ضيف في مركز الدراسات العربية والإفريقية بجامعة جواهرلال نهرو بنيودلهي. فالشكر الجزيل لله تعالى وللجميع، فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله.

الباحث

معراج أحمد

مركز الدراسات العربية والإفريقية

جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي – 110067

الباب الأول

مصطفى محمود: عصره وشخصيته وتكوينه الثقافي

الفصل الأول: عصر مصطفى محمود

الفصل الثاني: حياة مصطفى محمود وشخصيته

الفصل الثالث: التكوين الثقافي وعوامله

الفصل الأول

عصر مصطفى محمود

وما أصدق فيما قال الفيلسوف دومييه بأن"على الإنسان أن يكون ابن عصره"[١] وطبق الناقد جلال العشري هذه المقولة السائدة في أعمال مصطفى محمود وحياته في تقديمه المعنون بـ"هذا الشاهد.. وهذا العصر! ".[٢] من خلال كتابه النقدي"مصطفى محمود شاهد على عصره". وإن دراسة عابرة لأعمال مصطفى محمود المتنوعة توحي إلى الباحث بأنه عاش طول حياته في بيئة سياسية و اجتماعية وثقافية بحيث يجده في دوّامة الأفكار المتنوعة التي تتنوع بتنوع الظروف وتتغير بتتغير الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية لمصر، وقد عرفته بأرض الثورات والتقلبات خاصة فى القرن العشرين وبالأخص منه قبيل منتصف القرن العشرين، وهو بداية عصر مصطفى محمود الذي وُلد عام ١٩٢١م وتخرج عام ١٩٥٣م من كلية الطبّ بمصر.

وعلى الرغم من احترافه الطب وكونه متخصصاً في جراحة المخ والأعصاب.فقد تفرغ للكتابة والبحث عام ١٩٦٠م، إلى أن خاض في الأعمال الخيرية والصحافة والتلفزيون، وظلّ يكافح لأجل سعادة مصر والمصريين طول حياته.[٣] إلى أن توفته المنية في الساعة السابعة والنصف من الصباح في يوم السبت الواحدوالثلاثين عام ٢٠٠٩م عن عمر ناهز ٨٨عاما.[٤]

ويدل هذه البيانات على أن مصطفى محمود عاش طفولته في دوّامة التجولات الساسية العالمية حيث الاحتلال والاستعمارالأجنبي كان جاثما على مصر، وقطع ربيع شبابه فى التحولات الداخلية والثورات العربية والقومية والحروب المتتالية بين البلدان

---

١ مصطفى محمود شاهد على عصره: جلال العشري، الصفحة البدائية(٥)،الطبعة الخامسة، دار المعارف، مصر،١٩٨٩م

٢. نفس المصدر، ص، ٧.(كلمة التقديم)

٣. مصطفى محمود: شكرا، مجلة الشباب، العدد ٣٥٤،ص ١٠_١٢، الصادر في ١ نوفمبر ٢٠٠٦م.

٤ مصطفى محمود (١٩٢١_٢٠٠٩)، Bibliotheca Alexandrina، قام بإعداده عبدالعزيز.

العربية وإسرائيل في أيام جمال الدين الناصر وعاش كهولته في حكم السادات وشيخوخته في أيام حسني مبارك.... والذي يتابع سير مصر السياسية والاجتماعية والثقافية يعرف جيدا بأن مرت في هذا العرض اضطراب وقلق.

وشهدت ثورات تلوا بعد تلو، وتداولاً شائعاً يداول الرحمن الأيام بني عباده، إلى أن أدت ثورة ١٩٥٣م إلى تحولات جذرية في فاريخ مصر بعدة مغادرة نابليون بونا برت مصر....وهذه التغيرات تتجلى في كتابات مصطفى محمود، وقد تتواجد بعض التناقضات الجلية في أعماله وأفكاره، ونري أن هذه التناقضات هي وليدة العصر وتراكم التقلبات في أوضاع مصر السياسية والاجتماعية والعقلية. يقول الناقد الكبير العشري في هذا الخصوص:

" فإن ما كتبه يعد إحساسا عميقا بالعصر الذي عاش فيه، وتحليلا حافلا بالآراء حول طبيعة هذا العصر. فاختياره للموضوعات التي تناولها يعكس الكثير من اتجاهات والاهتمامات الفكرية المعاصرة، وتناوله لهذه الموضوعات يكشف عن عقل ذكيّ حساس، ينزع نزعة إنسانية، ويجاهد للوصول إلى حّل لبعض المشكلات الحادة التي تؤرّق ضمير الإنسان الحاضر".[١]

وقد قارن الناقد على وجه إجمالي بين البيركامي ومصطفى محمود في عكس الحياة المعاصر في كتاباتهما، قائلاً:

"إن مصطفى محمود في حقيقته لهو رقيب وشاهد على هموم و مشاق عصره، مثلما كان البيركامي رقيباوشاهداً هو الآخر".[٢]

واذا ثبت أن مصطفى محمود يستقي مواده لأعماله و أفكاره في أرضه وعصره فلا بدّ لنا فى البحث عن عصره والخوض في التقلباب السياسية والاجتماعية والعقلية التي حدثت فيه، والتي تمخضت عنها المشاكل والتيارات الفكرية والعلمية وأثرت في تفوس الكتّاب والقادة والباحثين والشعب المصري على وجه عام.

---

[١] - مقدمة على المجموعة القصصية" أكل عيش" لمصطفى محمود: جلال العشري، ص١١، دار المعارف، مصر.

[٢] - نفس المصدر، ص١١-

وقد ذكرنا فيما مضى أن مصطفى محمود عاش طفولته و عنفوان شبابه قبل تخرجه في كلية الطب عام ١٩٥٣م، إلا أنه بدأ يعمل كصحفي قبله. يعني هذا، النضوج الفكري بدأيتقوى فيه الأربعينات، وبلغ قمة النضوج في مصر جمال عبد الناصر وبدأ يشيع في الشعب المصري.على هذا، يمكننا أن نوزع عصر مصطفى محمود في الطبقات التالية:

- عصر الطفولة والبلوغ (عصر الملوك)
- عصر الشباب والكهولة (عصر جمال عبد الناصر)
- عصر الكهولة والشيخوخة(عصر السادات)
- عصر الشيخوخة(عصر حسني مبارك)

وفي هذه العصور قطع مصطفى محمود مشوار حياته المختلفة منذ طفولته حتى وفاته عام ٢٠٠٩م، وبعد ثلاث سنوات عن وفاته تمت تنحية حسني مبارك عن الحكم المصري.

والآن نريد أن نتحدث بشئ من التفصيل، ومن خلاله نسلط الضوء على أوضاع عصره السياسية والاجتماعية والثقافية.

- **عصر الملوك:**

ولد الدكتور مصطفى محمود في عهد الملك فؤاد الأول وهو ابن إسماعيل باشا بن إبراهيم باشا بن محمد باشا الذي تولى مهام السلطة في ٩ اكتوبرعام ١٩١٧م كخليفة الاستعمارالبريطاني على عرش سلطنة مصر.وفي نهاية ١٩١٧م أنشأ القائد الوطني سعد زغلول حزبا سياسيا باسم"حزب الوفد" والذي قاد ثورة شعبية ضد الاحتلال البريطاني في مارس ١٩١٩ ولكنها لم تظفربنجاح كبير، واضطر الانجليزإلى رفع حمايتهم عن مصربمقتضى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م الذي سبق الاعترف فيه بمصر كدولة مستقلة ذات سيادة مع تحفظات، من قبل الاستعمار البريطاني.

وفي عام ١٩٢٢م تحت ضغطوط الجهات الوطنية انتهت الحماية البريطانية. وعلى هذا، أصدر السلطان فؤاد أمراً يعلن نفسه فيه ملكا على مصر وتم إعلان أول

دستور لمصر في ١٩ أبريل ١٩٢٣م، وعاد الزعيم سعد زغلول في منفاه إثر فشل ثورة ١٩١٩م، واشترك فؤاد في الانتخابات البرلمانية لعام ١٩٢٤م، حيث فاز حزبه بأغلبية ساحقة ونجح في تأليف أول وزاة شعبية برئاسته، توفي سعد زغلول عام ١٩٢٧م فتولى "النحاس باشا" برئاسة الحزب... إلى أن توفي الملك فؤاد واستخلفه الملك فاروق الأول في نفس السنة ١٩٣٦م. ومن أهم تطورات النحاس باشا أنه قام بعقد معاهدة في ٢٦ أغسطس ١٩٣٦م، والتي أدت إلى تحقيق النجاح للمصريين وانخفاض الضغط البريطاني، ولكن أقال الملك فاروق وزارةَ النحاس باشا في نهاية ١٩٣٧م. وبعد سنوات قليلة بدأت الحرب العالمية الثانية وعندما رأي المستعمرون ميلان المصريين وركونهم إلى الجيش الألماني واستعدادهم لاستقبلال الألمانيين في مصر لانوا، وسمحوابعض الحقوق الدستورية للمصريين، ولكن عندما وضعت الحرب أوزارها عادوا كالعادة إلى الغدر عام ١٩٤٤م، وسمحوا الملك فاروق العودة إلى الحكم وتحليل وزارة النحاس فقامت مظاهرات عنيفة، فلجأوا إلى القتل والاعتداء على المتظاهرين ... وكان الفساد السياسي على قمته إذ نشبت الحربين العرب ومصر على رأسها، وإسرائيل عام ١٩٤٨م وانتهت بهزيمة العرب هزيمة النكراء لأن الفساد وعدم الاستقرار السياسي والتلاعب بين الوزارات والمندوب البريطاني وغبرها من نماذج الفوضى السياسية لم تنج المصريين فرصة لاتخاذ استرتيجية حربية فعّالة. وقد ذاق الجيش المصري ويلات هذه الحرب ومرارة الانهزام فثار ضد هذه الفوضى، وزهف الجيش في ٢٣ يوليو ١٩٥٢م نحوالقاهرة وسيطرعليها وقام بتأليف مجلس الثورة واجبروا على التنازل عن الفرش لإبنه الطفل أحمد فؤاد الثاني في قصر رأس التين في ٢٦ يوليو ١٩٥٢م، وغادرالملك البلاد لإيطاليا وتوفي هناك عام ١٩٦٥م. وظلت حالة السياسة الوطنية تتحسن إلى أن تم إعلان نظام جمهوري في مصر في ١٨ يونيو لعام ١٩٥٣م، وعين محمد نجيب أول رئيس للجمهورية وجمال عبد الناصر نائباً لرئيس الوزراء ووزيرالداخلية... هكذا انتهى عصر الملوك والاحتلال الأجنبي في تاريخ مصر.

وعندما نتعمق في الأوضاع الاجتماعية والثقافية في ظل هذا الوضع السياسي القلق نصل إلى نتيجة أن الفوضى والاستغلال،والاحتلال وغيره من وسائل الاستغلال قضت على البنية الاجتماعية والثقافية كما يعكس الدكتور جمال محمد سعيد صورة الوضع الاجتماعي والثقافي لهذا العصر فائلا:

"كان مجتمع ما قبل الثورة مجتمعا يسوده التفاوت الطبقيا لعميق مما أدى إلى فقدان الشعب لحقوقه ولكرامة الإنسان. وكان الظلم والعسف والاستغلال الاجتماعي يشهده المواطنون الشرفاء عنيفاً إلى حدّ لم تشهده دولة فى العصر الحديث، كما نتجت الاحتكارية عن هيمنة القوى الاقتصادية وتحكمها. ساد التخلف الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الرهيب انعدام تكافؤ الفرص. باختصاركان مجتمع ما قبل الثورة مجتمعاً يقوم على الفساد والطغيان والظلم والاستبداد، والاستغلال، والانتهازية، والامتيازات الطبقية، وخداع الشعب تحت ستار الديمقراطية المزيفة"[١].

ولعل السبب يعود إلى تراكم عناصر الاستغلال في هذا العصر، من الاستعمار الغاشم، والإقطاعية والرأسمالية وطبقة السادة الأخرى من الأتراك والمماليك والمصريين وعدم الاستقرارالسياسي لم يتح لهم فرصة في إصلاح ما فسد من القيم الاجتماعية، ولا يعني هذا، بأنه لم يشهد هذا العصر تطورات جملة وتفصيلاً، بل لا مانع من اعتراف بعض التطورات الثقافية والعقلية منذ محمد علي، والتي أصبحت أساساً قامت عليه النهضة الحديثة في مصر.

- **عصر جمال عبد الناصر**:

مع نجاح ثورة يوليوعام ١٩٥٢م، يبتدأ عهد جمال عبد الناصر في الحكم الديموقراطي المصري. حيث عين مجلس قيادة الثورة محمد نجيب رئيس الوزراء، وجمال عبد الناصر نائبه، ولكن نشتت الخلافات بين نجيب وبين مجلس قيادة الثورة، وعندما تنامت الخلافات وضع جمال عبد الناصر رئيس الوزراء تحت الإقامة الجبرية

---

[١] - الاشتراكية العربية ومكانتها في النظم الاقتصادية: جمال الدين محمد سعيد، ص٤٥.

إلى أن استقال نجيب في ١٤ نوفمبرعام ١٩٥٤م، فتولى عبد الناصر برئاسة الوزراء ثم رئيس الجمهورية إثر استفتاء شعبي جرى عام ١٩٥٦م.

ومن أهم التطورات السياسية في مصرأنه اتخذ سياسات المحايدة خلال الحرب الباردة والتي أدت إلى توتر العلاقات مع القوى الغربية خاصة البريطانيا وفرنسا، فسحبت هذه القوى تمويلها لمشروع سدّ أسوان في ضوء انسحاب القوات البريطانية الأمريكية، وردّ عبد الناصر عليه بتأميم شركة لتمويل المشروع في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦. ولقى إعلان التأميم تأييدا حارا من قبل الشعب المصري، بل في جميع أنحاء العالم الثالث. ولكن رأت فرنسا والمملكة المتحدة أن تأميم قناة السويس عمل عدائي من قبل الحكومة المصرية، وكانتا أكبر دولتين مساهمتين في شركة قناة السويس، فقد جرت اتفاقية سرّية بين المملكة المتحدة وفرنسا وإسرائيل للإستيلاء على قناة السويس، واحتلال بعض أجزاء مصر وإسقاط الحكومة الناصرية، وبالرغم من أنه اجتمع مجلس أمن الأمم المتحدة في أوائل اكتوبر، لقاء ابشأن مسألة تأميم القناة من قبل الحكومة المصرية، فاتخذ قراراً بالاعتراف بحق مصر في السيطرة على القناة شريطة أن تسمح بمرور السفن الأجنبية من القناة، عبرت القوات الإسرائيلية شبه جزيرة سيناء في ٢٩ اكتوبر١٩٥٦م، وتقدمت إلى أهدافها، وبعد يومين، قصفت الطائرات البرطانية والفرنسية المطارات المصرية في منطقة القناة...وفي هذه الحرب قتل نحو ٢٠٠ جندي وتم القبض على ٥٠٠٠ جندي مصريمن قبل الجيش الإسرائيلي، إلاّ أن جمال عبد الناصر لم يستسلم بل تولى القيادة العسكرية ووزع الأسلحة على المتوعين المدنيين ومئات من الميلشات، وأغارت القوات البريطانية والفرنسية على بورسعيد حيث بلغ عدد القتلى من ٧٥٠ إلى ١٠٠٠ مصري مرة أخرى... إلى أن تدخلت إدارة أيزنها والأمريكية الغزو الثلاثي وبحلول نهاية شهر ديسمبر انسحبت القوات البريطانية والفرنسية تماما عن مصرفي حين تم انسحاب القوات الإسرائيلية في مارس ١٩٥٧م، وأطلق سراح جميع أسراء الحرب المصريين ... وقد أدى موقف عبد الناصر تجاه

الغزو الثلاثي إلى شعبية ويقول أنثوني لوتنغ أن أزمة قناة السويس هي التي جعلت ناصرا أخيرا وبشكل كامل رئيسا لمصر[١].

وذاعت سمعته كقائد عربي وتزايدت الدعوات إلى الوحدة العربية والتي تحققت بشكيل الجمهورية العربية المتحدة مع سوريا (١٩٥٨-١٩٦١). وفي ٢٤/ فبرائر١٩٥٨م سافر إلى دمشق، حيث تم ضم شمال اليمن في الجمهورية الجديدة، ووافق جمال على إنشاء نظام فدرالي مع اليمن وسوريا باسم "الدول العربية المتحدة"، وتم إصدارُ دستورٍ جديدٍ مؤقتٍ أعدته الجمعية الوطنية (المكونة من ٦٠٠ عضو، ٤٠٠ من مصر، و٢٠٠ من سورية) وقاموا بتحليل جميع الأحزاب السياسية وبقي جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء وعين نائبيه في كلا الجانبين، البغدادي و عامر في مصر، وصبري العسلي وأكرم الحوراني في سوريا[٢].

وفي يوليو ١٩٦١م بدأت سلسلة من القرارات الاشتراكية والإصلاحات التحديثية في مصر، منها تحديد ملكية الأرض الزراعية بمائة فدان للأسرة وتلأميم المؤسسات الكبري ومنح العمال والفلاحين مزايا ثورية. وفي مايو ١٩٦٢م أسس الاتحاد الاشتراكي. وفي ١٩٦٤م جاء دستور جديد، وهو العام الذي أصبح فيه رئيساً لحركة عدم الانحياز الدولية. وظلت مصر تحت قيادته بعد انتخابه رئيساً للوزراء في مارس ١٩٦٥م بدون معارضة.

وفي أوائل ١٩٦٧م، حذر الاتحاد السوفيتي جمال عبد الناصر من هجوم إسرائيلي وشك على سوريا، إلاّ أن رئيس هيئة الأركان محمد فوزي وصف ذلك التحذير بأنه " لا أساس له من الصحة"[٣]، ولكن ثبت الصحة في صباح ٥/ يونيو عندما ضرب سلاح الجو الإسرائيلي القواعد الجوية المصرية في أول يوم ودمر جزءاً كبيراً منها واحترقت مدرعة إسرائيلية خطوط الدفاع المصرية واستولت على مدينة العريش...

---

١. http:// www.egyptian characters.ml/04/blog- post_20.html

٢. نفس المصدر

٣. نفس المصدر.

وفي هذه الحرب التي دامت ستة أيام استولت إسرائيل بسهولة على سيناء وقطاع غزة من مصر، والضفة الغربية من الأردن، وهضبة الجولان من سوريا... وترجع اللجنة التنفيذية العليا المشرفة على أوضاع الحرب سبب الهزائم المتكررة إلى التنافس بين جمال عبد الناصر وعامر والعجز الكلي لعامر[١]، وفى التاسع من يونيو أعلن جمال استقالته على التلفزيون وتنازل عن السلطات إلى نائبه زكريا محي الدين، إلاّ أن أنصار والمتعاطفين معه خرجوا متظاهرين مطالبين تراجعه، فتراجع ناصرعن قراره فى اليوم التالي، وقام بتعديل جذري في الرامج السياسية والاقتصادية العديدة، حيث عيّن نفسه رئيساً للوزارء بالإضافة إلى منصبه كرئيس للجمهورية. وفي يناير ١٩٦٨م قام بشنّ حرب الاستنزاف لاستعادة الأراضي المفقودة في حرب ١٩٦٧م، وعندما ردت إسرائيل على الهجمات المصرية بغارات الكوماندوز، أوقفت ناصر جميع الأنشطة العسكرية لبناء شبكة من الدفاعات الداخلية بعد أن تلقي دعماً مالياً من مختلف الدول العربية فأستأنفت الحرب في مارس ١٩٦٩م، إلاّ أنه في حزيران ١٩٧٠م تقبل حكومة مصر مبادرة روجزز التي ترعاها الولايات المتحدة، والتي دعت إلى وضع حد للأعمال العسكرية والانسحاب الإسرائيلي من الأراضي المصرية.

وأدت هذه الحرب إلى توترات بين منظمة التحريرالفلسطينية والحكومة في الأردن، ودفعت المخاوف من حدوث حرب إقليمية، فقد سارع جمال عبد الناصر إلى عقد القمة العربية الطارئة في ٢٧سبتمبر لإخماد هذه التوترات، وبعد اختتام قمة جامعة الدول العربية سنة ١٩٧٠م، تعرض لنوبة قلبية وتوفى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م.

وبالإضافة العمليات العسكرية نرى عصر جمال عبد الناصر يتميز باجراءات الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية. حيث كان يؤمن بالاشتراكية الديمقراطية التعاونية، وكمبادرة اقتصادية أمم كل ما تبقى من الشركات البريطانية والفرنسية في مصر بحلول نهاية ١٩٥٧م، ثم أمم مزيدا من الشركات وجعلها جزءا من منظمة

---

[١]. نفس المصدر.

التنمية الاقتصادية، وقد أدى هذا التأميم إلى الحوافز الضريبية وجذب الاستثمار الأجنبي، وبه ازداد الإنتاج الزرعي والاستثمار، وفي ظل حكومته تم إنشاء مصانع الصلب بحلوان، والتي أصبحت فيما بعد من أكبر المشاريع. وكان الوضع الاقتصادي أكثر إيجابية مع نمو الناتج المحلي الإجمالي إلى ٤،٥ في المائة، والتقدم السريع للصناعة.

ومن أهم تقلبات هذا العصر أنه تم تأميم الصحافة المصرية في عام ١٩٦٠م، من أجل توجيه التغطية نحو القضايا الاجتماعية والافتصادية في البلاد وحشدا لتأييد الشعبي للتدابير الاشتراكية التي اتخذها[١].

كما أصدرت قوانين إصلاحية جديدة أخرى لوضع الحد الأدنى لأجواء العمال، وتحديد أسهم الأرباح بالنسبة لهم، والتعليم المجاني والرعاية الصحية بدون مقابل، وتخفيض فترات الدوام، والتشجيع على المشاركة فى الإدارة، وقد كفل قانون الإصلاح الزرعي أمن المزارعين المستأجرين وبه بدأ ينمو الانتاج الزراعي، وتشير المصادر إلى أنه نتيجة لتدابير سنة ١٩٦٢م وصلت ملكية الحكومة من الشركات المصرية إلى ٥١%.[٢]

ولكن الحروب المتتالية والدكتاتورية أدت إلى قلق اجتماعي واضطراب نفسي وتدهور اقتصادي، ومشاجراته مع زملائه ومحاولاته للتغلب عليه أدت إلى الإنهزام والشعور بالارهاق النفسي. وبالإضافة إلى ذلك، أنه ضاق الخناق على الجماعات الإسلامية، هذا الذي حبس الزعيم الروحي سيد قطب باتهام التخطيط لاغتياله، والذي أعدم في عام ١٩٦٦م. كما أجبرعلى أعظم قائد ثورة ١٩٥٢م محمد نجيب على الإقالة، ويمينه عامر، والذي انتحر من أجله. ومن ثم نرى الناس في فئتين: فئة تعتبره رمزاً للكرامة والوحدة العربية والجهود المناهضة للإمبريالية، وفئة تصفه بالمستبد، وفتك الحقوق الإنسانية، وقمع وتقييد الصحافة. حيث تشير المصادر إلى أنه اتخذ الصحافة

---

[١]. نفس المصدر.
[٢]. نفس المصدر.

أداة لسياساته وأقال وحبس الصحفيين الذين انتقدوه أو خالفوا سياساته. وهنا نقف بعض الوقفات لدى مصطفى محمود ورأيه عن هذا العصر وزعيمه جمال عبد الناصر.

فيما يلي:

يرى الدكتور مصطفى محمود أن الفترة الناصرية التي عاشها مصؤ فترة ديكتاتورية وأن الناصر قام بتحرير المصريين كي يستعبدهم.[١]

وقد عاش مصطفى محمود هذه الفترة حياة مريرة، بدأت المرارة عندما كتب مصطفى محمود مقالتين حملتا عناوين" هتلر والنازية- سقوط اليسار" و " الخروج من مستقنع الاشتراكية" ثم نشرهما على التوالي في "روز اليوسف" وقد شنّ حملات شعواء فيهما ضد عبد الناصرلأنه ظل جاثما على قيادة الثورة منذ البداية، وأجبر الآخرين على التنازل عن الحكومة، ونشر العمل المخابراتي في البلاد وحمّل الحروب وويلاتها على الشعب... وقد نتج المقالتان عن حرمانه عاماكاملا من الكتابة حيث أصدر جمال عبد الناصر أمرا يمنعه من الكتابة، وقد أدى الحظر إلى كبت نفسي وتأثير نفسي بالغ عليه حتى اطلق على فترة المنع بـ"عام في المنفى".[٢]

وفي هذا العام كتب ثلاثة مسرحيات، وهي الإسكندرية الأكبر، والإنسان والظل، والزلزال، حيث جسّد فيها الظلم والاستبداد الذي كان تعيشه مصر وقتذاك، إلاّ أنه لم يتمكن في نشرها إلابعد وفاة الناصر... وعاد إلى الكتابة بعد سنة بفضل الصحفي الكبير محمد حسنين هيكل الذي توسّط في إنهاء الخصومة. وكان الناصر ينفر لمصطفى محمود حتى قال ذات مرة لطبيبه الخاص د.أنور مفتي- وهوكان صديقا لمصطفى محمود- "الوداده ملحد وخطر- في إشارة لمصطفى محمود".[٣] يعني أنه ملحد وخطر على الحكومة.

---

[١] . الحلقة الخامسة: عبد الناصر كان مصاباً بجنون العظمة، من مذكرات مصطفى محمود، جمعها وقدمها حمدي، وتم نشرها على موقع منتديات المنار التعليمية، يمكن الإطلاع عليها وتحميلها انطلاقا من الموقع الألكتروني التالي:

http://www:manar 9.com/ t2660- topic# ixzz3cQKL9ch

[٢] . نفس المصدر.

[٣] . نفس المصدر.

يعبر الدكتور رأيه عن هذه الفترة في مقالتهما المذكورتين آنفا، والذي في نشرهما مرة أخرى مع تعديل بعد أن توفي عبد الناصر، في وسط الثمانينات في عهد أنور السادات. كما يقول:

" كما أن هناك من يقولون إن عبد الناصر ليس مسئوولاً عن الفساد والتدمير والإهمال والرشوة والخراب الذي وصل بنا إلى ما نحن فيه وهم يعلمون جيداً أن الفساد ما ولد إلاّ في حكم عبد الناصر الذي غابت فيه الحرية، وقطعت الألسن، وقصفت الأقلام وسادت مبادئ النفاق والانتهازية وحكمت مراكز القوى وانطلقت عصابة القتل تبعث فى الأرض فساداً وما ولد الإرهاب الذي نعاني منه اليوم إلاّ في زنازين التعذيب في السجن الحزبي بأمر وإشراف عبد الناصر فقد تسبب عبد الناصر وحكمه في هزيمة منكرة وأرض محتلة ومصر صغيرة أصغر مما ورثها عبد الناصر بمقدار سيناء وبمقدار حجم السودان كله ثم يظهر أحمد بهاء الدين. يقول إن عبد الناصر ترك الخزانة مدينة بأقل من ألف مليون."[1]

ويدل قوله على أن الفساد والتدمير والإهمال والرشوة والخراب، وغياب الحرية، وقمع الصحافة، والنفاق، والانتهازية، والتعذيب، والفساد في الأرض، والاستيلاء على الأراضي المصرية من قبل القوات الإسرائيلية والتدهور الاقتصادي... كله من مظاهر هذا العصر الذي حكم فيه جمال عبد الناصر في مصر.

ويدلي رأيه في الإجراءات الإصلاحية وينبّه على أخطاء جمال عبد الناصر وما لقيت بها مصر من خسارة، قائلاً:

"... والقناة التي أممها ردمها ..والوحدة التي أعلنها مع سوريا رفضتها سوريا.. والاستراكية التي تصورها راية قومية تجمع العرب تحولت إلى معركة تفرقهم.. ومجانية التعليم انتهت إلى حال لا هو مجانية ولا هو تعليم.. والإصلاح الزراعي هبط

---

[1]. الحلقة السادسة: الديكتاتورية عبدالناصر (من مذكرات مصطفى محمود) جمعها وقدمها د. حمدي، للإطلاع عليها نرجو زيارة موقع منتديات منار التعليمية، التالي:
.http://manar9.mam9.com/t2664-topic#ixzz3e9QTPrG5

بالزراعة حتى جاء اليوم الذي أصبح فيه القمح يأتينا تبرعاً من أخوة لنا في السعودية خضروا الصحارى وزرعوها دون اشتراكية أو شعارات ..وأخيرا انتهى عبد الناصر وانتهت سياسته إلى الهزيمة والخراب الاقتصادي وجميع أفكاره أخذت حظها من الامتحان وسقطت ".[١]

وبه فشلت معظم مشاريع عبد الناصر ولم تأت بخيراتها حتى تأميم القناة، والوحدة العربية، ولا اشتراكية، ولا الإصلاح الزرعي... بل أصبحت مصر وأبناءها يعتمدون على خيرات تأتي من الخارج، فذهبت هتافات الاشتراكية البراقة وشعاراتها سدى، وفي النهاية تنفس عبد الناصر انفاسه الأخيرة والهزيمة والخراب الاقتصادي وأنواع الفشل الأخرى بقيت تركة له.

كما أطلق على حرب الاشتنزاف لأجل استعادة الأراضي من براثن الإسرائيل التي فقدها مصر خلال الحرب، بأنه إهداء استنزاف بلا عائد وأنه أدى إلى هجرة الفلاّحين، من الريف وأنها أدت إلى اختلال البنية الاجتماعية. ويبدي رأيه عن القرارت الاشتراكية التي اتخذها عبد الناصر قائلاً:" أخطاء القرارات الاشتراكية التي أعلنت في الستينيات ألقت البلاد في مستنقع من التناقضات والصراعات والعقم الاقتصادي والتدهور الإنتاجي..".[٢]

١ هذه بعض الانطباعات التي أبدى بها مصطفى محمود عن الحكم الناصري، ومن خلالها وصلنا إلى بعض الأوضاع الاجتماعية والثقافية والعقلية لمصر، ونرى أن أحداث هذا العصر ساهمت كثيراً في تكوين أفكار مصطفى محمود إلى حدّ كبير، وأنه في معظم الأحيان يستقي المواد لكتابتها من أحداث هذا العصر أو مما أدى هذا لعصر من نتائج ظهرت أثراتها فيما بعد.

- **عصر السادات:** يعتبر عصرالسادات من أزهى العصور بالنسبة لمصطفى محمود، وفي الفترة التي حكمها السادات سنحت له فرصة للمارسة العقلية

---

[١]. نفس المصدر.
[٢]. نفس المصدر.

والفكرية من خلال الكتابات الحرة والأعمال الخيرية والصحفية والتلفزيونية. وقد ولد الرئيس محمد أنور السادات في قرية ميت أبوالكوم مركز تلا المتوفية. وتخرج من كلية الحربية عام ١٩٣٨م، وعينّ بسلاح الإشارة.ولعبت دورا بارزاً في ثورة يوليو ١٩٥٢م، وعيّن وزيراً للدولة عام ١٩٥٤م ثم سكريترا للاتحاد القومي عام 1959 م، كما مارس رئاسة لمجلس الأمة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٨م. وتم تعيينه كنائبٍ لرئيس الجمهورية وعضو بمجلس الرئاسة عام ١٩٦٤م. وانتخب عضواً باللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربية وأميناً للجنة القومية السياسية في سبتمبر عام ١٩٦٩م. ويبتدأ العصر الساداتى في المعنى الكلي منذ توليته كرئيس للجمهورية بعد وفاة جمال عبد الناصر في أكتوبر ١٩٧٠م.[١]

ومن أهم التحولات السياسية لعصر تبتدأ بثورة التصحيح حيث اتخذ السادات قراراً حاسماً بالقضاء على مراكز القوى قي مصر في ١٥/مايو ١٩٧١م وأصدر دستوراً جديداً وأعاد الحياة الديمقراطية في البلاد، والتي وعدتها ثورة يوليو ١٩٥٢م، حيث أصدر أمراً يوجب عودة الحياة الحزبية في عام ١٩٧٦م، وظهر أول حزب سياسي " الحزب الوطني الديمقراطي" بعد الثورة.

ومن قراراته الحاسمة أنه أقال ١٧٠٠٠ خبير روسي في أسبوع واحد في عام ١٩٧٢م، والذين دعتهم الحكومة السابقة مع أن السوفيت كان عتباءً كبيراً على الجيش المصري، كما كان هولاء الخبراء الروس معيقين للعمليات العسكرية المصرية خلال حرب الاستنزاف في عصر عبد الناصر وكان عدد منهم يتجسسون لحساب إسرائيل، ونرى أنهم كانوا من أقوى العوامل في انهزام مصر في الحرب ضد إسرائيل العديدة.

---

[١] . مقال مستفيض منشور على موقع أبناء شباس عمير،بعنوان" تاريخ مصر الحديث" (التاريخ المصري الحديث من عهد محمد علي وحتى الآن، يمكن الإطلاع عليه من خلال الرابط التالي: (http://www.egypty.com/egyptana/egyptian_%20modern_%20history.asp)، مؤرخا: ٢٠١٦/٨/١٢م.

وإنه قاد وخطط لحرب ١٩٧٣م ضد إسرائيل التي بدأت في السادس من أكتوبر عندما استطاع الجيش المصري كسر خط بارليف وعبور قناة السويس وبه حازت مصر بأول انتصار عسكري على إسرائيل.

وكمبادرة إصلاحية اقتصادية إنه قرار عام ١٩٧٤م على رسم معالم جديدة لنهضة البلاد بعد الحرب بانفتاحها على العالم واتخذ قرار الانفتاح الاقتصادي.[١] وفي عصره تحت مبادرة عملية السلام بين مصر وإسرائيل على وجه خصوصي ولإقامة السلام في الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان. ولتحقيق السلام قرر الرئيس في ١٩ نوفمبرعام ١٩٧٧م، لزيارته للقدس وبالتالي سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في ١٩٧٨م، من أجل التفاوض لاستعادة الأراضي المصرية المحتلة من قبل إسرائيل، ولتحقيق الأمن والسلام في منطقة الشرق الأوسط، وفي هذا الخصوص وقع على اتفاقية السلام برعاية الرئيس الأمريكي جيمي كارترفي كامب ديفيد كما وقع معاهدة كامب ديفيد للسلام مع الرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء الإسرائيل، ولأجل هذه المبادرة حاز السادات بجائزة نوبل للسلام مناصفة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي"مناميم بيجم" وقتذاك.... إلا أن هذه المبادرة لقيت معارضة شديدة في العالم العربي وقاطعت الدول العربية علاقاتها الودية والدبلوماسية مع مصر باستثناء سلطنة عمان، والسودان، والمغرب. وعلقت عضويتها في جامعة الدول العربية ونقل مقرها الدائم من القاهرة إلى تونس.(إلا أن) وبالرغم من هذه الضغوط استمرت مصر في مسيرته السلمية مع إسرائيل،وفي التسعينات سلكت معظم الدول العربية سبيلها قي دفع عجلة السلام مع إسرائيل بل وتسابقت في عقد اتفاقات اقتصادية وعسكرية ما عدا العراق، والجزائر، وسورية.

في أواخر أيامه بل بالضبط بحلول خريف عام ١٩٨١م، شهدت مصر سياسة العنف والقهر والكبت حيث قامت الحكومة بحملة اعتقالات واسعة شملت المنظمات الإسلامية

---

[١] - مقال منشور على موقع صحيفة الأهرام الرقمية، بعنوان" محمد أنور السادات"، على الرابط التالي:
http:tt// digitalachram.org eg/articles.aspx? serial= 6363.55eid=264

والكتاب والصحفيين ومفكرين ذوي الاتجاه الليبرالي واليسار، ووصل عدد المعتقلين في السجون نحو ١٥٣٦ معتقلاً.[١]

مع أن السادات كان يكره الاعتقالات، لمرارة الحياة في السجن، حث اعتقل أكثر من مرة بسبب نشاطه السياسي قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م.

هذه هي أهم التحولات السياسية والاقتصادية، ومن خلال تأثيراتها نرى فئتين، فئة ترى الرئيس السادات من أكثر الزعماء جرأة وواقعية في التعامل مع قضايا المنطقة وأنه انتشل مصر من براثن النظام البولسي وأثبت النظام الديمقراطي ودفع بالاقتصاد المصري نحو التنمية والازدهار، وفئة ترى أنه قوّض المشروع القومي العربي، وحيّد الدور الإقليمي المصري في المنطقة وقضى على مشروع النهضة الصناعية والاقتصادية ودمّر قيم المجتمع المصري.[٢]، وتحول الاشتراكية إلى الرأسمالية حيث تولى قبلته السياسية نحو أمريكا، عاصمة الليبرالية الرأسمالية بعد ما ظل عبد الناصر يركن إلى بلاد اليسار، وعلى رأسها روس، وكان خروتشوف من مستشاره الكبير. كما تبدلت سياسة مصر الخارجية بالنسبة للقضية الفلسطينية وفوّض أمرها إلى الفلسطينين.

وأما فيما يتعلق بموقف مصطفى محمود عن هذا العصر، فهو يختلف تماماً عن العصر السابق، لأنه كان يحب السادات جداً.[٣] وقد عرض الرئيس السادات عليه وزارة ولكنه رفض قائلاً:" أنا ياريس بكل صراحة فشلت في إدارة أصغر وحدة في المجتمع، وهي زواجي تتصور أنني يمكن أن أنجح في إدارة مؤسسة كاملة توي آلافاً من الموظفين، والأدهي أن أتحمل مسئوولياتها الاجتماعية وأتحاسب على إللى حقيقته وإللى فشلت فيه قدام ربنا.".[٤] وقال له الرئيس ذات مرة " أنت يا مصطفى إنسان مفكر وخلفيتك الثقافية

---

١ المصدر السابق.

٢. نفس المصدر.

٣ - الحلقة الرابعة عشر: أيامي مع السادات، من مذكرات مصطفى محمود، يوم الأحد٢٧ يونيو،٢٠١٠م، ٩:٥٦ صباحاً، جمعها وقدمها حمدي، على موقع منتديات المنار التعليمية.للإطلاع عليها نر جو زيارة الرابط التالي: .http://mamar9.mam9.com/t2676-topic#ixzz3e9Rb9TX0

٤ - الحلقة الخامسة عشر: أنا والسادات والجماعات الإسلامية، الأحد ٢٧، يونيو٢٠١٠م، ١٠:٠٠صباحاً، على الرابط التالي:

http:// manar9.mam9.com/t 2677-topic# ixzz3e9RPtKnc.

والعلمية رائعة وأنا من أشد المعجبين بيك، وعايز الولادفي المدارس يفكروا زيك..."[١] وأدت هذه العلاقة الودية بينهما إلى نتاج خصب ظهر من داخل مصطفي محمود، وكانت الحرية من أفضل خيرات هذه الفترة. ومن ثم يقول مصطفى معرباً عن رأيه في هذا العصر:"الحقيقة تقال...عصر الرئيس السادات كان مزدهراً للمثقف والكاتب... فكان للمثقفين والكتاب والمفكرين مساحة غير متوقعة من الحرية في التعبير عن آرائهم المختلفة وهم الذين عانوا كثيرا من قبل...".٤وفي عصره استطاع مصطفى محمود أن ينشر كل ما كتبه في مجلة صباح الخير بموجب أمر أصدره الرئيس بقوله:" كل كتب و روايات مصطفى محمود وأعماله الأدبية تنشر فوراً بصورة لائقة ومسلسلة في صباح الخير".[٢]

وبالجملة أن هذه الفترة نتجت عن استقرار فكري وعملي لمصطفى محمود وتفرّغ للكتابة والأعمال الخيرية وعندما سئل عنه عن موقفه من معاهدة السلام مع إسرائيل، التي عقدها الرئيس السادات أطرق برأسه إلى الأرض وحمت وأخيراً أجاب بجملة واحدة" موقفي تجاه أهل صهيون واضح، وما قلته للسادات في ذلك الأمر بالرغم من أن السلام مع إسرائيل خطوة لا يستطيع أحد أن يقدم عليها غيرك وأعلم أن هولاء الإسرائيليين لايوفون بوعد أو عهد ولكن هذه خطوة تجسد عليها ووقفك الله في نواياك ".[٣] يعني هذا، أنه يحب السلام ولكن لايعتمد على إسرائيل نظراً لغدرها وخيانتها، ومع ذلك يؤيد الرئيس في خطته ويدعو له.

عصر حسني مبارك: يبتدأ عصربعد إغتيال أنور السادات في ٦/ أكتوبر عام ١٩٨١م وبعد ثمانية أيام من إغتياله يتولى حمد حسني مبارك برئاسة الجمهورية وتنحى من الحكومة في عام ٢٠١١م بعد ثورة الغضب. وبه تعتبر فترة حكمه رائع أطول فترة

---

[١] . الحلقة السادسة عشر: قول أخير في السادات، راجع إلى الرابط التالي للإطلاع عليها:

http://manar9.mam9.com/t2828-topic#ixzz3e9SoSjqh

[٢] . نفس المصدر.

[٣] . الحلقة السادسة عشر: قول أخير في السادات، راجع إلى الرابط التالي للإطلاع عليها:

http://manar9.mam9.com/t2828-topic#ixzz3e9SoSjqh

حكم في مصر ، ليس في مصر بل في المنطقة العربية كلها، وظلّ جاثماً على عرش الحكومة بإجراء الاستفتاءات في ١٩٨٧م و١٩٩٣م،و١٩٩٩، كما تم انتخابه لفترة جديدة في ٢٠٠٥م في أول انتخابات رئاسية تعديدية، ولكن شهدت مصر أعمال عنف واعتقالات لمرشحى المعارضة.

ومن أهم التطورات السياسية قي عصره أنه أكمل مفاوضات السلام التي بدأها الرئيس السابق السادات مع إسرائيل في كامب ديفيد، وعندما نشأ الخلاف لأجل استعادة منطقة طاب لجأه أنه أكمل مفاوضات السلام التي بدأها الرئيس السابق السادات مع إسرائيل في كامب ديفيد، وعندما نشأ الخلاف لأجل استعادة منطقة طاب لجأ إلى التحكيم الدولي وتمكن من استرجاعها في ١٩٨٩م. إنه خطط ونفذ أول خطة قومية للتنمية في مصر تنفد بالكامل في أعوام ١٩٨٢-١٩٨٧م. كما نادى بالصحوة الكبرى في الانتاج والجدية والالتزام والشعور بالمسئوولية الجماعية، وأرسى قواعد الديمقراطية وحرية الرأى وتعدد الأحزاب تنفيذاً للمبدأ السادس من مبادئ الثورة وهو إقامة حياة ديمقراطية سلمية.[١]

وتشير المصادر الاجتماعية بأن هذا العصر شهد تزايد الإضرابات العمالية، وزيادة البطالة، والركون إلى أبناء الصهيون، وانتشار ظاهرة التعذيب في مراكز الشرطة، والعنف ضد المرأة، وقد وصل عدد المعتقلين في عصره نحو ١٨٠٠٠ معتقل، كما تزايد عدد الفقراء، ويشير تقرير نشر في فبرائر عام ٢٠٠٨م، أن " ١١مليون مواطن يعيشون في ٩٦١ منطقة عشوائية، وتفاقمت الأزمة الاقتصادية إثر سياساته الاقتصادية، ويتكون ٢% من المصريين في ٣٠% من جملة الدخل القومي، واتخذت الأزمة الاقتصادية في عهده منعطفاً خطيراً منذ عام ١٩٨٨م، بزيادة معدلات التضخم بصورة ضخمة " في ذلك العام.

---

[١] - تاريخ مصر الحديث (التاريخ المصري الحديث من عهد محمد علي وحتى الآن)، أبناء شباس عمير.

وقد بدأ تقلل شعبيته على مر الزمان، حيث تشير مجلة باردي الأمريكية يعتبر حسني مبارك الدكتارية رقم ٢٠ الأسود على متوى العالم لعام ٢٠٠٩م، بينما كان في المركز السابع عشر في عام ٢٠٠٨م لنفس القائمة.[١]

وأما فيما يتعلق بموقف رأى الدكتور مصطفى محمود فقد نجده يشكو مرة من كبت وقمع لحرية التعبير، وحسبما يعتقد أنه خطر على برنامجه الشهير"العلم والايمان" تحت الضغوط الصهيونية. ولكن سبق له أن مدح الرئيس حسني مبارك، قا ئلاً:

"بدلاً من الانشغال في المفاضلة ما بين عبد الناصر و السادات .. يجب أن نشغل أنفسنا عبثاً كلنا الحالية المعقدة. فقد انتهت مر حلتا عبد الناصر والسادات، وأصبحت أساليبها في الحكم، تلائم مشاكل مصر اليوم، لأن ذلك يحتاج إلى تفكير مختلف يهتم بمشاكل الاقتصاد والانتاج، وهو مايركز عليه الرئيس حسني مبارك حالياً، وأرى أنه موفق في ذلك.."[٢]، لأن حسني مبارك إثر توليته بعد أن حصل له الاستقرار السياسي خاصة بعد اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل شرع لإصلاح البنية الاجتماعية، وبما أن السادات غيّر مجرى السياسة القومية من الاتجاه اليساري إلى الليبرالي والمزيج من النظام الاشتراكي التعاوني والنظام الرأسمالي حلت مشكلة الفلاح، حتى في عصر حسني لقد تغيرت الخريطة تماماً، الطبقات المحطوطة لم تعد مطحونة،

والطبقات التي كانت مطحونة أصبحت الآن مرفهة.[٣]

ففي الماضي كان المظلوم هوالفلاّح الأجير، الذي كان يكتب عنه يوسف إدريس روايته (الحرام) والآن المظلوم هو الموظّف.[٤]

---

١ - مقال " حمد حسين مبارك" منشور على مدونة" شخصيات مصرية" يمكن الإطلاع عليه من خلال الرابط التالي:

http://www.egyptiancharacters.ml/2015/04/blog.

٢ - مصطفى محمود مفكراً إسلامياً، مامون غريب، ص٧، دار الفيصل للتأليف والترجمة والنشر،مصر .ت،ب.

٣ - نفس المصدر،ص ١٠٢.

٤ - نفس المصدر،ص ١٠١.

ومن الناحية الاجتماعية شهدت الآونة الأخيرة من حياة مصطفى محمود تلوثاً عديداً أخطر التلوث الخلقي، وفضت المادة على الروح، وبدأت تغيب الطمأنينة من النفوس البشرية، كما يعكس مامون غريب صورته فى النص الثالي:

" نحن نسير في عصر يسابق الانسان ظلّه نحو التقدم المادي والتكنولوجي الذي لم يسبق نظيره في كل العصور، وفي ظل هذ التقدم الهائل... فقد الإنسان الكثير من قيمة حتى أننا نرى الكثيرين من المفكرين العالميين من هذا العصر ومنهم من ترك المدينة المعاصرة ليهرب ويعيش في افريقيا,, حيث الفطرة..والبكارة.. مثل البرت شفا يترز الحائز على جائزة نوبل.."[١]

ومن ثم يطلق الدكتور مصطفى محمود على عصره هذا، عصر القرود، قائلاً:

"ونحن الآن سيداتي قادمون على عصر القرود، برغم أن الإنسان مشى على القمر، وتحكم في طاقة البخار والبترول والكهرباء والذرة، وغزا الفضا..لكنه بقدر ما حكم هذه الأشياء بقدر ما فقد التحكم في نفسه..وبقدر ما فقد السيطرة على شهواته..[٢]

ثم يتابع قوله في الإنسان المعاصر ويوازن بينه وبين الإنسان الزرعي السابق" ولهذا فنحن أمام إنسان أقل رحمة وأقل مودة وأقل عطفاً وأقل شهامة وأقل مروءة..وأقل صفاء من إنسان العصر الزرعي المختلف .. لقد تقدمنا خطوات إلى الأمام وسرنا مثلها إلى الخلف..[٣]

ونرى أن هذه الأوضاع لم تتغير إلا بتغير الوجهة السياسة، الملوكية، والاستعمارية، والاشتراكية اليسارية اللاحزبية والديموقراطية الحزبية والجمهورية البرلمانية، والنظام الشيوعي، والنظام الرأسمالي، أو المزيج منهما..والعوامل الأخري تمخضت عن تقلّبات سياسية واجتماعية وثقافية ولها تأثيرات كبرى في العقلية المصرية وقتذاك،

---

١. نفس المصدر،ص ٧٩.
٢. نفس المصدر، ص٧٩.
٣. نفس المصدر، ص ٨

وكان مصطفى محمود من أكثر المتأثرين بهذه التغيرات المتنوعة والتي تتجلى في أفكاره المتنوعة وتحولاته من فكر إلى فكر، إلى حد التناقض بعض الأحيان، وعلى هذا ينطبق عليه قول الناقد جلال العاشري بأنه شاهد على عصره.

الفصل الثاني

حياة مصطفى محمود وشخصيته

مولده ونشأته: هو مصطفى كمال محمود حين آل محفوظ [١]، سماه أبوه تيمنا لشخصية شهيرة وهومصطفى كمال أتاترك، إلا أنه اشتهر بـ مصطفى محمود، ير جع نسبه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢]. وُلد في العشرين من ديسمبر ١٩٢١م، بقرية ميت خاقان بمدينة شبين الكوم بمحافظة المنوفية.[٣] وكان توأماً لأخ توفي في أسبوع بعد ولادتهما[٤]. وكان اسمه سعد[٥] وبما أن الولادة جاءت بعد سبعة أشهر فقط، جعلته الطفل مريضاً على الدوام حتى تلقيه نزلة برد بسيطة طريحا الفراش لمدة ١٥ يوماً" وكانت ولادته لا تدعه أن يلعب مع الأطفال من عمره، والذي جعله محباً للعزلة والانعزال وأن يخلق لنفسه عالماً افتراضيّاً مليئاً بالأحلام والأفكار، وأثر هذا الانعزال في حياته تأثيراً بالغاً، حتى نبغ منه مفكراً كبيراً يتعمق في حلّ نفر الحياة والممات ويحلّ مشاكل العصر وينور القلوب والأذهان.

كانت والدته الزوجة الثالثة لوالده، وهو الزوج الثالث لوالدته، وبما أن والده كان يعمل محضراً، ثم تدرج لسكرتير بمديرية الديوان العام بالغربية تسببت الوظيفة إلى هجرة الأسرة وانتقالها من مسقط رأسها بالمنوفية إلى مدينة طنطناً، حيث كان مقرالعمل. ولوالده تأثير قوي في تربيته، فهو يقول:

"لقد كان أبي يمثل لي الكمال النادر".[٦]

---

[١] - الحلقة الأولى: رحلة الشكّ تبدأ من صر صار!!، من مذكراته التي جمعها وقدمها حمدي ، وتم نشرها على الراط التالي:

http:// manarq.mamq.com/t2655-topic#ixzz3e6RVcJH2 و topic#ixzz3e6RVcJH2

[٢] - نفس المصدر.

[٣] - نفس المصدر.

[٤] - مقال " إنه مصطفى محمود"، لانتصار سليمان- مصطفى سليمان، الصادر في مجلة الشباب، عدد ٣٥٢، بتاريخ ١-١١-٢٠٠٦م، مصر.

[٥] - الحلقة الأولى: رحلة الشكّ تبدأ من صر صار.

[٦] - نفس المصدر.

وكان طبيب الأخلاق، خاصة لأنه كان يضم أولاد زوجته من الأزواج الآخرين في بيت واحد ليصبح بيت العائلة يضم تسعة أولاد.[١]

لأنه يزوّد البيت بالمواد الدراسية، فلم يترك مرحلة الطفوفة دون التعرض للمدرسة. كما يقول مصطفى محمود في مذكراته:

" .. أبي شكلّ الدعم الأكبر في هذه المرحلة .. فمن المشاهدة التي لا استطيع حتى اليوم أنساها أبداً أنه كان الآباء من جيراننا يدخلون بيوتهم وفي يد الواحد منهم كيس من الفاكهة أو الخضار، كان أبي يترك شئون البيت هذه لأمي، فأبى لم يدخل البيت أبداً وهو يحمل " ربطة فجل" كان دائماً في يديه المجلات والكتب "[٢].

وفي رعاية تحت مثل هذا الأب في مبكر طفولته التحق مصطفى محمود بالكتّاب ثم المدرسة الابتدائية. ولكن لم يكن في البداية تلميذاً متفوقاً، فقد رسب ثلاث سنوات في الصف الأول الابتدائي، كما يتحدث بنفسه ويشير إلى سببه أيضاً:

" في بداية سني المدرسة لم أكن تلميذاً مجتهداً .. فقد رسبتُ في السنة الأولى الابتدائية ثلاث سنوات..وكانت درجاتي دائماً هى الصفر..وعندما يسألونني في البيت عن درجاتي أقول لهم: كالعادة، لم يرهقني أحد في الأسرة.. كانوا يضحكون ويستقبلون ذلك بروح رياضية.. ولم يكن هذا يرجع إلى غباء أو تخلف عقلي.. ولكن يرجع ذلك إلى أن المدرسين في هذه المرحلة كانوا يتبعون أسلوب الضرب والتخويف.. كان خطى كل يوم مسطرة على يدي.. فطبعاً كنت أرتعش طوال الدرس..[٣]، وفي هذه اللامباراة ضربه مدرس للغة العربية ضرباً مبرحاً، فاكتأب ورفض الذهاب إلى المدرسة ثلاث سنوات، وما إن رجل ذلك المدرس ومغادرته المدرسة حتى عاد مصطفى محمود للدراسة من جديد. ولكن سنوات الدراسة الأولى كانت صراعا مع الخوف واستغراقاً في الخيال والأسطورة وميلاً إلى الانطواء... إلا أنه مع مرور الوقت ومضى السنين

---

[١]. نفس المصدر.

[٢]. الحلقة الثانية: الوصول إلى اليقين يحتاج إلى جثة بـ ٥٠قرش، يمكن الإطلاع عليها من خلال الرابط التالي :

http:// manra9.mam9.com/t 2656-#ixzz3e6TvKn700

[٣]. مصطفى محمود مفكراً إسلامياً: مامون غريب، ص ٥٩.

أخذ يتغلب على الخوف واستطلاع استئناف الدراسة الإبتدائية بدون رسوب أو تخلف.[١]

وبدأت تظهر موهبته وعلا مات تفوقه وحبّه للعلم.

واستهوته بشكل خاص مواد الكيميا والطبيعة والفلك، وعندما تدرج فى المرحلة الثانوية ازداد اهتمامه بهذه العلوم، حتى أنشأ معملاً صغيراً في بيته وبدأ يصنع مبيدات يقتل بها الصراصير ويقوم بتشريحها بعد ذلك.كما يصرّح به الدكتور نفسه في مذكراته قائلا:

" إني أنشأتَ مَعْمَل اختبار داخل بدروم المنزل، وأغرقت نفسي ليل نهار في التجارب العلمية، والتي كانت ستودي بحياتي أكثر من مرّة بسبب حدوث بعض الحرائق وانفجارات صغيرة كل فترة.. وأغرقت نفسي بالعلوم التي كنتُ شغوفاً بها، أي أنني كنت لا أرتاح في فترة الإجازة، وهو مادفع والدي إلى أن يبيع هذا المعمل لخوفه عليّ".[٢]

ومن خلال غرقه في العلوم تحولت أفكاره إلى الخيال العلمي[٣]، وفي حينه اكتشف نوعاً من الصبغة تتأثر بالأحماض والقلوبات استخرجها من "التوت الأسود" وسمّاها صبغة: "الكمال توت".[٤]

وقبل أن أكمل دراسته الثانوية توفي والده عام ١٩٣٩م بعد ما بقي مصاباً بشلل لمدة سبع سنوات، فتولت أمه أمره. وبعد الثانوية أصر مصطفى محمود على دخول كلية الطبّ بجامعة القاهرة، رغم رفض الأهل لكونهم كانوا يرغبون في التحاقه بكلية الحقوق- كالعادة، والتي كانت تخرج الوزراء والباشوات، آنذاك الوقت- وقد أصرّ على الطبّ رغم دراستها القاسية واحتياجها إلى مجهود كبير، لأنه كان له أهداف أخرى من

---

١. نفس المصدر،ص ٥٩.

٢. الحلقة الثانية: الوصول إلى اليقين يحتاج إلى جثة، بـ ٥٠قرش.

٣. مصطفى محمود مفكراً إسلامياً: مامون غريب، ص٦

٤. نفس المصدر، نفس الصفحة.

دراسته الطبّ[1]. وفي النهاية تغلّب برأيه على الأسرة ورضوا بدخوله في كلية الطب، ولأجل هذا، انتقلت الأسرة من طنطنا إلى القاهرة. وكانت السنوات البدائية صعبة جداً بالنسبة له. كما يكتب في سيرته الذاتية بقلمه:

" وكانت الدراسة صعبة وتحتاج إلى أراده وتركيز ونوع من الانقطاع والرهبانية..واحتاج الأمر إلى عزم و ترويض ومعاناة ..وطال حبيّ للعلم وطموحي يساعدني، وكانت صحتي الضعيفة تخذلني ..وبدني المعتقل يضطرني إلى الاعتكاف من وقت لآخر في الفراش".[2]

وعندما وصل في الثالثة من كلية الطب سقط مريضاً، والذي أدى إلى انقطاع الدراسة لمدة سنتين، ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه قي هذه الأيام كان يكتب للصحف والمجلات، وعندما كتب في مجلة الرسالة عام ١٩٤٧م، أول نتاجه القصصي، غضبت عليه أمه، لطريقة حياته تلك بين تردد على الأفراح والكتابة على طريقة حياته قرر مغادرة البيت حاملاً ملابسه، يسكن في "بنسيون" في حلوان، وظل هناك سنتين وحاول فيهما أن يستقبل اقتصادياً وذلك عن طريق مرتب شهري من جريدة النداء.[3] وكان مرتبه الشهري ١٢ جنيهاً.

هكذا قضى حياته لمدة سنتين إلى أن سقط مريضاً بحمي التيفود والبار تيفود، وزاره أخوه وجرت مناقشة فيما بينهما لاسترجاعه إلى البيت ولمواصلة دراسته الطبّ. ويتحدث مصطفى محمود عن قصة رجوعه على النحو التالي:

"... زارني أخي وأنا راقد بالمستشفي وأخذ يتحدثني عن حساب الأرباح والخسائر ..كان بيننا عتاب رقيق وأنا على فراش المرض.. انتهى النقاش بأن أفعل كل ما أريد ولكن بعد التخرج.. وكان يحدثني من مركز قوة وأنا من مركز الضعف فوافقته. وأنهيت مرحلة التشرد وعدت إلى اعتزال طالباً في كلية الطبّ في محاولة

---

[1] - الحلقة الثانية: الوصول إلى اليقين يحتاج إلى جثة بـ ٥٠قرش.

[2] - سيرته الذاتية بقلمه، منشور على الانترنت، يمكن الإطلاع عليها من خلال الرابط التالي:

http://www.hrddiscussion.com/hr7249.html#sthash.Br0FVOPN.dpuf.

[3] - مصطفى محمود مفكراً إسلامياً: مامون غريب،ص ٦٠-٦١.

الأخذ البكالوريوس".[1] عاد وَالْتَحَقَ بكلية الطبّ ليواصل دراسته ولكنه في نفس الوقت يشتغل مع كامل الشناوي في الجريدة المسائية ثم مع أسرة مجلة التحرير في بداية انشائها سنة ١٩٥٤ م.[2]

إلا أن هذا الانقطاع الدراسي لم يؤثر في شخصيته تأثيراً سلبياً لأنه عكف طول هذه المدة على القراءة والتفكير في موضوعات أدبية، وفي هذه المدة تكونت في داخله شخصية المفكر المتأمل وولد الكاتب والأديب. ظهرت تباشيره بعد الرجوع إلى دراسة الطبّ والتخرج من الكلية. كما يشير إلى التطور الإيجابي بنفسه:

" وحينما عدت إلى دراسة الطبّ بعد شفائي كنت قد أصبحت شخصاً آخر، أصبحت الفنان الذي يفكر ويحلم ويقرأ ويطابع بانتظام أمهات كتب الأدب والمسرح والرواية. ويستطرد كتابه: " وأسطيع أن أقول إن المرض والمعاناة والعزلة الطويلة في غرف المستشفيات قد فجرت مواهبي".[3]

وفي دراسة الطبّ كان مفوقاً جداً حيث ديدانه التفكيري أدى إلى تفكير عميق في دراسة خاصة في تشريح الجثث. كان يقف أمام الجثث الموجودة داخل المشرحة لساعات، وكان يفكر في المآل الإنساني، وكان أول طالب يدخل المشرحة وآخرهم من يغادرها، وقد حدث له حادث يدل على شده تعلقه بتشريح الجثث، ففي يوم من الأيام كان داخل المشرحة ولم يشعر بالوقت وأغلقوا عليه الباب دون أن يشعر أو يشعر والوجوده ولكنه عندما انتهى من العمل وجد الأبواب مغلقة وكان الجو بارد جداً، أخذ ينادي الحراس بأعلى صوته مدة ربع ساعة حتى سمعوه وفتحوا له الأبواب، وصارت القصة تتردد داخل أرجاء الكلية ولقبّ بالمشرحجي.كما يقول:

---

[1] - سيرته الذاتية بقلمه.

[2] - مصطفى محمود مفكراً إسلامياً : مامون غريب، ص٦١.

[3] - سيرته الذاتية بقلمه.

" وفي اليوم التالي، فوجئت عند دخولي المدرج ذات مرة متأخراً، وكان الدكتور صادق يشرح للطلبة بأن قال لي أدخل يا" مشرحجي" ومن بعدها وجدت الجميع يطلبون عليّ لقب المشرحجي...وتعلقت بالتشريح وبهذا العلم العجيب.."[١].

وشدة تعلقه بهذا العلم تتجلى في قصته مع أنه إذ اشترى جثه بخمسين قريش، وجلبها إلى بدروم المنزل، ففزعت أمه[٢] يعني هذا، أنه كان طالباً نشيطاً في كلية الطبّ، ولكن بانقطاعه من الدراسة لمدة سنتين، احتاج الأمر وقتاً مضاعاً لكن ينجح ويتخرج. وعندما تخرج في ديسمبرعام ١٩٥٢م، كان زملاؤه قد سبقوه في التخرج بسنين وثلاثة.[٣]

وبعد التخرج بدأ يعمل طبيباً للأمراض الصدرية بمستشفى أم المصربين. واشتغل الوظيفة حتى عام ١٩٦٠م. وبعد التخرج حتى خلال وظيفته فى المستشفى ظل مواظباً على الكتابة في الصحف والمجلات، فقد أصدر مجموعته القصصية الأولى عام ١٩٥٤م، وتبعها كتابه" الله والإنسان" الذي أثار ضجة كبيرة في العالم العربي والإسلام ووجهّ الناس سهام الألحاد إليه لأجل تأليفه هذا، كما نشر قائمة طويلة من الكتب والمقالات والقصص، وفي عام ١٩٦٠م قرر التفرغ للكتابة فاستقال من وظيفته في المستشفى. وقدم عددا ضخماً من الانتاجات العلمية والصحفية والأدبية، كما بخدمات اجتماعية وإنسا نية، نتصدى لها في الباب الثاني.

وقيل أن نقدم معالم شخصية الرئيسية يتسنى لنا أن نخيل كاميرا القلم نحو حياته العائلية.

إن فلسفة الحياة عندما مصطفى محمود زاخرة بالمعنى، هنا نذكر قوله الشهير في مجموعته القصصية "أكل عيش": أريد لحظة انفعال، لحظة دهشة، لحظة اكتشاف،

---

[١] - مصطفى محمود مفكراً إسلامياً : مامون غريب، ص٦١.

[٢] . نفس المصدر.

[٣] - نفس المصدر.إنه تخرج في نهاية سنة ١٩٥٢م في شهر ديسمبر، ومن ثم تلبس الأمر على بعض الكتاب فقالوا، إنه تخرج عام ١٩٥٣م، والصحيح أنه تخرج في نهاية عام ١٩٥٢م.

لحظة معرفة...[1]، وللحياة أن تكون ذامعنى " أريد لحظة تجعل لحياتي معنى، فحياتي من أجل أكل العيش لا معنى لها، لأنها مجرد استمرار للبقاء، علامات الحبّ وشواهده أشبه بالجلوس في التكييف في يوم شديد الحرارة، أشبه باستشعار الدفء في يوم بارد..[2]. وأما رأيه عن الزوجة فهو يرى أن الزوجة لا تعنى أم الأولاد فقط:

" الزواجة بالنسبة لي لم تكن فقط أم الأولاد، كنت أريد نصفى الذي ينقضي، كنت أرغب في الاستقرار النفسي، قبل الجسدي، وأريده على مقاسي بالضبط..."[3].

وبرغم رأيه الحسن عن الزوجة، وحبّه العميق بزوجاته لم ينجح في مواصلة علاقاته الزوجية.فقد تزوج للمرة الأولى من "سامية" في عام ١٩٦١م، وبقيت العلاقة الزوجية وطيدة طيبة لمدة ١٥ سنة، حتى بدأت الغيرة تتسرب في الزوجة إلى أن تزايدت الغيرة تدريجياً ووصلت إلى مرحلة صعبة جداً، إلى أن انتهت بالطلاق عام ١٩٧٣م، مع أنه يحبه حباً جماً، ولكن صعب عليه بهذه الغيرة الزوجية حياته المتبقية، ومن جاء التطليق، وهو يعترف إنها إنسانة طيبة وست بيت. وقد أنجبت له أولاد أمل (البنت)، وأولادهم (الإبن). وبعد الطلاق قضى مدة طويلة، زاهداً فيها الحياة، إلى أن تزوج ثانياً من زينب بنت حسين حمدي المصرية في ١٩٧٧/٤/٢٦م، وتم عقد القران في المدينة المنورة بالمملكة السعودية العربية. إلاّ أن الزيجة الثانية استمرت ٤ سنوات وانفصلت عنها هي الأخرى. والسبب يعود إلى تزهد حياة مصطفى محمود، وإدمانه في التمسك بغرفته للعمل والكتابة، كما يقول بنفسه:

" لقد كنت أعلق على باب الحجرة لافتة مكتوباً عليها" التابوت" يعني نعيش في مقبرة ولهذا لم تتحمل حياتي الميتة... فالحياة أصبح لا معنى لها في نظرها، مع أنها كانت

---

[1] - أكل عيش، مصطفى محمود،ص.

[2] - نفس المصدر،ص.

[3] - الحلقة التاسعة: زواجي من ملكة جمال مصر، (مذكراته)، للإطلاع على الحلقة بكاملها راجع إلى الرابط التالي:

http:// manarq.mamq.com/t2667-topic#ixzz3eQyVVwT.

تعلم ذلك من الأول بل بالعكس قالت إنها تحبّ بشدة هذه الحياة الدينية وحياة الزهد ولكنها في النهاية امرأة عادية تريد أن تعيش زوجة لكاتب كبير".[١]

ومن ثم جاء قرار الانفصال فيما بينهما عام ١٩٨٤م، ومع هذا، كان يحب الزوجتين، وإن نتعمق النظر فقد نجد أن الجدول الصادم الذي اتخذه مصطفى محمود هو السبب الرئيسي في عدم نجاحه في الحياة الزوجية فيما يخص في المواصلة والاستمرار.

وأنه عاش طول حياته هجرة مستمرة لأجل إدراك الحياة والبحث عن الحقيقة، وقضى ثلاثين عاماً من عمره في هذا البحث، والذي يكوّن رحلته من الشك إلى الإيمان،وقد قسمها بنفسه إلى سبع مراحل تتراوح فيما بين المادية، والعلمانية، والشك ثم في الشك، والطبيعة، والعلمية، والأدبية، والإيمانية ثم الصوفية، وسوف نتابع دراستنا عن هذه المراحل خلال حديثنا عن تطور أفكاره في الأبواب التالية. وفي هذه المراحل المختلفة من حياته تعرض لأزمات فكلرية كثيرة، كان أولها عندما واجه المحاكمة في عهد جمال عبد الناصر بسبب كتابه" الله والانسان" واتهم بالإلحاد، كما شهد خطرا على قلمه، عندما كتب مقالتين، هتلروالنازية- سقوط اليسار، والثانية" الخروج من مستقنع الاشتراكية" وألقى الخطر على نفسه تأصيراً نفسياً سلبياً أصبح يطلق على تلك الفترة أيام المنفى أو عام المنفى[٢]. وأزمة أخرى في حياته تبتدأ مع صدور كتابه" الشفاعة" حيث تحدث فيه شفاعته ﷺ في إخراج العصاة من المسلمين من النار وإدخالهم الجنة، ويتخلص رأيه" أن الشفاعة مقيدة أو غيبية إلى أقصى حدّ وأن الاعتماد على الشفاعة لن يؤدي إلاّ إلى التكاسل عن نصرة الدين والتحلي بالعزيمة

---

[١] - الحلقة العاشرة: الزوجة الثانية(من مذكراته التي جمعها وقدمها حمدي)، راجع إلى الرابط التالي للإطلاع على الحلقة الكاملة:

http:// manarq.mamq.com/t2668-topic#ixzz3eQKL9ah.

[٢] - الحلقة الخامسة: عبد الناصر كان مصاباً بجنون العظمة، راجع إلى الرابط التالي:

http:// manarq.mamq.com/t 2656-topic#ixzz3eQKL9ach.

والإرادة في الفوز بدخول الجنة والاتكال على الشفاعة، وهو ما يجب الحذر منه، والمتحد المؤلف في رأيه هذا على آراء العلماء الآخرين وعلى رأسهم محمد عبده.[١]

وقد آثار الكتاب ضجة كبيرة في العالم العربي والإسلامي، وصدر ١٤ كتاباً للرد عليه، وأقسى الردّ جاء من قبل الدكتور محمد فؤاد شاكر أستاذ الشريعة الإسلامية، وأوسطها من قبل الدكتور نصر فريد واصل.

ومن أزماته ،أنه شاع عنه باعتناقه الديانة المسيحية، مع أنه ظلّ يدافع عن الدين الإسلامي وينشر تعاليمه في كتبه خاصة في كتبه بعد الوصول إلى الإيمان من رحلته الشكّ. ويأليت شعري كيف اتهموه مع علمه بشدة تعلقه بالعلم والمنهج العلمي، وبديهي أن الديانة المسحية لا صلة له بالمنهج العلمي، والدكتور كان علميا، وكانت المبالغة في التيار المادي العلمي تحيده عن الدين الإسلامي في بداية رحلته والذي معروف بنزعته العلمية وبرهانة القاطع.

وفي أيامه الأخيرة شهد أزمة الاعتزال خاصة بعد الإيقاف الجبري برنامجه التلفزيوني الشهير"العلم والإيمان"في عهد حسني مبارك تحت ضغوط الصهائنة، وبعد قليل أصابته جلطة، وأصبح يعيش منعزلاً وحيداً، وقلل الكتابة إلاّ بعض المقالات في بعض الصحف.

وفي أواخر عمره لحقته أمراض تسببت في فقدان ذاكراته حسب الدكتورة لوتس عبد الكريم، وتركه الإعلام المصري غائباً عن المسرح، ويرجع فقدان الذاكرة إلى العمليات الجراحية في المخ بسبب نزيف قديم في مخه. وقد تحدث الدكتور وهي ناشرة مجلة" الشموع" الثقافية لـ" العربية نت" في عام ٢٠٠٧م. وداعت أنه كانت صداقة بينه وبين الجن، وهو السبب وراء أمراضه الأخيرة، إلاّ أن ابنه ادهم ردّ عليها قائلاً: " اطمئنوا... والدي بخير ولا يتصل بالجن"[٢]، و قد جاء في هذا التقرير أن أدهم أكدّ أن

---

[١] - مستفاد من مقال منشور على إحدى المواقع الثقافة على الرابط التالي:

http://www.tamecom1.com/mareya/t 15811.html.

[٢] - جرينتش، إعداد- محررمصراوي.٤/١١/٢٠٠٧م، ١:٢٠صباحاً.

والده بخير،وأنه لم يعتزل الناس، ولم يعتنق المسيحية، والناس خاصة العالمين بمؤسسة محمود الخيرية يمرون عليه بصفة مستمرة، وأنه ردّ على ما نشرته الدكتور لوتس عبد الكريم في مجلتها الشموع، وأورده موقع العربية نت، وأكبر دليل على اتصاله هو توقيعه كرئيس لمجلس إدارة مسجد محمود، وأن سبب ابتعاده عن الظهور الإعلامي هو التقدم الطبيعي في العمر حيث يقارب ٨٠ عاماً. وأما فيما يتعلق بالجن فإن سببه يعود إلى شدة اهتمامه بموضوع الجن وتفكيره فيما ورد في القرآن عنه، وأضاف قائلاً: إن الجن الوحيد الذي يعيش حالياً معه أنا". كما نفي قصة تغيير دينه، وقال إنه لا يدري مصدر الإشاعة...[١].

وقد يدلّ هذا، على أن حياة مصطفى محمود حافلة بالأعمال المكثفة وجدول حياته الصارم يشير إلى طريقة حياته الزاهدة. وأنه عاش طول حياته بحثاً عن المعنى في الحياة.هكذا استمر في حياته إلى أن تنفس أنفاسه الأخيرة في الساعة السابعة والنصف من صباح السبت ٣١/اكتوبر٢٠٠٩م الموافق ١٢/ذوالقعدة ١٤٣٠،عن عمر يناهز ٨٨عاماً، وقدم تشيع جنازته بحضور جمّ غفير من الناس من مسجده بالمهندسين الذي شيده في حياته.

والآن نريد أن نقف بعض الوقوف لدى شخصيته وماذا قيل عنه من قبل كبار العلماء والأدباء المعاصرين له.

والذي يتعمق في شخصيته يتحلى له أبعادها الشتى، من كاتب وطبيب، ومثقف متعدد المواهب، أديب وفنان ومتكلم، قاص وروائي، صاحب رؤية فلسفية مبسطة جداً للحياة والإنسان، ذات رؤية وموقف، إنه أضاف الشئي الكثير للثقافة العربية السائدة في القرن العشرين والتي بقيت أثراتها حتى اليوم تلعب دورها في تنشئة الأجيال القادمة، ومع أفكاره وتقلباته وطروحاته بين رفضها وقبولها سوف تبقى هذه الشخصية علامة فارقة

---

[١] - نفس المصدر. وراجع إلى التعليقات لموقع العربية نت، من خلال الرابط التالي:

http://www.alarabiya.net/articles/2007/04/08/33315.html.

ومتميزة في الحياة العربية المعاصرة. وقد نراه يصف شخصيته الدكتور سيّار الجميل على النحو التالي:

" لقد كان الرجل وسيبقى مثيراً للجدل والتفكير والنقد والتحليل لكلّ عطائه ونتاجه الكبير الذي عاشته الأجيال قرابة نصف قرن من الزمن الصعب.. إن مصطفى محمود لا يمكن إلا أن يكون مستقلاً ومنفرداً ووحيداً..وقد انعكس ذلك على تأملاته وتصوراته وسواء اتفقنا معها أو وفقنا بالضد منها.. لقد كان إنساناً مضطرباً مع الآخرين ولكنه متوازن مع نفسه... وهذا ما وجدناه حتى في حياته الشخصيته والبيتية.."[1] ، يعني هذا ، أن شخصيته ليست ببسيطة بل مركبة ومعقدة وحرِيّئة بالتفكير والنقد والتحليل، ولا بدّ للباحثين أن يسبروا أغوار حياته بدون حيادة أو تعصب، وأن لهذه الشخصية دور كبير في تثقيف الأجيال القادمة، وأن الدكتور عاش حياة متوازنة بالرغم من اضطراباته وتقلباته بين أفكاره وآرائه المتنوعة. وتنعكس في شخصيته كل التحولات السياسية والاجتماعية والعقلية لمصر، فقد توغلت كتاباته عميقاً في الوجدان المصري، وبدون شلة ولا تيار احتل مكانته المرموقة، ولابدّ لنا أن نشير إلى أنه توجد لديه بعض الآراء خاصة فيما يتعلق بالديانة، وعلى الأخص منها بالدين الإسلامي، لايصب فيها، وزلت قدماه حينما حاول الاقحام فيها. كما حدثت في كتابه "الله والإنسان" ومن ثم عندما سمح الرئيس أنور السادات بإعادة نشره، بعدما تمت المصادرة من قبل في عصر الرئيس جمال عبد الناصر، تراجع مصطفى محمود عن رأيه، وبدلاً من نشر ذلك الكتاب نشر كتابه الآخر وهو" حوار مع صديقي الملحد" الذي دلّ بصراحة على تغيير فكره. إنه حاول أن يفهم الإسلام من جديد ومن ثم سلك مختلفا عن المسالك المعبدة، ليأ تي بشئي جديد.

وتكون من نافلة القول ذكر أوصاف هذه الشخصية بلسانه:

---

[1] - رؤية من الشاطئ الآخر.. مكوّنات مصطفى محمود الجميلة.د. سيّار الجميل، مقال مفصل، منشور على صحيفة الجزيرة الثقافية، يكمن العثور على المقال الكامل انطلاقا من الرابط التالي: http://www.aljazirah.com.sa/culture/2008/07072008/speuss23.htm، وكاتب المقال مفكر عراقي، أستاذ التاريخ الحديث والفكر المعاصر، بكندا.

"لم أكن في يوم من الأيام رجل دين بل أنا فنّان دخلت إلى رحاب الدين من باب الفضل الإلهي ومن باب الحبّ والإقتناع وليس من باب الأزهر.. وكان حكمي حكم الشاعر الذي أحبّ اله فكتب فيه قصيدة وبنى له بيتاً ولكنه ظلّ دائماً الفنان بحكم الفطرة والطبيعة.. ذلك الفنان الذي مملكته الخيال والوجدان..[١] ومع هذا الاعتراف لقلة بضاعة في أمر الدين يؤضح موقفه تجاه النقد عليه قائلاً:

"ولهذا ما رأيتيني نازعت أحداً خطآءني ولا كرهت أحداً صوّبني... بل عهدت نفسي دائما أراجع ما أكتب وأصحح فيه الطبعة،..وأقبل بصدر مفتوح نقد الآخرين.. فإن رأتيتني كتبت صواباً فمن الله وإن كتبت خطأ فمما سوّلت لي نفسي.[٢] ، وقد تبلورت في شخصيته آمال المصريين حيث نموذجاً للمفكر والباحث ونبراساً لتنوير العقول لعاصفة فكرية ظلتّ تجري بشدة خاصة في السبعينات حتى التسعينات وتفوق على وزارة التربية والتعليم في جذب انتباه الطلاب والباحثين والأساتذة والعامة من المشاهدين من خلال برنامجه " العلم والإيمان".

كما لم تكن شخصيته شخصية عادية، بل تمتع بشخصية مثيرة للجدل، لأنه لم يكن نمطياً في تفكيره، لم يخضع لتيار عصر بصورة عشوائية، بل كان متأملاً باحثاً عن طبيعة الأشياء وأسبابها، مما جعله يصطدم بأهل اليمن وأهل اليسار، فانقلب عليه أهل اليسار، ورماه أهل اليمن بالفكر والإلحاد، إلى أن قال الشاعر كامل الشناوي قوله الشهير فيه" لقد قالوا إنك ملحداً، فوجدتُك

تُلحد على سجادة صلاة.[٣]

قبل أن ندخل في الفصل التالي، لنبحث عن تكوينه الشخصي والثقافي وعوامله، يجدربنا أن نقدم كلمة الدكتور الأديب والشاعرد. غازي القصصي في العدد الممتاز حول شخصيتة مصطفى محمود الذي نشرته صحيفة الجزيرة الثقافية.

---

[١] - مقتبس من رواية السياسية " المسيح الدجال"، مننشور على مدونه مصطفى محمود على الرابط التالي:

http:// dmostafamachmoud.blogspot.in/2012/10/blog-post_6736html

[٢] . نفس المصدر.

[٣] - عبد اللطيف فايز علي، جريدة الأخبار، ٢/نوفمبر ٢٠٠٩م، نقلاً عن مدونة مصطفي محمود، من الرابط السابق.

أعجبت بكتابات هذا الرجل..
منذ أن كنتُ طالباً ناشئاً في الجامعة- وكان هو، ملء السمع والبصر..
كاتباً شيراً يسطرّ المقالات ،
ويذبحّ الروايات،
ويجيب على رسائل القراء...!
وكان، منذ أن بدأ مسيرته الفكرية، باحثاً عن الحقيقة..متلّهفاً إلى الوصول إليها أو إلى شئي منها.
وقاده بحثه إلى أكثر من منعطف،
وساقته مسيرته إلى أكثر من صحراء...
وأخيراً،
انتهى به بحثه في واحة الإيمان...
وروى قصة رحلته المثيرة، من الشكّ إلى الإيمان، بكل الصدق والشفافية...
وسرعان ما فاجأ الجميع بكتاب تضمّن فهماً (عصرياً) للقرآن ... أثار ثائرة المحافظين.. والليبراليين.. وحتى أكثر أصدقائه القدامى... وكلّ أصدقائه الجديد...!
على أنه ظلّ في مسجده- الذي تحوّل إلى صومعته..
يكتب ما يبدو له حقاً،
غير آبه بالجدل الذي أثاره ويثيره حول الكتّاب...
وكان الكتاّب يثير الكثير من الجدل...!
كائناً ما كان رأينا في مصطفى محمود..فقد قذف كرة في بحيرة كانت راكدة
وظلّ مخلصاً للحقيقة..
وفيّا لها...
شهيداً من شهدائها...
مصطفى محمود،

شكراً جزيلاً جزيلاً...![1].

وفي هذه الكلمة نرى جوانب حياة مصطفى محمود الشتى ولمحات شخصيته المثيرة للجدل والتفكر، فقد قذف كرة في بحيرة كانت راكدة، تشيرإلى الشخصية العربية، وخاصة المصرية الراكدة الجاثمة على زبالة الأفكار غير المتنقية، وقد حاول الدكتور مصطفى محمود مجرى الشخصيات المصرية، حتى تغير انماط حياتها وطرق تفكيرها، وجمعت بين دفتي كتاب حياته مظاهر مختلفة من التحولات العصرية، وفلسفة علو الإنسان على الآخر أو فلسفة التعالي أصبحت تعلو على معظم أعماله، وهي مستقاة من طبيعة العصر السياسية، من سياسة العظمة والعلو التي ساس بها جمال عبد الناصر وقبله الاستعمار البريطاني، وكل من السادات وحسني مبارك، التعلي وسياسة القهر للحفاظ على السلطة أو الثروة أو الاستقلال.

[1] - صحيفة الجزة الثقافية ، ٤/رجب١٤٢٩/٧/٧/٢٠٠٧م، رقم العدد: ٢٥٤، يوم الإثنين على الرابط التالي:
http:// www.al-jazeerah.com.sa/culture/2008/07/072008/speuss5.htm.

الفصل الثالث

التكوين الثقافي وعوامله

وقد تحدثنا في الفصل الثاني عن شخصية مصطفي محمود بشئي من تفصيل، والآن نريد البحث عن تكونيه الثقافي العوامل المؤثرة في تطوير شخصيته تطويراً إيجابياً أو سلبياً بعض الأحيان مما نتج عن شكه في الإيمان.وقبل الولوج لعامل المناخ الثقافي والعوامل الخارجية الأخرى نريد بعض الوقوف عند العوامل الداخلية والبيئة في تنشئته نشأة ثقافية.

ومن أهم هذه العوامل المؤثرة في تكوينه النفسي والثقافي هو عزلته، حيث كانت صحبته تتعرض للأمراض حتى بسبب برودة عادية، وقد أشرنا في الفصل الثاني أن أمه لا تدعه يلعب مع الأطفال وهو الأمر الذي كان سببا في أن لا يعيش حياة الأطفال من لعب ومرح، وانصب بدلا عن ذلك القراءة، وكانت هي خوايته الكبرى، فمن بطن هذه العزلة خرجت طبيعة مولعه بالتفكير.وأصبح التفكير عاملاً آخر يؤثر في تكوينه الشخصي الخاص. كان يفكر ويتأمل دائماُ، وأدى التفكير إلى الحلم، فكان منذ نعومة أظفاره يحسن رواية القصص، وبنجا حه في هذا الفن منذصباه المبكر فاز بأول حبّ في حياته بابنة جيرانه "عديلة" لأنها كانت تحبّ القصص. وهو في عمره التاسع. يقول مصطفى محمود في مذاكراته:

" كانت طبيعتي نفسها أكبر من المرحلة العمرية، فكانت تراودني أحلام كبيرة وضخمة.. لا تقل في ضخامتها عن جيال غابات الأمازون التي تمنيت مشاهدتها، وتمنيت رحلات للغايات الاستوائية التي كنت أقرأ عنها في الكتب والقصص، وأظلّ ساعات طويلة أعيش في حالة من الخيال الذي يدفعين لأن أصدق أنني ذهبت إلى هناك في ثوان معدودة، ومارست اللعب، مع القرود والغزلان، وسارعت بالهروب من

الأسود والنمور قبل أن تبتلعني.. وكنت أترك لقلبي وعواطفي وعقلي العنان... بلا قيود..[١]

كان له أحلام للرحلات، أحلام حققّها، وقدم لنا نماذج حية لأدب الرحلات وأدب الطبيعة أو الغابات، ومن هنا نرى تأثير الأحلام في تكوين شخصيته، كما عاش في الخيال، والذي غرّس في نفسه منهج" الخيال العلمي" فيما بعد، ومن هنا نبع فيه مفكر عريق الخيال.

ونرى أنه كان مولعاً بعلم الأفلاك والنجوم، ولغرقه في التفكير منذ صباه دور كبيرفي ولوعه به، وعندما تخرج من كلية الطبّ وأسس مسجده اشترى التلسكوب الكبير ومعارفه الكونية وأسراره. وقد أخرج كتبا قيمة بعد أن اكتسب شعبة من هذه الثقافة ويروي لنا مصطفى محمود حكايته مع الفلك قائلا:

" منذ صغري وأنا شغوف بالترحال في الأرض والتجول ببصري في السماء وما يسبح فيها من كواكب.. وفي سن الخامسة عشرة صنعت لنفسي أول تلسكوب كاسر صغير ونظرت إلى القمر لأول مرة من خلال العدسات... وبهرني منظرالقمر وجباله وفجواته البركانية وبدأت أقرأ كل ما يقع تحت يدي من كتب عن المجموعة الشمسية وكواكبها وفي الثلاثينات من عمري كنت أتابع كل معارض "زايس" في القاهرة.. وأعازل بعيني أنواع التكسوبات الكاسرة والعاكسة وأنظر في يأس إلى أسعارها التي تتجاوز ما في جيبي أضعافاً مضاعفة.[٢]

إلاّ أنه كان استطاع فيما بعد أن يشترى تلسكوب كبير ونصبه في منزله حيث ابنته آمل كانت تعيش. كما لم يكن المناخ الثقافي لهذه الفترة بوحده سبب في تكوين شخصيته لعب والديه دورهما في ترويضها وصقلها، خاصة والده جعله مألوفا بالكتب والمجلات. وقد اعترف الدكتور به في قوله:

---

[١] - الحلقة الثانية: الوصول إلى اليقين يحتاج إلى جثة بـ ٥٠قرش: جمعه حمدي.

[٢] - حكايتي مع الفلك، مصطفى محمود. نقلاً عن موقع جمعية مصطفى محمود من الرابط التالي:

http:// dmodtafa mahmaud.blogspot,in/2010/blog-post_13.html.

" أبيّ شكلّ الدعم الأكبر في هذه المرحلة.. فمن المشاهدة التي لا أستطيع حتى اليوم أن أنساها أبداً أنه بينما كان الآباء من جيراننا يدخلون بيوتهم وفي يد الواحد منهم كيس من الفاكهة أو الخضار، كان أبي يترك شئون البيت هذه لأمي، فأبى لم يدخل البيت أبداً وهو يحمل" ربطة فجل"، كان يحمل دائماً في يديه المجلات والكتب.."[١]

فالبيت هو المدرسة الأولى للأولاد، الآباء والأمهات مسئولة عن تربيتهم، وقام والده، بأداء هذه المسئوولية حتى أصبح عاملا مؤثراً في تكوين شخصية ابنه رغم وفاته قبل أن يقطع ابنه هذا، عشرين ربيعاً من حياته.

وعندما انتقل أبوه من قريته إلى مدينة طنطنا، أصبح العامل البيئي هناك أيضا من عوامل تكوينه الثقافي، كما يقول مصطفى محمود :

" الحياة في طنطنا في جوار السيد البدوي وحضور حلقات الذاكرة والمولد والناي ومذاق القراقيش وابتهالات المتصوفة والدراويش، كان لها أثر في تكوين الفنّي والنفسي".[٢]

وقد ساعد الناي وابتهالات المتصوفة والدراويش في مبارته في الناي، ومعرفته عالم المتصوفة وأسرارهم، والسّر الأعظم من أهم الانجازات العلمية والفكرية.

ومن عوامل التكوين الثقافي الداخلي قد يكون انقطاع دراسته لمدة سنتين فأكثره، عندما سقط مريضاً بعد سنوات من التحاقه بكلية الطبّ. وإن المرض والمعاناة والعزلة الطويلة في غرف المستشفيات فجّرت مواهبه، ويرى مصطفى محمود بأن الألم كان الأب الحقيقي والباعث لكل هذه الإيجابيات والمكاسب التي كسبتها كإنسان وفنّان وأديب ومفكر، والألم أيضاً هوالذي صقل أخلاقه وجلا معدن نفسه وفجر الحس الديني في داخله وكان أداة التنوير والصحوة والتذكير بالله، كما يشير إلى هذا العامل ودوره في تطور إيجابي في شخصيته:

---

[١] - الحلقة الثانية: الوصول إلى اليقين يحتاج إلى جثة بـ ٥٠قرش. جمعه حمدي.

[٢] - سيرته الذاتية بقلمه. منشور على الرابط التالي:

http://www.Hrdiscussion.com/hr7249.html#sthash-Br0FVopN.dpuf

" وفي السنة الثالثة من كلية الطبّ احتاج الأمر إلى علاج بالمستشفي سنتين، وأدي هذا الانقطاع الطويل إلى تطورإيجابي في شخصيتي، إذ عكفت طويل هذه المدة على القراءة والتفكير في موضوعات أدبية، وفي هاتين السنتين تكونت في داخلي شخصية المفكر المتأمل وولد الكاتب الأديب، وحينما عدتُ ’إلى دراسة الطبّ بعد شفائي كنت قد أصبحت شخصاً آخر، أصبحت الفنان الذي يفكر ويحلم ويقرأ ويطابع بانتظام أمهات كتب الأدب والمسرح والرواية..."[١]

وأكبر دور هذا العامل يتمثل في نقطة التحول من الطبّ إلى الأدب والاهتمام بالكتابات الصحفية.

كما نرى أن لحبّ الاستطلاع والاكتشاف، والبحث المستمر عن معنى الحياة دور كبير في تكوين شخصيته الفكرية والتأملية. يفتح مجموعته القصصية الأولى" أكل عيش" بهذا المنطلق:

" أريد لحظة انفعال.. لحظة حبّ..لحظة دهشة... لحظة اكتشاف... لحظة معرفة.. أريد لحظة تجعل لحياتي معنى.. إن حياتي من أجل أكل العيش لا معنى لها، لأنها مجرد استمرار..."[٢]

وتتجلى محاولة البحث عن الحياة في كتاباته كلها، خاصة في مجموعته القصصية الأولى أكل عيش، في قصة حلاوة السكر، و"اللي يكسب" وقصة الانتحار. وعند هذا نتوقف عن ذكر العوامل الداخلية والبيئة لندخل في العوامل الخارجية من الاتجاهات والتيارات السائدة، وعلى الرغم من أنه لم يشكلّ تيارا أدبيا جديدا وآثر أن يتخذ موقفا بعيداً عن الحركات المتطرفة في مسايرة العصر، سواء في مجال الفكر أو في مجال الأدب، فإن ما كتبه يعدّ إحساساً عميقاً بالعصر الذي عاش فيه، وتحيلاً حافلاً بالأراء حول طبيعة هذا العصر. إلا أنه تأثر نفسيا وشخصيّا وثقافيا من الاتجاهات والتيارات السائدة فاختياره للموضوعات التي تناولها يعكس الكثير من الاتجاهات والاهتمامات

---

[١]. نفس المصدر.

[٢]. أكل عيش: مصطفى محمود (مع مقدمة جلال العشري)، ص٤٩.

الفكرية المعاصرة، وتناوله لهذه الموضوعات يكشف عن عقل ذكي وحساس، ينزع نزعة إنسا نية، ويجاهد للوصول إلى حلّ لبعض المشكلات التي تؤرق ضمير الإنسان الحاضر.[١]

وهنا نذكر أهم الاتجاهات والتيارات والعوامل وإن كانت لها أدنى تأثير في تكوين حياته الثقافية أو يستقي مادة كتابته منها:

- **العامل الاشتراكي**:

ما كان مصطفى محمود إشتراكيا، ولكنه عرفه حق المعرفة، والاتجاه الاشتراكي كان سائداً في المجتمع المصري آنذاك الوقت، خاصة حتى عصر جمال عبد الناصر. ومقالته" الخروج من مستقنع الاشتراكية" تسبب الحرمان لمدة سنة عن الكتابة بعد ما تم الخطر عليه.و" اليسار" كان وجهة سياسية متداولة، والذي قال عنه قوله الشهير" حيثما تحرك اليسار تحرك معه الدمار" في كتابه "لماذا رفضت الماركسية"، وندد جملة وتفصيلا أكذوبة اليسار الإسلامي. وخلال فترة ما بين ١٩٠٨م و١٩٢٢م برزت في ساحة السياسة المصرية لأول مرة في التاريخ حزبان اشتراكيان" الحزب الاشتراكي المبارك"و"حزب العمال"، واتسما بتوغلهما في الماركسية. ويعتبر شبلي الشميل من الشخصيات البارزة التي ساهمت في إثارة الفكر الإشتراكي من خلال مجلته" الهلال" منذ عام ١٩٢٣م. وجاءت ثورة يوليو ١٩٥٢م بنتائج حاسمة للحكم الاشتراكي في مصر من رئاسة جمال عبد الناصر. والذي اتخذ قرارات اشتراكية إبّان حكمه خاصة في تحقيق مبادئ الثورة الستة من القضاء على الاستعمار وأعوانه، والقضاء على الإقطاع وسيطرة رأس المال، والقضاء على الاحتكار، وإقامة عدالة اجتماعية، وإقامة جيش وطني، وإقامة حياة ديمقراطية سلمية.[٢]

---

[١] - مصطفى محمود مفكراً إسلامياً، مامون غريب، ص١٠.

[٢] - الاشتراكية العربية ومكانها في النظم الاقتصادية، د. جمال الدين محمد سعيد، ص ٤٦.

وبما أن الفكر الاشتراكي ظلّ جاثما على السياسة المصرية خاصة في عصر الرجل الحديدي، فلا بدّ أن يؤثر في النفوس، أويتأثر به الآخرون .وكما ذكرنا أن مصطفى محمود لم يكن منحازاً إلى الفكر الاشتراكي، ولا يميل إلى أهل اليمن، بل عكف الوسيطة، فلا نكران لوجود الإصلاحات الاشتراكية دور في تكوين شخصيته الفكرية، وأما فيما يتعلق بتناول الموضوعات المتفرعة عن الاشتراكية فهو ثابت بداهة.

- **العامل المادي: عندما** دخل مصطفى محمود في ربيع حياته خاصة في الخمسينيات وجد حوله التيار المادي مهيمناً على المثقفين، والذين يرفضون الغبييات، فكان من الطبيعي أن يتأثر بما حوله. ومع هذا العقل العلمي المادي دخل في عالم الفكر والعقيدة، وكانت الشعوذة والخرافات السائدة بين بعض رجال الدين خاصة من المتصوفة أدت إلى شدة عكوفه على التيار المادي، كما صرّح به في الحلقة الأولى، والتي عنعنوت بـ"رحلة الشكّ" تبدأ من صر صار" وهو يتحدث عن الشيخ محمود والذي قال ذات مرة في إحدى حلقات علمه:

" شوفوا يا ولاد أنا سأقول لكم على طريقة تقضون بها على الصراصير و الحشرات الضارة في المنزل، وهي طريقة دينية عظيمة جداً، وكل واحد يفتح الكراسة وسوف أعلى عليكم هذه الطريقة العظيمة الجديدة (بعد ما انتهى من سرد بعض الآيات والطلاسم) الصقواهذه الورقة على الحائط وسوف تكتشفون أن الصراصير سوف تموت موتاً شنيعاً على هذه الطريقة الدينية العظيمة".[1]

ولكن النتيجة جاءت فاشلة، الصراصير لم تتراجع بعد، بل زادت واتخذت من هذه الورقة التي يوجد بها التعويذة ملجأ ومر تعاً لها.[2] وقد آثرت هذه الشعوذة

---

[1] . الحلقة الأولى : رحلة الشكّ تبدأ من صرصار (من مذكراته)، جمعها د.حمدي، راجع للإطلاع على الحلقة الكاملة:

http:// manaraq.mamq.com/t 2655-topic# ixzz3e6RVcJH2

[2] . نفس المصدر

تأثيراً سلبياً وأصبحت بذرة شك في قلبه، وأدى إلى شدّة إلى التعلق بالمنهج الجدلي المادي. وهذا العامل المادي البحث يوجد في كتابه" الله والإنسان " و " نفرة الحياة والموت" ويعترف بتأثيره في نفسه قائلاً:

" إن زهوي بعقلي الذي بدأ يتفتح، وإعجابي، بموهبة الكلام ومقارنة الحج التي تفردت بها، كان هو الحافز، وليس البحث عن الحقيقة ولا كشف الصواب، لقد رفضت عبادة الله لأني استغرقت في عبادة نفسي، وأعجبت بومضة النور التي بدأت تومض في فكري مع انفتاح الوعي وبدايةالصحوة من مهد الطفولة"[1]. وبتأثره من العامل المادي أصبح فريباً من الأيام الغزالي-رحمه اللهه- والذي بقى شاكاً في اليقين لمدة ستة أشهر، وفصّل حالته هذه في كتابه الشهير " المنقذ من الظلال"، ثم هدي غلى اليقين ومعرفة الله تعالى. ولا بدّ أن نشير إلى أن هيمنته المادية طرأت عليه في بداية حياته، ثم قيّض الله الرجوع إلى الإيمان واليقين، كما تحدث عن رحلته من الشك إلى الإيمان في كتابه " رحلتي من الشك إلى الإيمان" . ومع هذا، إنه لم ينف وجود القوة الإلهية، ولم يكن الشك في ذات الله تعالى بسبب إنكار أو عناد أو كفر وإنما كانت إعادة نظر منهجية حاول أن أبدأ فيها من جديد بدون مسلمات موروثة، ولم يفقد صلته بالله طوال رحلته. وتتخلص رأيه بعد أن هُدي ’لى اليقين، فيما يلي:

" أن الأيديولوجية الإسلامية تعمل على إشباع الحاجات الروحية للإنسان، وليس المادية فقط، فالمسلم حينما يتصدق أو يزكي فهو يتعامل مع الله لما أخبرنا به الرسل- ﷺ- من أن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد المحروم، وهذا- عند مصطفى محمود- ما يعطي للمنهج الإسلامي خصوصية وسمّواً في الهدف، إذ يشعرالمسلم برقابة من الله، ورقابة من الضمير، وعلى ذلك

[1]. رحلتي من الشك إلى الإيمان : مصطفى محمود.ص ٧.

فالصبغة الروحية للنشاط الاقتصادي شرط من شروط الإسلام، فليس في الإسلام ما هو روحي وما هو مادي".[١]

هكذا جمع في عقليته الروح والمادة معاً، بدون إعطاء هيمنة للمادة، الحاجات الروحية هي الأصل، ليست الاحتياجات المادية، فلا بدّ من خضوع المادة لصالح الروح.

- **العامل الوجودي**: العامل الوجودي تمخّض عن التيار المادي، بتزايده في الستينات، يعني أن المنهج العلمي الديكارتي أو المنهج الجدلي الذي يتسم بالتيار المادي لايثبت الوجود إلاّ بالدلائل المادية الملموسة، فلا وجود للغيبيات وعلى رأسه وجود "الذات الإلهية"! والتغلغل المادي الوجودي في الكتّاب والمثقفين- وعلى رأسهم من أهل اليسار والماركسيين- أصبح يتعدى إلى الآخرين، حتى تأثر به مصطفى محمود، وظلّ تائهاً في بوقه الوجودية يواجه المعاناة والشك والنفي والإثبات ثلاثين عاماً، يبحث عن الوجود، وجود الله تعالى، من خلال دليل مادي.

ثلاثون عاماً من المعاناة والشك، والنفي، والإثبات، ثلاثون عاماً من البحث عن الله! قرأة وقتها عن البوذية، والبراهمة، والزرادشيته، ومارس تصوف النهدوس القائم عن وحدة الوجود حيث الخالق هو المخلوق، والرب هو الكون قي حد ذاته، وهو الطاقة الباطنة في جميع المخلوقات.[٢]

إلاّ أنه لم يلحد، حيث لم ينف وجود الله بشكل مطلق، ولكنه كان عاجزاً عن إدراكه في الإطار الوجودي المادي، ولكن بعد البحث والتحقيق والتأمل رأى موضع الخطأ، في المنهج الاستدلالي، الذي تعود عليه الناقدن خاصة ممن سوّات لهم أنفسهم الاعتماد العامي على " المنهج الجدلي" أو " المنهج

---

١ - إنه مصطفى محمود (مقال)، انتصار سليمان- مصطفى سليمان. مجلة الشباب، عدد ٢٥٤،بتاريخ ٢٠٠٦/١١/١م. وصحيفته الجزيرة الثقافية،٤/رجب ١٤٢٩،عدد ٢٥٤، يوم الاثنين على موقعها الرسمي.

٢ - بنوع مبكر، مقال منشور على الرابط التالي:

www.tamecom1. mareyu/t 15811.html

الديكارتي"، فقام على المنهج التكاملي، حيث الظاهرة متشابكة مع بقية الظواهر الأخرى، بحيث لا يمكن دراستها من زواية واحدة، ولايرفض بكارتها من خلال منزور واحد، ففي دراستها بمعزل أو على حدة موت لها وقضاء عليها وسلب لما فيها من حياة، فالوجود الذي نعيش فيه على حدّ تعبير مصطفى محمود ليس وجوداً معككاً، ولكنه وجود متسق منظم تربطه القوانين.. والاختلاف الظاهرية في الأشياء خلفها وحدة حقيقية، هذه الوحدة الحقيقية ليكن اسمها ما يكون، ولكنها على اختلاف المسمّيات جميعاً.. هي الشئي، هي الغاية، هي السبب، هي الحقيقة، هي الله! [١]

وقد جاء سارتر الفيلسوف الفرنسي الملحد بالفلسفة الوجودية والتي تأثر به مصطفى محمود في بداية الأمر ولكنه مع زوال الالتباس قام بتحليل هذه الفلسفة وعشوائيتها ورأى أنه وراء هذه الأفكار المادية أيدي اليهود. كما يقول:

" وعلى نهج فرويد في تفسير سلوك الإنسان بالحوافز الجنسية سار الفكر الماركسي قي تفسير سلوك التاريخ بالحوافز المادية. ثم جاء هربت ماركوز ليستفز الشباب إلى حالة رفض مطلق وثورة مستمرة لتفجير المجتمع بعد أن تكاسلت البروليتاريا عن تلبية نداء الفكر الماركسي لتهديم البنيان الاجتماعي وأخلدت إلى الترف وإلى رشوة الراحة والبقشيش السخي الذي قدمته إليها الرأسمالية... وليست مصادفه أن روّاد تلك الأفكار المادية كانوا جميعاً من اليهود.. [٢]

وعلى هذا الشاكلة نرى التيار الوجودي كعامل مؤثر في تكوين شخصيته مصطفى محمود إلاّ أنه زال ووفقّ في معالجته بالهداية الربانيّة، بل جرده من رداءه المزيف.

---

[١] . مصطفى محمود شاهد على عصره، جلال العشري، ص ١٠.

[٢] . مصطفى محمود مفكراً إسلامياً: مامون غريب، ص٣٦.

- **الثقافة الأجنبية**: قد تأثر مصطفى محمود بالثقافات الأجنبية والديانات الأخرى من الهندوسية والبوذية وزارداشتية، ومن فلسفتها من تناسخ الأرواح، واليوجا. كما يقول:

" وضمن هذه المسيرة كانت هناك مسيرة أخرى مع الفلسفة والأديان... من أيام الهندوسية وكتب الغيدان الهندية، وبوذا، وزارداشت واليوجا... وكانت لي جلسة طويلة مع اليوجا.. تعلمتها على يد السفير الهندي في القاهرة" أبابانت"..[١]

وقد تأثر بيوجا، وذكره في بعض قصصه، في مجموعته القصصية الأولى " أكل عيش" حيث أبرز دوره في العمل والحبّ:

" فإذا كان المرء على وعي كامل بما يعمل، أصبح العمل بمثابة اليوجا للعمل، واللعب بمثابة اليوجا للعب، والحياة اليومية بمثابة اليوجا للحياة اليومية، وممارسة الحب كاليوجا لممارسة الحبّ."[٢]

وعقيدة التناسخ جعلته يتحول ويتناسخ من كائن إلى آخخر، ومن شئ إلى شئ، في رحلة حياته. والتي رحلة ممتعة مليئة بالمغامرة والكشف والبحث... والتناسخ يحيط به كظلّ لاينفكّ عنه، دعنا نتابع تناسخه في رحلته التي يحكي عنها بلسانه:

" هل أنا في عالم الحقيقة أم في عالم الخيال،لا أدري سوى أنني مع راغب دميان في " العنكبوت" أتحول وأتناسخ معه من شجرة إلى إنسان إلى ثعبان، ها أنا الآن موجة قصيرة تسبح في الكون، تحاول أن تتعرف على "لغز الحياة" وعلى الرغم من هول الأسرار وعظم الألغاز إلاّ أنني قررت أن أتخطى الحجاب الحاجز لأعرف " لغز الموت" و " الجنة والنار" وما بين رحلاتي من الحياة إلى الموت عرفت " عظماؤ الدنيا

---

[١] - مصطفى محمود مفكراً إسلامياً: مامون غريب، ص٦٢.

[٢] - أكل عيش، مصطفى محمود، (مقدمة جلال العشري، ص ١٨-١٩)

والآخرة"، ثم" أعود إلى الحياة مرة أخرى لأكتشف أنني مازلت" رجلاً تحت الصفر"، لا بدّ لي من الجلوس في " عنبر سبعة" لاستريح قليلاً بعدها أدخل " على خط النار" لأجد أن هناك مشاكل كثيرة في انتظاري ولكن عزائي أني أجد فيها " الشفاعة" ولذلك قررت أن أشترى تذكرة أعرب رحلة في حياتي (رحلتي من الشك إلى الإيمان) لأدخل بعدها في مقارنة جادة بين الماركسية والإسلام، ثم يقولون المقارنة إلى " حوار مع صديق الملحد" بعدها أعلن أنني " رأيت الله" ولن أمن بأحد سواه لأنني عرفته حق المعرفة وهذا هو "السر الأعظم" وعرفت أيضاً عدوى " المسيح الدجال"[١].

وفي هذه الرحلة نرى تحولاً يتناسخ يدل على تعبير لثقافة مستورد، من الثقافة الهندوسية القديمة. وروايته " العنكبوت" تمثل التناسخ في شكل بسيط. كما تدل حكاية رحلته على تحولات عديدة وهي لا تقع إلاّ بعد تغيرات في طريقة أفكار بتأثره من مكونات التكوين الثقافي والنفي العديدة، كما نصل من خلالها إلى عامل آخر، مؤثر في تكوينه الثقافي، وهو التصوف.

- **التصوف**: وللتصوف أثر بالغ في تكوين حياته الثقافية وتوجيه أفكاره في النهاية إلى جانبه الأصلي، وقد عاش طفولته في مدينة طنطنا حييث كانت ضريحة السيد البدوي، وحلقات الصوفية والمتصوفة حولها غرست في مصطفى محمود جذورة تصوف امتدت معه طول حياته. وكان له شيخ صوفي ظهر في القرن الرابع للهجرة وهو محمد بن عبد الجبار النفري، صاحب " المواقف" وكتاب "المخاطبات" ولهذين الكتابين أثر كبير في تكوين مصطفى محمود

[١]. مصطفى محمود" ... الذكري الدائمة، أيمن يحيى، انطباع منشور في" المصري اليوم" مؤرخاً: ٢٠٠٩/١٢/٩م. ومتواجد على مدونة مصطفى محمود.

الثقافي"... وبعد رحلته من الشكّ إلى الإيمان، ازداد اهتمامه بالتصوف حتى غرق فيه، كما يقزل:

" وغرقت من التصوف ورجال الصوفية وطلاسم العارفين بالله... وكتبت كتابي" السر الأعظم" وأنا في هذا البحر.. ولاشكّ الآن في أن علوم التصوف الإسلامي هي بحر عظيم تصبّ فيه جميع الجداول وتجد فيه كل المعارف وتكاد تكون أعظم ما أخرجته المكتبات الأوربية من مؤلفات (كانت) و"هيجل" وتكاد تكون كلها مجرد روافد من هذا البحر العظيم".[١]

وقد وجد مصطفى محمود ضالته في التصوف وانتهت رحلته إلى الإيمان بوصوله إلى معرفة الله حق المعرفة وأودعها في" السر الأعظم" وفلسفة رحلته إلى السر الأعظم تعني هجرته لأدب الدنيا من أجل أن يستوطن أدب الآخرة. فهو في أدب الآخرة، لا يبحث عن شئ وإنما يفني عن كل شئ، ولا يحاول أن يمتلك شيئا، وإنما يتخلص من أي شيئ .. إنه أدب من أعرض عن الدنيا، وأقبل على الدين، وتذوق أسمى معاني الحب، وأسنى آيات الجمال، وحاول أن يحقق في نفسه هذه المعاني وتلك الآيات تحقيقا يتمثل في إقباله على الله، وإعراضه عما سواه، وفي جهاده في سبيل الله، وابتغائه بهذا الجهاد وجه الله تعالى!! [٢]

- **الطب وعلم الفلك:** ومع علو كعبه في الأدب والعلوم الاجتماعية كان متضلعاً بعلم النجوم والأفلاك، ومولعا به. كما أشرنا إلى شدة تعلقه به. والذي أدى إلى التفكير والتأمل في الكون والحياة والممات مما نتج عنه نمط فكري جديد، يتسم بالعقلية والبحث عن المعنى للحياة والممات، كما أن دراسته للطب، أتاحت له معرفة الكثير من أسرار الجسم الإنساني، وكيف يعمل، وما الذي اكتشفه العلم في هذه القارة المعمورة في أعماق كل منا، وما الذي وقف العلم عاجزاً حتى

---

[١]. مصطفى محمود مفكراً إسلامياً: مامون غريب، ص ٦٣-٦٤.

[٢]. مصطفى محمود شاهد على عصره ، جلال العشري، ص ٣٠١.

الآن وما هو مستحيل أن يجد له العلاج في يوم من الأيام وهو لغز الموت[1]. وقد نتج نبوغه في الطب والفلك عن برنامجه التلفزيوني الرائع الجامع بين العلم والإيمان في حلقات كثيرة تبلغ نحو ٤٠٠ حلقة.

هذه هي بعض العوامل الرئيسية التي أثرت في شخصية مصطفى محمود، ووجهت أنماط أفكاره، و إن تختلف فترة هيمنتها وتتنوع أساليبها، إلا أنه من بصيرة النافذة البراقة ووعيه التام حتى لم يدع لأي تيار أو اتجاه معين يظل جاثماً، ومن ثم جعل يتراوح بين أفكار كثيرة، لايعكف على مذهب معين، بل تتغير وجهة نظره مع كل اكتشاف، ولم يخضع لأي اتجاه خاص في حياته ومن ثم في شبابه وكهولته أصبح عدواً لليسار واليمين معاً، ولكننا نرى أن البعد عن الثقافة الدينية المستقاة من الكتاب والسنة والغلو في التفكير بعض الأحيان أدى إلى اضطرابات فكرية وذاق ويلاتها ومُرارتها غير مرة في حياته.

[1]. مصطفى محمود مفكراً إسلامياً: مامون غريب، ص ٤٨.

الباب الثاني

أعمال مصطفى محمود وانجازاته الكتابية والإعلامية والخيرية

الفصل الأول: أعمال مصطفى محمود الكتابية

الفصل الثاني: أعمال مصطفى محمود الإعلامية؛ الصحافية والتلفزيونية

الفصل الثالث: أعمال مصطفى محمود الخيرية

قالت أمل بنت مصطفى محمود، وهي ابنته ومرافقته الوحيدة- كلمتها المشهورة "قيمة الإنسان هي ما يضيفه إلى الحياة بين ميلاده وموته" عندما أرادت صحيفة الجزيرة الثقافِيَّة إصدار عددها الممتاز لتكريم مصطفى محمود، وتضمنت الصحيفة كلمتها هذه في نهاية الملف[1] وتمثل الكلمة كل ما يقوم به الإنسان في حياته من أعمال وخدمات في شتى مجالات الثقافة التي يتثقف بها لا لأنها تقصد أمل بكلمتها هذه ، مجد أبيها العلمي ولا الأدبي والماري بل اتخذتها تشير إلى عطائه الإنساني، كما تقول "والمقصود بالأمانة هنا، ليس المجد الأدبي والعلمي والماري بل العطاء الإنساني لوجه الله تعالى، وكل ما يفيد البشر..أي العطاء والخيروالمساعدة للغير فهو إنسان شديد التسامح حتى لمن أساء إليه قولا وفعلا.... [2] – ولكننا أن القيمة الحقيقة للإنسان يمثلها كل ما يخلفه وراء من خدمات وأعمال في شتى مجالات حياته الثقافية والعقلية.

وعندما نقوم باستقصاء كل ما أضافه مصطفى محمود إلى الحياة ما بين ميلاده وموته نجد أعمال هائلة، قد تكون ضخمة، من خلال كتاباته العلمية والأدبية والدينية والفكرية، ومقالاته الصحفية، وحلقاته التلفزيونية وأعماله الخيرية والإنسانية: فقد ألف ما يربو على ثمانين فأكثرمؤلفا مابين القصة الرواية القصيرة، والكتب العلمية والفلسفية والاجتماعية والسياسية، وقدم برنامجه " العلم والإيمان " في ٤٠٠ حلقة، تنور القلوب وترشد العقول للرجوع إلى التدبر في الكون حتى يؤمن بها خلق كثير ويزداد الآخرون في الإيمان بربهم، كما أسس مسجدا باسمه "جامع محمود" والذي اتخذه مصلى وقاعة للمحاضرات ومقرا " لجمعية مصطفى محمود الخيرية" بحي المهندسين بالجيزة، والجمعية نعد مشروعا خيريا متكاملاً، وتضم مسجداً، ومستشفى، والمعامل والمراكز البحثية ولقاءات الدعوة، في الواقع أن المسجد يضم هذه المشاريع الخيرية والدعوية والبحثية والإنسانية.

---

[1] صحيفة الجزيرة الثقافية ٤٠رجب ١٤٢٩ رقم العدد: ٢٥٤، على الرابط التالي : (http://www.al-jazirah.com.sa/sulture/2008/07072008/speuss30.htm)

[2] نفس المصدر

هذا، لا يعني أن أعماله لا تخلومن نقص، فقد أبى الله أن ينفرد أحد بالكمال ولم يبرأ أحد من النقصان فصادف مصطفى في حياته أزمات عديدة حيث وجهت إليه سهام النقد من قبل الناقدين، خاصة في أعماله الكتابية، وأثارت معظم مؤلفاته وكتاباته جدلا بين الأوساط العلمية وخواصهم. وللعثور على هذه الإضافة الثرية إلى الحياة الثقافية العربية المصرية وتقييمها نستعرض أعمال مصطفى محمود الكتابية والإعلامية والخيرية في فصول ثلاثة آتية.

الفصل الأول
أعمال مصطفى محمود الكتابية

سبقت الإشارة في الباب الأول من خلال حديثنا عن حياة مصطفى محمود إلى أنه عاش منذ نعومة أظفاره في الأحلام، والحلم بدأ يتطور إلى الخيال، وهو ينتج عن البحث والاكتشاف..الخيال يعتبرمن أحد عناصر لأدب والكتابة. وكان مصطفى محمود يعيش في الأحلام والأخيلة وهو في طفولته في المدرسة الابتدائية في طنطنا، كما يصف حالته الشعرية وهوفي هذه الأحلام.

"عندما كانت تنزل الأمطار تحول الحوش إلى بركة...فكان الأولاد يرشون على الماء..أويتزحلقون على الطين بينما أقوم أنا بصنع زوارق من الورق والعب بها وأتخيل متى تأتي محملة بالعطور من الهند... ولا أنسى منظر زواق الورق وأنا جالس في حالة شعرية.. وطبعا هذا يعطيك اختلاف الزوايا... فأنا أخذت زاوية من هذا الخيال الذي كنت أجوب به عالم الطفولة...."[١]

وفي هذه الحالة الشعريّسة بدأت المحاولة الإبداعية تنشأ رويدا رويدا في داخله والتي تدفقت في سنه التاسع عندما وقع في أول حب مع بنت جيرانه، اسمها "عدلية". وهي كانت في نفس المدرسة في قسم البنات، وبسبب جمالها كان كل من الزملاء يحاول أن يظهرلها أنه فارس، وكان مصطفى محمود يتفوق عليهم جميعا، و يذكر مصطفى محمود سببه قائلا:

"لأنها كانت تحب الحكايات وكنت أخترع الحكايات من وحي اللحظة"[٢]

وبسب موهبته الابداعية كان يحكيها حكايات غريبة عن حوريات وأبطال وفرسان، وبه يفوز بإعجابها. وكان يهديها رواية شعر لشوقي، وعندما دخل في المرحلة التالية بدأت مواهبه الإبداعية تتدفق بأكثر...إلى أن أصبحت هذه المرحلة بما وصف به

---

١ مصطفى محمود مفكر إسلامي: مامون غريب، ص ٥٧-٥٨

٢ نفس المصدر، ص ٥٨

مصطفى محمود بمرحلة الزجل والشعر وتأليف القصة. وحينئذ كتب أول بيت شعرفي حياته:

صرع الحب فؤادي فاشتكى ماله عن صاحب غيرالبكا[1]

وازداد اهتمامه بالكتابة الإبداعية مع مضي العمر، ويتحسن أسلوبه، يعجب بكتاباته من يقرأها. وذات مرة أرسل إلى أخيه خطاباً يتحدث فيه عن أيام المصيف التي قضاها بمدينة بورسعيد، وعندما قرأه صديق أخيه "محمود محمود الصياد" أحد نجوم التجويد، بشرأخاه مصطفى محمود بأن أخاه سوف يكون له شأن كبير فيما يكتب.[2]

وظهر نبوغه الإنشائي أثناء دراسته المدرسية مرة أخرى، حيث فاز بجائزة المدرسة لأحسن قصة باللغة الانجليزية من فقد استقى مادته مما حدث له في حياته، قصة رعب مثيرة للغاية. نقدم القصة فيما يلي على لسانه:

"كنت في هذه الأيام مريضا جدا ودرجة حرارتي منخفضة وضربات قلبي ضعيفة؛ لذلك استدعت أسرتي الطبيب الذي كان سمعه ضعيفا فلم يسمع ضربات قلبي؛ وظن أنني فارقت الحياة فتوجه إلى الأسرة بوجه شاحب يتصبب منه العرق، قائلاً: "البقاء لله، لقد مات هذا الولد المسكين" فما كان من أمي إلا أن رقعت بالصوت، وحزن جميع أفراد العائلة على فراقي، وكفنوني ووضعوني في النعش؛ ولكني استعدت وعيي بعد وقت قصير وفتحت عيني لأجد نفسي في ظلمة دامسة وملثما بالكفن؛ فشعرت بالرعب الشديد لماأنا فيه ، وثارت في ذهني أسئلة متعددة، وكان بينها: أين أنا؟ وكيف سأخرج من هذا النعش؟ وعندما استعادتني الأسرة كانت فرحة بلا وصف، وربما كان هذا الحادث داعيا لان يطلقواعلي لقب الممسوس أوالملبوس، وسهل لي لقب المشرمجي فيما بعد"[3]

---

[1] نفس المصدر، ص ٥٨

[2] الحلقة الثالثة : عندما كفنوني ووضعوني في النعش حيا(من مذكرات مصطفى محمود)، جمعها د. حمدي رابع للإطلاع على الحلقة الكاملة إلى الرابط التالي:
Http://mamq.com/t2657-topic#ixzz3e6UXsnM6

[3] نفس المصدر.

كانت القصة مثيرة لفضول الأساتذة، وقد عنونها بـ" ضعف سمع الطبيب تسبب في تكفيني" والقصة تدل على طبيعته الإبداعية، حيث مضمونها مستقاة من حادث حقيقي حدث في حياته.

ثم كتب أول نتاجه القصصي في مجلة "الرسالة" سنة عام ١٩٤٨، والتي أثارت غضب أمه عليه. إنها غضبت لطريقة حياته تلك بين تردده على الأفراح بالسيدة زينب، والكتابة في الصحف، وكيف يوفق بين العمل في الصحافة والدراسة بكلية الطب.[١]

وعندما ازداد النقاش ومحاولات إيقافه عن الكتابة من قبل الأسرة، غادر المنزل، وانقطعت دراسته ليستقل اقتصاديا، ومن هنا، يدخل في فن الكتابة بشكل وظيفي، حيث بدأ يعمل في جريدة "النداء" على مرتب شهري يبلغ نحو ١٢ جهينا. وقد أشرنا في الباب الأول خلال حديثنا عن نشأته حتى مرضه ثم عودته إلى دراسة الطب، إلا أنه مازال يعمل مع كامل الشناوي في الجريدة المسائية، ثم مع أسرة مجلة التحريرفي بداية إنشائها سنة ١٩٥٢ من الميلاد،[٢] وبعد التخرج من كلية الطب عام ١٩٥٣م اشتغل بالأمراض الصدرية حتى عام ١٩٦٠م ثم تفرغ للكتابة، إلا أنه واصل ممارسته الكتابية وعمله في الصحف والجرائد والمجلات، وقد صدرت مجموعته القصصية الأولى "أكل عيش" في ١٩٤٥م، وتبعه كتابه "الله والإنسان" عام ١٩٥٦م، والذي أثارضجة كبيرة، وواجه نقدا لاذعا من قبل بعض الناقدين، حتى اتهم بالإلحاد، وانتهى حاله إلى المصادرة.[٣]

هنا نريد وقفة مع مصطفى محمود، لنعرف ولوعه بالكتابة، على الرغم من احترافه الطب، ومتخصصا في جراحة المخ والأعصاب! فماذا يملك الطبيب من

---

[١] مصطفى محمود مفكرا إسلاميا :مامون غريب،ص ٦١
[٢] نفس المصدر ص ٦١
[٣] نفس المصدر

إمكانات تشجعه على أن يكون أديبا وفنانا؟ فقد أجاب هو نفسه عندما ألقي عليه هذا السؤال قائلا:

"للطب علاقة وثيقة بالحياة وأسرارها وخفاياها، فالطبيب هو الوحيد الذي يحضرلحظة الميلاد ولحظة الموت، وهوالذي يضع يده على القلب ويعرف أسرارنبضه، وكل الناس يخلعون ثيابهم وأسرارهم، بين يدي الطبيب، فهو الوحيد الذي يباشر الحياة البشرية قضى بأنه لا غنى لأحدهما عن الآخر، يعني الطب والأدب، وكذلك الطبيب والأديب"[1]

وقد ساعدت ثقافته في مجال الطب والنجوم والأفلاك في براعته العلمية والكتابية، واستطاع أن يخرج من داخله فنان له باع طويل في الإبداع في مجالات شتى. هكذا أصبح كاتبا له صولة وجولة، وفي قليل من الوقت طار اسمه، وذاع صيته، وأصبح الناس في فئات؛ فئة تؤيد ه وتوازره، وفئة تنقد عليه نقدا لاذعا وتجرده من كل إحسان، وفئة تقف منه موقف حذرواحتياط، وعدل؛ تقبل رأيه فيما لايخطي ولايتعثر، وترفض فيما يحيد عن جادة الصواب، والذي كان ديدنه نفسه، من رفض الشك ومظاهره وبه وصوله إلى الإيمان.

وقد ترك لنا مصطفى محمود أعمالا كتابية ضخمة، وقبل أن نخوض في تحليلها، يناسب لنا أن نشير إلى مراحل كتاباته حتى نعثرعلى تنوع مواضيع كتبه ومقالاته، واختلاف أفكاره وأسبابه.

المرحلة الأولى لكتاباته تتراوح فيما بين ١٩٥٤و١٩٥٨م، وهي تمثل المرحلة المادية العلمانية، قدم فيها كتبه الأولى من أمثال "الله والإنسان" ومجموعة قصص"أكل عيش". كان يصور مصطفى محمود في هذه الكتب أوضاع المجتمع من منظور واقعي بحتٍ، ويقف موقفَ شكٍ ومناقشةٍ تجاه المسلمات الدينية. ومن ثم اتهم بالإلحاد وحوكم على كتابه "الله والإنسان" بالمصادرة عام ١٩٥٤م.

---

[1] إنه ... مصطفى محمود (مقال) ، انتصارسليمان مصطفى سليمان، مجلة الشباب، عدد ٣٥٢ مؤرخا : ١-١١ ٢٠٠٦ كما نشرالمقال في العدد الممتاز لصحيفة الجزيرة الثقافية:
http://www.aljazirah.com.sa/culture/2008/07072008/speu553.htm

والمرحلة الثانية تتكون من الشك في الشك، وهي فترة ما بين ١٩٥٩و١٩٦١م، حيث اتضح له بعد بحث وتفكير بأن الفكر العلمي المادي يعجزعن تقديم تفسيرمقنع للحياة والموت والإنسان والتاريخ واستغرق في هذه المرحلة يبحث عن حل هذه العضلة الفكرية ويقدم أفكاره وخواطره ونتائج بحثه في الكتب والمقالات التي أخرجها في هذه المرحلة، ومن أهمها "لغز الموت" و"لغز الحياة" ورواية "المستحيل"... وظل الشك يطارده حتى قرر البحث في الطبيعة.

ومن هنا تبتدأ المرحلة الثالثة من كتاباته منذ عام ١٩٦٢ من الميلاد، وبدأ يحاول استكشاف حقائق الغابات؛ فقد ساف إلى غابات جنوب سودان وكينيا، وأوغندا، وتنزانيا، وعاش شهرين هناك، ثم ارتحل إلى قلب الصحراء الكبرى في واحة غرامس ليعيش هناك شهرا مع الرجال المنتمين في قبيلة الطوارق وأخرج في هذه المرة ثلاثة كتب؛ "الغابة" و"مغامرة في الصحراء" و"حكايات مسافر" وكتب الأخير إثررجوعه من أوروبا.

ثم تعقبت المرحلة الرابعة من حياته الكتابية، والتي تمثل الانتقال من العلم إلى ماوراء العلم، وأخرج لونا جديدا من الكتب وهوأدب الرواية العلمية من خلال رواياته" العنكبوت" و"الخروج من التابوت" و "رجل تحت الصفر" وقد حازت الرواية الأخيرة على جائزة الدولة عام ١٩٧٠م و كتابه "انيشتين والنبية" أيضا من حصيلة هذه المرحلة.

وبعد ذلك دخل في المرحلة الخامسة، وهي المرحلة الأدبية البحتة، وقدم فيها معظم أعماله الدرامية، على سبيل المثال "مسرحية الزلزال" ومسرحية الإنسان والظل" ومسرحية "الإسكندرالأكبر" ومجموعات قصصية مثلا "رائحة الدم " و "شلة الأنس" وروايات اجتماعية منها "الأفيون"

وفي المرحلة التالية "السادسة" يرجع إلى الدين لمرة أخرى. وتبتدأ هذه المرحلة منذ أواخرالستينات. يدخل في البحث عن الديانات السماوية وغيرالسماوية ويمر بمراحل الأديان المختلفة من الفيدات الهندية، والبوفية، والزرادتشية والنيوصوفية، واليوجا ثم

اليهودية والمسيحية والإسلام . هكذا يصل الملاح إلى الشاطئ بعد رحلاته الشائكة العديدة من الشك، والشك في الشك، ثم احتياج البحث عن الحقيقة. وفي هذه المرحلة يكتب كتبا عديدة تتحدث عن هذه الديانات وأنماط الحياة في ظلها، خاصة في ظل الديانات السماوية بعد رفض الحياة المادية والشيوعية والعلمانية.

والمرحلة السابعة، وهي مرحلة التحول الكامل إلى الإيمان بالله وفي هذه المرحلة تتسم كتاباته بلونين:

كتب تتميز بالنزعة الدينية الإسلامية منها "القرآن محاولة لفهم عصري" و"رحلتي من الشك إلى الإيمان" و"الله" و"محمد" و"الكعبة" و"التوراة" و"الشيطان يحكم" و"الروح والجسد" و"حوارمع صديقي الملحد"ـــــ وبكتابة الكتب الإسلامية بدأ يدافع عن الإسلام ويرد على الأفكارالمعاصرة المتداولة باسم الدين الإسلامي، ليزيل الالتباس ويقضي على التيارات المضادة للإسلام، ووقف مناهضًا ضد الفكر الماركسي والفكر الشيوعي وكل ألوان الفكر الإلحادي وكل ألوان الغر والفكري من وجودية إلى عبثية ومذاهب الرفض والتمرد واللامعقول. ومن أشهر كتب هذه المرحلة: "الماركسية والإسلام" و"لماذا رفضت الماركسية" و"أكذوبة اليسار الإسلامي" وغيرها.

وتبتدأ المرحلة الثامنة لكتابات مصطفى محمود منذ أوخر السبعينات، وهذه المرحلة تتسم بالصوفية. وقدم فيها كتبه الشهيرة منها "السرالأعظم" و"رأيت الله " و"الوجود والعدم" وتطلق على هذه الكتب "الثلاثية الصوفية" كما كتب "أسرارالقرن" و"القرآن كائن حي" ومجموعات قصصية أخرى مثل "نقطة الغليان" وأناشيد الإثم والبراءة "ومسرحيات مثلا "الشيطان يسكن في بيتنا" ومسرحية "الطوفان"[1]

وقد أشار مصطفى محمود إلى هذه المراحل الثمانية، وذهب عدد من الكتاب والناقلين إلى أن مراحل كتاباته تنحصرهذه التحولات فحسب، ولكننا نعتقد أنه لم يتحدث عن حياته وتحولاته الفكرية والعلمية حتى الثمانينات، مع أنه عاش فترة طويلة فيمابعد،

[1] Http://dmostafamahmaoud.blogspot.in/2010/10/blog-post_8525html

حيث توفي في شهر أكتوبرعام ٢٠٠٩م يعني على الأقل عشرين سنة، فلابد أن يكون تحولا في مساراته الكتابية، لأنه كان شديد التحول. وعندما نطالع مشوار حياته بعد المرحلة الثامنة، نرى أنه قام عام ١٩٧٩م بإنشاء مسجده "جامع مصطفى محمود" في منطقة المهندسين بالقاهرة، والذي كان يضم ثلاثة كراكزطبية ومستشفى تهتم بعلاج ذوي الدخل المحمود، وبالمركز أربعة مراصد فلكية، كما بدأ برنامجه التلفزيوني الشهير"العلم والإيمان" حيث قدم ٤٠٠ حلقة. وبسب خوضه في الشؤون الخيرية والتلفزيونية تقلل اهتمامه بالكتابة، ولايعني هذا أنه وقف عن الكتابة، فقد نجد له منذ ثمانينات القرن العشرين حتى وفاته نحوعشرين مؤلفا. وكتابه "الشفاعة" الذي صدر عام ٢٠٠٠م وأثار ضجة كبيرة توحى إلى أنه ظل مواظبا في نزعته الدينية والإسلامية، ولكنه لم يقف من التعليم الشرعي موقف مقلد، بل كان فكره يحيده عن الآراء البالية والراكدة ومن ثم كان يفكرعلى اختلاف مما ساد وراج في المجتمع من القيم الإسلامية .. ولكنه بدون القصد للتمرد على الثابت والصحيح، بل من روحية المتأمل والمتدبرفي خلق الله تعالى وكونه ودينه.

وعلى هذا المشوارعاش حياته ككاتب غزير الانتاج، وقدم لنا عددا كبيرا من المؤلفات. فقد ذهب مامون غريب إلى أنه قدم للمكتبة العربية أكثرمن خمسين كتابا، إلا أنه استطرد قائلا " ومازال عطاؤه مستمرا" [١] مع أنه ترك مؤلفات أكثر، والسبب يرجع إلى وقت متأخر لقوله حيث قال هذا في عام ١٩٨٨م، طبعا أنه كتب كتبا عديدة فيما بعد، ولكن سبق له أن كتب مؤلفات أكثر حتى عام ١٩٨٨م. وقالت سلوى ياسين الاسماعيلية "فقد ألف مايربوعلى ٨٨ مؤلفا ما بين القصة والرواية القصيرة، والكتب العلمية والفلسفية والاجتماعية والسياسية"[٢]

يُرى أنها اعتمدت في بيان هذا العدد، على ما قال الدكتورمصطفى محمود في سيرته الذاتية القلمية بأنه "نشرلي ٨٩ كتابا، بينها ست مسرحيات مثلت المسرح (الزلزال..

---

[١] مصطفى محمود مفكرا إسلاميا ، مامون غريب،ص ٨

[٢] علامة فارقة في تاريخ الإنسانية، سلوى ياسين-الإسماعيلية، المصري اليوم،

الإنسان والظل..إسكندرالأكبر..الزعيم ..أنشودة الدم...شلة الأنس..الشيطان يسكن في بيتنا) ورواية ظهرت في السينيما (المستحيل) ..وخمسة وعشرون كتابا في الإسلاميات وثلاث روايات طويلة والباقي دراسات وقصص قصيرة"[1]

وبالرغم من بحثنا عن زمن كتابة هذه السيرة لم نعثرعليه، وفي هذه السيرة الذاتيه أن مصطفى محمود نفسه حدد عدد مؤلفاته بأنها "٨٩" ولكن نجد مؤلفات أكثر، ولعل السبب يعود إلى أسبقية السيرة الذاتية، وتأخرتأليف الكتب الأخرى. وأحصت الدكتورة لوتس عبد الكريم كتبه ب"٩٨" كتابا في شتى المجالات الروحية والدينية[2]

هنا نقدم أشهركتبه فيما يلي مع الإشارة إلى ناشرها:

الكتاب	الناشر	الكتاب	الناشر
الإسلام في خندق	(أخبار اليوم)	الشفاعة	(أخبار اليوم)
كلمة السر	"	أكذوبة اليسارالإسلامي	دارالمعارف
القرآن كائن حي	دار المعارف	من أسرارالقرآن	"
السرالأعظم	"	محمد	"
حوارمع صديقي الملحد	"	الروح والجسد	"
رأيت الله	"	الشيطان يحكم	"
التوراة	"	الله	"
الطريق إلى الكعبة	"	رحلتي من الشك إلى الإيمان	"
القرآن محاولة لفهم عصري	"	عالم الأسرار	أخبار اليوم
الإسلام السياسي والمعركة القادمة	أخبار اليوم	علم نفس قرآني جديد	أخبار اليوم
عظماء الدنيا وعظماء الآخرة	"	زيارة للجنة والنار	"
المؤامرة الكبرى	"	على حافة الانتحار	"
الله والإنسان	دارالمعارف	أكل العيش	دار المعارف

[1] السيرة الذاتية لمصطفى محمود، تم تنزيلها على الرابط التالي :
Http://www.hrdiscussion.com/hr7249.html#sghash.BrOFVopN.dpuf

[2] صديقة للدكتور مصطفى محمود تكشف سراختفائه .. وفقدانه لذاكرته ... والصديقة هي د. لوتس عبد الكريم ناشرة مجلة "الشموع" نشرت مقالتها عن مصطفى محمود ، كما نشرت صحيفة العربية نت تقريرا على أساس مقالها يوم الأحد ٢٠ربيع الأول ١٤٢٨من الهجرة، أبريل ٢٠٠٧ على الرابط التالي :
http://www.asarabiya.net/articles /2007/04/08/33315.ht

عنبر	"	شلة الأنس	"
رائحة الدم	"	إبليس	"
لغزالموت	"	لغزالحياة	"
الأحلام	"	أينشتين والنسبية	"
يوميات نص الليل	"	المستحيل	"
الأفيون	"	العنكبوت	"
الخروج من التابوت	"	رجل تحت الصفر	"
الاسكندر الأكبر	"	الزلزال	"
الإنسان والظل	"	غوما	"
الشيطان يسكن في بيتنا	"	الغابة	"
مغامرات في الصحراء	"	المدينة (حكاية مسافر)	"
المترفوالي	"	٥٥مشكلة في الحب	"
اعترافات عشاق	"	الطوفان	"
الأفيون	"	الوجود والعدم	"
لماذا رفضت الماركسية	"	نقطة الغليان	"
عصرالقرود	"	نارتحت الرماد	"
أناشيد الإثم والبراءة	""	جهنم الصغرى	"
من أمريكا إلى الشاطئ الآخر	"	أيها السادة اخلعوا الأقنعة	"
الإسلام ماهو؟	"	هل هو عصرالجنون؟	"
وبدأ العد التنازلي	"	حقيقة البهائية	"
السؤال الحائر	"	سقوط السيار	"
قراءة للمستقبل	أخبارالیوم	ألعاب السيرك السياسي	أخبار اليوم
على خط النار	دار المعارف	الشفاعة	أخبار اليوم
الطريق إلى جهنم	أخبار اليوم	الذين ضحكوا حتى البكاء	أخبار اليوم
حياتي وفكري..... آرائي ومواقفي	دار المعارف	المسيح الدجال	دار المعارف
سواح في دنيا الله	أخبار اليوم	إسرائيل البداية والنهاية	أخبار اليوم
ماذا وراء بوابة الموت	"	الغد المشتعل	الغد المشتعل

وبعد ذكرأسماء المؤلفات والكتب لمصطفى محمود، نقوم بدراسة بعض الكتب بشيء من التفصيل، على سبيل النموذج.

قراءة في مجموعة "أكل عيش":

هذه المجموعة القصصية الأولى صدرت في ١٩٥٤م وشخصياتها تمثل بيئة الخمسينات من القرن المنصرم في المجتمع المصري وتتفق الشخصيات – بالرغم من اختلافها – على النظرة الرافضة الناقمة على حياتها البالية الراكدة، ومتطلعة إلى مستقبل أفضل وأزهى وتريد تغيرا في حياتها، والحياة بدون المعنى مجردُ حياةٍ، لا قيمة لها.

"أريد لحظة انفعال.. لحظة حب..لحظة دهشة... لحظة اكتشاف.. لحظة معرفة.. أريد لحظة تجعل لحياتي معنى... إن حياتي من أجل أكل العيش لامعنى لها، لأنها مجرد استمرار "[١]

فمن يريد حقا أن يتعرف على من عاشوا في فترة الخمسينات فليقرأ هذه القصص السبعة، سيجدهم في بحث عن لحظة تجعل لحياتهم معنى... وبه يبشر مصطفى محمود ثورة لتغيير جذري في كيان المجتمع المصري، والذي تحقق في ثورة يوليوعام ١٩٥٢م.

وحقـــــا إن القصص في هذه المجموعة والمجموعات القصصية الأخرى لمصطفى محمود تدور بين فلك البداية الأولى للحياة والنهاية الأخيرة للكون.

هذه المجموعة تحتوي على سبع قصص، وهي: سفريات، واللي يكسب، وصانعوا الأفراح، وحلاوة السكر، وانفعال، وروبابيكيا، وأم سيد، وكل من هذه القصص تركزعلى الحياة ويتحدث عن المعنى وكلها صور تضفي المعنى على الحياة أوتجعل الحياة لها معنى، فعند مصطفى محمود الحياة نفسها من حيث هي حياة يمكن أن تكون ذات معنى؛ لأنه على حد تعبير أندريه مالرو"إذا كانت الحياة لا تساوي شيئا فإن شيئا

[١] أكل عيش مصطفى محمود ص ٤٩، دارالمعارف

لايساوي الحياة"[1] وحول هذا المعنى تدور قصة "سفريات" وتركزعلى قيمة الحياة من خلال الانتحار الذي يقضي على كل حياة، وتبتدأ القصة من تلغراف يتلقاه الطبيب والذي يقول باختصار:

"زيزي انتحرت، ابتلعت أنبوبة أسبيرين.. حالتها خطرة... إحضرحالا" وكانت الساعة الثانية ليلا، ويبالغ من الصعوبة اضطرإلى ركوب عربة بالنفر، يتحمل الطبيب والركاب الآخرون جدا ولكنهم أحياء لأجل الحياة في مقابل الموت، هذا، وزيزي تقضي على حياتها بالانتحار، والطبيب لايقرله قرار، ويتمنى لوكانت له جناحان حتى يطيرإليها ويقول :

" إن الانتحار جبن وهروب، وإنها انتحرت لأنها لم تستطع أن تقول "لا"

أمام الناس، فقالتها في سرها، احتجت بين جدران أربعة بشرب السم....

وضعت رأسها في الرمل .. وقالت أنامظلومة "[2]

ولكن قبل الوصول إليها تنقلب العربة على رأسها ويخرج منها على محفة ممدودة الساق، ومعصوب الرأس، وتقف زيزي أمامه صفراء، ترتجف تنصت لجسمه كله، وهو يتكلم "كأن يقول إن الحياة ليست عبثا"[3] فالانتحار ليس حلا للمشكلات والحياة حياة لا بدّ من الاحتفاظ بها وإن لم يكن لها معنى، فلايجوز الانتحار. والقصة الثانية "إللى يكسب" من هذه المجموعة أيضا تمثل تجسيدا لأزمة البحث عن المعني. الدكتور الفونس فانوس طبيب عن الجيل الناشيء، تخرج من كلية الطبيب يحمل في ذهنه حلما عظيما، لايريد أن يكون كالأطباء الآخرين التقليديين بل يريد ليجعل من عيادته الصغيرة معهد أبحاث، ومن كل مريض يفحصه دراسة يضيف بها شيئا إلى الطب .. ولكن الواقع يخالفه، حيث يعيش في مجتمع يفوز فيه الأطباء بكل ألوان الزيف واللامعنى، وتعود المرضى على الزيارة لكبار المتشفيات أو بالشهرة والإعلانات

---

[1] نقلا عن المصدر السابق ص ٢٧

[2] نفس المصدر ص ٦٠

[3] نفس المصدر ص ٦٢

والكلام اللامع .. والدكتور الفونس فانوس لايؤمن بألوان الزيف واللامعنى هذه، ويرفض هذه الأساليب الرخيصة حتى ولومات جوعا، وبالفعل يواجه الخسارة، عندما يراجع حساباته يجد "ثلاثين جنيها خسائر كل ستر"[١] ولكنه ظل يواظب مهنته بكل إخلاص وتفان مع الخسارة، ثم خطربباله خطة وهويعالج محاميا، أن يؤجرثلاث غرف من العيادة مقابل ثلاثين جنيها، ولايحتفظ إلا بغرفة واحدة فيها أدواته الضرورية، وهوقد تغيرعن ذي قبل، أصبح أقل سخطا وتمردا... وماكان يكسب من مهنته إلا غطاء تكاليفه مع عمله لعشرساعات..وهوفي نفس الوقت يكسب عشرين جنيها صافيا لجيبه بدون عمل، وبدون أن يحرك يدا، بمجرد تأجيرثلاث غرف لايملكها.. وبعد سنة قام بإيجازغرفته أيضا بمقابل ١٥ جنيها شهريا، ويترك عمله، لأن العمل لايأتي بالمكاسب والبطالة تأتي بثلاثين جنيها صافيا بدون عمل.[٢] ومن خلال هذه القصة يرسل مصطفى محمود نقدا لاذعا إلى المجتمع حيث باتت القيمة للبطالة لا للعمل ويناشد تغيير الظروف الاجتماعية.

وفي قصة "صانعوا الأفراح " تعمل "فردوس الراقصة" راقصة في الأندية ومناسبات الزواج وتضطرهي أن تصنع لهم الفرح، لأجل ..؛ لزوجها وطفلها، وهي حامل، ولكنها ترقص، وعندما تمضي الليلة تبتدأ حياة الأسرة في حزن وألم وشقاوة ومأثم : "وقد ذاب فيهم الفرح في الحزن، في التعب، في الجوع، فلم تبق إلا وجوه ميتة ترتسم عليها الأحاسيس كما ترتسم الخطوط على الماء"[٣] وتحاول فردوس كل ليلة أن تجد لحياتها معنى، وعزاؤها أنها تحافظ على شرفها، برغم كل شيء، وأنها ليست كبنات البيوت اللآتي يرتدين نظارة الشرف وخلاياهن مشبعة بالعار، وفي هذه القصة تتجلى فلسفة علو الإنسان على الآخر، حيث تصور القصة عن مشكلة الإنسان غير العادي في أن يعلوعلى الإنسان العادي بالبحث لحياته معنى[٤]

---

[١] قصة إللى يكسب (مجموعة أكل عيش) مصطفى محمود ص ٦٨

[٢] نفس المصدر ص ٧٥

[٣] قصة "صانعوا الأفراح مجموعة" أكل عيش"، مصطفى محمود ص ٨٤

[٤] مقدمة مجموعة أكل عيش" جلال العشرين ص ٢٣-٢٤

وقصة "حلاوة السكر"تعتبرمن أحلى ما كتبه مصطفى محمود من القصص القصيرة، والتي تدورحول إيجاد المعنى الذي يجعل الحياة حياة، حتى يجعل الإنسان يعلوعلى الإنسان، وهي تصوير محاولة الإنسان أن يخلع على حياته معنى عبر أسوار الأمل الضعيف، الأمل الذي يكاد مستحيلا .[١] وتروى القصة عن زوجين شابين يحب كل منهما الآخر، والزوج الشاب مريض بالسل، ولكنه لايريد أن تعرف مرضها زوجته لئلايقع في حزن، وعندما يذهب مع زوجته إلى الطبيب، يتوسل إليه ألايخبر زوجته بحقيقة مرضه مخافة أن تنهار ولاتحتمل الصدمة، فيقول: " أنا عارف إني عيان بالسل يادكتور..لكن عاوزمنك خدمة صغيرة... ,, تخفي الخبر,, عن مراتي لأنها لوعرفت حتحوت... أنا متأكد إني ,,,, أرجوك يا دكتور ماتقولهاش... هي مش ممكن تستحمل الصدمة"[٢].

ولكن الطبيب فوجيء عندما اقتربت منه زوجته فيما بعد وتوسلت إليه ألايخبر زوجها بحقيقة مرضه، والذي تعرفه هي جيدا، فقالت : " أنا عارفة يادكتور إن جوزي مريض بالسل أنا كشفت عليه قبل كده دكتور خصوصي .. لكن أناجيت لك بيه علشان تطمئنه.. عشان تقوله أنه مش عيان ... إنها انفلونزا وحاتروح، جوزي مش ممكن مايستحمل الصدمة دي، أرجوك ماتقولوش....[٣] وحاول كل من الزوجين أن يجد لحياته معنى، وهوالمعنى الحقيقي للكلمة الذي يجعل الإنسان يعانق المستحيل.

وقصة "انفعال" صورة أخرى للبحث عن معنى للحياة، التفاؤل لحياة أفضل، إلا أن التفاؤل لم يبت ساذجا، وقد أضحى مفتعلا، وأخذ اختلال التوازن بين غاية الفكر و وسائله. وآل الأمرإلى أن أصبح الإنسان كل مايسعى وراءه ينتهي إلى لاشيء، وكل ما يفعله هوأن يشاهد أنه يحيا، وأنه غريب بالنسبة لكل ما يقع في العالم الخارجي، فقد يصرخ الراوي في هذه القصة بأعلى صوته:

---

[١] نفس المصدر ص ٢٩-٣٠

[٢] قصة حلاوة السكر، مجموعة "أكل عيش" لمصطفى محمود ص٩٥

[٣] نفس المصدر ص ٩٦.

"إن الحانوني يسلب الموت كل هيبة بأن يجعله وظيفته، وكذلك أنا.. أسلب الحياة بكل بكارتها بأن أجعلها شغلتي؟"[١]

والحياة لابد أن تكون له معنى في مشوارها كلها، والسعي لمجرد حياة لايكفي:

" أنا لايكفيني أن أحيا.. وإنما تفرج على نفسي وأنا أحيا.. وأتفرج على الحياة في عروقي... ثم أخذ نقطا من دمي وأفحص الحياة فيها.. واستخرج نسبة الحب..ونسبة الخوف ..ونسبة الغضب ونسبة الفرح.. وأرص النتائج في جداول..وتكون النتيجة أن تضيع مني لحظاتي وأنا أحللها...وتتحول إلى لحظات محنطة في برطمانات"[٢]

البحث عن قيمة الحياة ومنطقتيها هي الفكرة الرئيسية لهذه القصة.

وقصة "روبابيكيا" تجري على لسان الراوي في الكشف عن المعنى للحياة أوفي الحياة، ومن خلال نقده اللاذع على السعي وراء نعيمات العيش التي تقيم أُوَدَ حياة الناس، حيث الناس يستميتون للارتزاق، حتى على الشوارع المزدحمة، الراوي يسيرطريقه على شارع مزدحم وتحت إبطيه لفافة يطل منها عنق معطف قديم .. إذ يفاجأ به رجل ذو شارب يقول وهو يداعب اللفافة : " تبيعه بكام ده؟"[٣] ويرى الرجل أنه لايبيعه فحاول أن يسلب المعطف عنوة، ولكن الراوي عاجله بدفعة كادت تلقيه على الأرض.. فانكمش الرجل في رعب واختفى في "ربابيكيا" حيث يعمل. وبعد قليل من المشي تصادفه امرأة عجوز تبحث عن ,,,لقاء دعوتها وتبشرمن يساعدها سوف يكسب ألفي جنيه.

"إللى تكسب ..الإسعاف النهارده ..ألفي جنيه...ألفين جنيه البريمو.. حذها ياخويا ياربنا يجعلها من قسمتك..[٤]

إلى أن يصل إلى من مقاهي الأرصفة، كان في هدوء بعد مروره من الازدحام وفجأة يخرجه من سكوته رجل يخيل بابتسامته، وهو يعرض عليه ساعة غالية جدا مقابل

---

[١] قصة الانفعال، مجموعة أكل عيش مصطفى محمود ص ١٠٢

[٢] نفس المصدر ص ١٠٢

[٣] قصة روبابيكا مجموعة أكل عيش مصطفى محمود ص ١١١.

[٤] نفس المصدر ص ١١٤

خمسين قرشا...وبعد تردد يشتريها.. وقد أطلق الراوي على الحياة هذه "حياة في هيستيريا"

"ضحكت في هستيريا... فقد كانت الحياة في هيستيريا ياحولي.. وأخرجت الضحكة عن سخطي... وبدأت أتعود على الضجيج..."[1] والناس في حاجة إلى معنى أفضل من الكد لأجل لقيمات العيش.

"وحينما بلغت منزلي كان يجثم على هم ثقيل ... وكنت مازلت أرج الساعة فعلا فلاأسمع التيك تاك.. تيك تاك التي تعهدها في الساعات... وإنما أسمع شيئا آخر.. أسمع سيال الحياة الذي يدق في ذلك الشارع المزدحم.. والناس يتدافعون بالمناكب.. ويصرخون على الرزق.. ويتقاتلون على القوت' وفي النهاية لا يعدمون سبيلا للوصول إلى جيوب الأذكياء..العقلاء أمثالي... [2]

الكفاح المستميت في سبيل اللقمة.. أصبح أكبر ظاهرة في الحياة في المجتمع المصري في الأربعينات والخمسينات، ومن هنا يدعو مصطفى محمود إلى حياة أفضل وطريقة حياة مختلفة عن التسكع وحرة عن البطالة.

وفي القصة الأخيرة "أم سيد" لهذه المجموعة يصور مصطفى محمود معاناة الحياة وشقاتها. توجد فيها صامتة على حياة مقصورة على أكل العيش، لمجرد إشباع الرغبات البيولوجية، وهوإنسان مرفوضة إنسانيته عند مصطفى محمود لأنه لم يبدأ الحياة أصلا، أولأنه ولد ميتا، يقف وسط الأحياء حاملا جثته على كاهله، وإنه لايختلف كثيرا عن "أم سيد" التي ماتت أمها، وأبوها، وزوجها، وأولادها بل مات أهلها جميعا، وبقيت هي الوحيدة كإطار فارغ نزعت أحشاؤها[3] فهي إنسانة تحيا مع إيقاف التنفيذ، لا تنمي إلى أحد ولاينتمي إليها أحد، فهي مجهولة، تشير إلى الحياة ولكنها لاتدل عليها.

---

[1] نفس المصدر ص١١٦

[2] نفس المصدر ص١١٩

[3] قصة " أم سيد" من مجموعة " أكل عيش " ص ٢٤-١٢٥

"إنها ليست بالشيء المهم.. فهي جزء من الدشت الذي يملأ الأرض لايقدم فيها ولا يؤخر..[١]

والقصة تصورمشكلة البحث عن المعنى، حيث اقتنع عامة الناس بحياة خصيصة، ورضوا بالدنيا والدنيئة، إلا أنه أناس ما قنعوا بها، يريدون الفشل في حياة أفضل، ولكن على حساب السكوت بعد ثورة فهم صامتون، ليست تكتظ دواخلهم بثورة تغير مجرى الحياة، ومثالهم لايختلف كثيرا عن "أم سيد" التي تمردت على حياتها الدونية بحثا عن المعنى، فسافرت إلى مصرأم الدنيا، إلاأنها باءت بالفشل، فآثرت الانسحاب الصامت الحزين.. فلابد محاولات أخرى لأجل استعادة المعنى للحياة، والسكوت بعد الفشل لاتؤدي إلى معنى.

وعلى هذه الشاكلة، نجد مجموعة "أكل عيش" تبحث عن المعنى، والحياة بدون المعنى مجرد استمرار.

رواية المسيح الدجال: طبعت هذه الرواية مع مجموعة أخرى من القصص؛ منها حكايات الرجل الحكيم، والتي تشتمل على ثلاث حكايات ("صياد الحقائق و"البنك المركزي" و"تبسط المسائل ") و"الفستان" و"البحث عن زوجة" و"توبة" و"صاحب الجلالة الموت"، من المطبعة العباسية بالقاهرة، مع ترقيم دولي ٣٦٣/٣ ٢٥٦ في القطع المتوسط، من ١٤٣ صفحة.

وهي رواية كوميدية سياسية، كما صرح به الكاتب نفسه في مقدمة الكتاب[٢] بخلاف من زعم بأنها مجموعة قصصية. والرواية تعكس عن المسيح الدجال وكيفية ظهوره بصورة سريعة، وكيف يصبح ناسك أومتناسك يتزهد في الجبال، إلا أن داخله يأبى الزهد والعبادة، إلى أن سولت له نفسه أن يكون الشيطان وليه ويتمثل أمامه متظاهرا في شكل الرب ويغويه بأنه المسيح فغوى، إلى أن عمت البلوى وملئت الدنيا بالفساد

---

[١] نفس المصدر ص ١٢٥

[٢] المسيخ الدجال مصطفى محمود مقدمة ص ٣

فيظهرالمسيح الحقيقي بمكة المكرمة، ويقتل المسيح الدجال، ثم يقيم الميزان يوم القيامة ويدخل المسيح الدجال جهنم حيث يلتقي الشيطان ومن صاحبه في الدنيا وشاركه في معاصيه، وقدم مصطفى محمود القصة وأحاديث الدجال معهم في قالب فكاهي فلسفي.

وتحتوي الرواية على ثلاثة فصول: الفصل الأول يقع فيما بين صفحة ١٠ حتى ٢٩، ويعنون ب"المسيح الدجال" والفصل يقدم لنا صورة الشخصية الرئيسية وهورجل متناسك منعزل في صومعته فوق جبل، وبالرغم من غرفة ثلاثين عاما في العبادة لم يعمرقلبه بالإيمان ولم يذق لسانه مذاقه الحقيقي، فكان يختلس النظر كل امرأة تزوره لتقديم الطعام من القرية المجاورة، وتجسد فيه قوله تعالى "أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه الله من بعد الله أفلاتذكرون"[١] وظل يتعبد على طرازه، فتمثل له الشيطان وقال له إنه ربه ويرفع عنه التكليف ليفعل مايشاء من الزنى والسرقة والمنكرات الأخرى،وعندما طلب برناها، أجرى الشيطان على يده كرامات وأعطاه عصى ينزل بها المطر، ويحيى بها الموتى، ويخرج بها البترول ... ولماخرج الناس عليه أراهم معجزاته فانقسم في فئتين؛ فئة تكذبه وتطلق عليه "المسيح الدجال" وفئة تؤيده وترى إنه ابن الله أوهوالله نفسه... وتملأ الدنيا بالفساد..إلى أن ظهرالمسيح الموعود الحقيقي فقتله وأوصله إلى أسفل النار، حيث يصطحبه مالك خازن النار، حيث يلتقي كبارالطغاة من ماركس ولينن، وهتلرحتى جمال عبد الناصر.. وينتهي الفصل بطلب المسيح الدجال "إبليس" والذي زين له سوء عمله، وأغواه.

ومن هنا ندخل في الفصل الثاني من الرواية، والتي تقع فيما بين صفحات ٣٢-٥٣، حيث يلتقي الدجال بإبليس في قلب الجحيم، ثم يجري فيما بينهما حوار طويل ساخن، ويلوم الدجال الشيطان لخداعه وإغوائه، إلا أنه يبرئ نفسه، قائلا، بأن جرمه أقل من جرائم الدجال، لأنه أقصى ماستطاع فعله مع بأنه وسوس لأحدهم بالخواطر الجنسية،

---

[١] سورة الجاثية ٢٣

ولكن الدجال أقام محطات فضائية وأقمارا صناعية تبث الأفلام الإباحية الجنسية متاحة للجميع في كل حين وآن، ففسدت القلوب وتخربت العقول..والتي لم تكن من صناعة الشيطان، بل من صناعة الدجال نفسه، هكذا يدعم إبليس قوله بالبراهين القاطعة، وبالإضافة إلى ذلك يروي الشيطان له حكايات متعددة في أسبقية الإنسان وأفضليته منه ومن قبائله لدرجة متطورة في علم الإنحراف والجريمة قد تعجز الشياطين من الإتيان بمثلها..وعندئذ يطلب الدجال نجدة من الجحيم بمساعدة إبليس، ولكنه يعتذرقائلا "إن الملك اليوم إلا لله الواحد القهار" ثم يبتغي أن يزوربعض الناس مع الشيطان ولكنه يقول ليسوا هنا في الجحيم، لحسن الخواتيم، وبدلا منهم يعرض عليه زيارة الآخرين مثلا مارلين مونرو والملحدين الذين احترفوا الفساد عمدا والطغاة، وقتلة الأنبياء والأبرياء من هولاكو، وهتلر سوإستالين. وعندما يسأل الدجال هل من إمكانية للرجعة إلى الدنيا لتعويض عما أفسده، يجاوبه ب"لا"

أماالفصل الثالث والأخير المعنون ب"زهرة الرند" فهويقع في صفحات فيما بين ٥٦-٧١. حيث يرجع الدجال إلى موقعه في الجحيم، ويلتقي برفيقه في الجحيم باناماريوف الشيوعي، والذي لازال يتكلم عن الشيوعية، والبروليتارية، والديماجوجية، حتى مل الدجال، وطلب الطعام فجاءه مالك بطعام يتكون من زقوم وأشواك وقطران مغلى، وبعد تناولهاطلب السموم والمخدرات، ولكنه فوجئ بأن الموت مات فلن يموت هوأبدا، ثم طلب من مالك الشفاعة من نبينا محمد-ﷺ-وأنى له الشفاعة لأمثاله. وعندما يريد خازن النارمغادرته يلتجأ إليه قائلا:

"سؤال واحد.. ألايمكن أن تأتيني بزوجتي أم العيال"؟[1]

فيستفسرالخازن أيهن فقد تزوجت ثمانين زوجة واستحللت فروج خمسة آلاف امرأة دون زواج، وقد انجبت من الكل عيالا بلا عدد؟! فيجيب زوجتي "زهرة الرند" والتي كانت بالنسبة له وفية وطاهرة، ولكنه يفاجأ عندما يسمع بأنها تزوجت بإبليس، لأنها

[1] رواية المسيخ الدجال مصطفى محمود ص ٦٧

كانت تحرية أن تكون زوجة إبليس حيث استعمل فرجها خمسة آلاف رجل هم عدد من زينت لهم من نساء، وكانت كلما رقدت في حضن رجل واستبدت بها اللذة صرخت في نشوة.. أين المخنث المأبون زوجي ليتعلم كيف يضاجع النساء![1]

لماسمع الدجال ذلك صرخ صرخة شقت دماغه نصفين وراح يأكل جسده وينادي "ياماالك ليقضي علينا ربنا"[2] فسمع صرخة أعظم، يقول قائل:

إنكم ماكثون

اخسأوا فيها ولاتكلمون...

ياأهل الجحيم عذاب ولاموت

وياأهل الجنة نعيم ولاموت

جفت الأقلام وطويت الصحف[3]

هذه هي خلاصة الرواية، الفصل الأول يقدم نموذجا معاصرا لغواية الإنسان ومظاهر الانحرافات المؤدية إلى هاوية الجحيم، وفي الفصل الثاني يجد الإنسان جزاء معاصيه، وهنا تتم حجة الله عليه بشكل مقنع ويستيقن بمصيره النهائي، والفصل النهائي يحتوي ببساطة على فضيحة الشيوعية في كونها هراء من كلمات بلامعنى، وقصتها في العالم الثالث هي مجرد قصة تحريض الجياع على الشبعانين، ومن خلال هذه الفصول عرض الروائي نماذج حية من الآيات القرآنية فيما تتعلق بأحداث سوف يشهدها الإنسان يوم تقوم الساعة ويقوم الميزان وكل يجزى حسب عمله إما في الجنة أوالنار..

وقد اعترض على رواية أن للروائي يحكم على الجنة والنار، فيدخل البعض الناروالآخرين في الجنة! كمانرى أنه يحكم لكل من ماركس، ولينن، وهتلر، وجمال عبدالناصر، وباناماريوف الشيوعي ومارلين موتر، بينما يرى المذنبين الآخرين من أمثال عبد الحليم حافظ، وأم كلثوم المطربة.

---

[1] نفس المصدر ص ٦٨

[2] نفس المصدر ص ٧٠

[3] نفس المصدر ص ٧١

وقد أشارالروائي إلى هذا الاعتراض في مقدمة الكتاب قائلا:

"رسائل كثيرة جاءتني أثناء نشر"المسيح الدجال" يسأل أصحابها" هل يجوزلأحد أن يدخل أحدا في الجنة أوالنار... وهل يجوزلأحد أن يدعي العلم تبيجة الحساب في الآخرة.. وهل دخل أحد في علم الله أواطلع على الغيب... وهل هذا الكلام من الدين؟"[١]

وقد أجاب على هذه الشائعات بأن الكتاب مجرد رواية أدبية كوميدية وليست كتابا دينيا، فيجب أن تقرأ المنظور الأدبي البحت، ويبررنفسه باتخاذهذا الموضوع الديني في شكل أدبي مستشهدا بالكتاب الآخرين مثلا برواية "أهل الكهف" لتوفيق الحكيم، وطه حسين حينما يكتب في السيرة، وبالعقاد عندما يكتب في القرآن.[٢] ويصرح به الروائي في مقدمته قائلا:

"وقد أخطأ الذين قرأوا روايتي بهذا المفهوم، وأرى لزاما على أن أوضح فليس ماكتبت دينا ولاعلما بل هو فن وخيال وأسطورة وهويدخل في باب الفانتازيا والرؤى"[٣].

ثم يحدد غايته من هذه الرواية في أسلوبه وموضوعه هاتين:

"والرواية كوميديا سياسية تستخدم هذا الإطارالفانتازي لتنقدشخصيات وآراء ومذاهب ولتخوف من مصيرالظلم والظالمين ولتورد العبرة والحكمة والعظة ولتلتمس لها مداخل سهلة القلب"[٤]

وبعد قراءة هذه الرواية نجد موضوعاتها قديمة، إلا أن الأفكار المتداخلة فيما بينها جديدة، حيث المعاصي تظهرفي أشكالها الجديدة من النظريات والأفكارالإلحادية، وعندما يتحدث عن الفاحشة، يخرج كلامه الإطارالتقليدي، وفالمحطات الفضائية والأقمارالصناعية التي تشارك في بث الفاحشة والدعارة كلها مسؤولة عنهاوتسبب دخول النار.

---

[١] عصر القرود مصطفى محمود ص ١٣
[٢] نفس المصدر ص ٦
[٣] نفس المصدر ص ٣
[٤] نفس المصدر ص ٣

عصر القرود:[1] هذاالكتاب يعالج أخطرأنواع التلوث من الحياة المعاصرة، وهو"التلوث الخلقي" و"التلوث الفضائي" و"التلوث الضوضائي" خاصة تلوث الجنس، حتى مع التقدم التكنولوجي الهائل أصبحنا كائنات شهوانية تحكم بمجرد منفعة مادية:

لقد تقدمنا عشرخطوات إلى الأمام، وسرنا مثلهم إلى الخلف...[2]

وقد أصبحت المرأة في هذا العصرإباحية تنطق وتسير بأرجل وبضاعة رخيصة مزدوة بقطع من البلاستيك والسليكون، ومن ثم يصرخ الكاتب بأعلى صوته على زماننا هذا، بأننا على عتبة عصرالقرود:

"وأبشروسيداتي وسادتي بمجيء عصر القرود"[3] كما يعالج هذا الكتاب المواضيع الساخنة المتداولة في عصرنا في أساليب خاطئة إباحية، والكتاب لاترى إليها بتلك النظرات الإباحية، بل تقيم ميزانا مستقيما، فهو يحدث عن أصحاب الوفاء والقيم والمبادئ، وهم قلة قليلون لأن القيم والمفاهيم تبدلت في عصرنا! وهويحدث عن الحب والمودة والرحمة في سياق الحياة الزوجية، ثم يفرق بين الكلمات الثلاثة، وماهي حكمة في تناول الكلمتين الأخيرتين دون الأولى! ولماذا تعد الصبابة إلى النساء جهلا، يتحدث عن هذا الموضوع انطلاقا من صراحة القرآن به في سورة يوسف؟ ومن هي المرأة الفاضلة ؟ وماهوالمعياروالمواصفات للفضيلة؟ وما الفرق بين الحب والشهوة، هل يجتمعان معا في شخص؟ ثم يصرخ الكاتب على زمن تحولت المرأة فيه إلى وثن يُعبد وصنم ينشد، لا، لتزداد مكانتها، بل لأجل الاستغلال والاغتصاب ووسيلة للتسول الجنسي في الإعلانات والمعارض، وهل تغيرالزمان فعلاً؟ وكيف تخلف الإنسان المعاصربالرغم من تقدمه الهائل في التكنولوجيا، ثم يصورعن كيفية انقلاب يسرالعيش عسراً....

---

[1] الطبعة الخامسة ، دارالمعارف، في ٩٦ صفحة مع الترقيم الدولي ٣٣٧----٩٧٧)

[2] عصر القرود مصطفى محمود ص ١٣

[3] هذه العبارة تجد على الغلاف الخلفي لكل مؤلف، تم إصداره من دارالمعارف

وقد وقف الكاتب إزاء هـــــــــذه المعضلات والمشاكل الاجتماعية كعالم سوسيولوجي، ومفكر دقيق في فحص الأمراض الاجتماعية وخبير في تقديم المواصفات. فالكتاب يعتبرمن أروع ماتركه مصطفى محمود من وراء أعماله الأدبية والفكرية.

ونكتفي بتقديم هذه العروض الثلاثة، وسوف نعرض ونستعرض عن كتب أخرى في الباب الثالث والرابع خلال دراسة أفكاره المتطورة، والتي تنعكس من خلال مؤلفاته الأخرى:

وتدل على قيمة مؤلفـــــاته بكل إخلاص و دراية صحيحة، كلمـــة الناشر "دارالمعارف" على الغلاف الخلفي النهائي لمؤلفاته، والتي تقول ببساطة: "والدكتورمصطفى محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم...فأثرى ساحة الفكروالعلم.. وطرق أبوابا جديدة لم تفتح من قبل.. فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية وأدب الرحلات.. إلى جانب تلك المؤلفات التي تحقل بالنظرات المعاصرة للفكرالديني والمقارنة بالنظرات العلمية.. والتي لاتزال تثيرمزيدا من الجدل المفيد..."[١] ومن خلال هذه العبارة تتجلى خصائص كتبه وكتاباته. والآن نكتفي بذكرأعماله الكتابية لندخل في الفصل التالي للبحث عن أعماله الإعلامية؛ الصحافية والتلفزيونة.

[١] نفس المصدر ص ١٤

الفصل الثاني

أعمال مصطفى محمود الإعلامية؛ الصحافية والتلفزيونية

ينتمي مصطفى محمود إلى جيل من المثقفين يتميز بميلاناته الإعلامية، وكان الإعلام والصحافة على وجه خصوصي من أشهر الممارسات الكتابية. المحامي، والطبيب، والسياسي، والعالم الشرعي، والعالم الإداري، وعالم التكنولوجيا. والمثقف في مجالات أخرى.. كل يمارس الكتابة الصحافية. ونرى عددا من الكتّاب الأدباء والأعلام البارزين في الصحافة لم يتثقفوا ثقافة اللغة، بل معظمهم تخرجوا في كليات الحقوق، والحرب، والطب وبدلاً من الخوض في مهنهم المتخصصة تحولوا إلى الكتابة والصحافة.

وأماالذين تخرجوا في كلية الطب في القرن العشرين ثم تحولوا إلى الصحافة والكتابة. وهم كثيرون، وقد اشتهر منهم رجلان عملاقان معاصران؛ أحدهما "يوسف إدريس" وثانيهما "مصطفى محمود" ودراستنا هذه تعني بإبراز أعمال الأخير وهو مصطفى محمود في مجال الصحافة والتلفزيون على النحوالآتي:

أعماله الصحافية:

اشتهر مصطفى محمود منذ منتصف القرن المنصرم ككاتب صحافي في مصر، بل في العالم العربي والإسلامي كله. وقد ذكرنا أنه حببت إلى مصطفى محمود الكتابة منذ طفولته، وازدادت رغباته فيه من خلال ممارسة الكتابة في الصحف، والمجلات. وأول قصة كتب في حياته نشرت في مجلة الرسالة عام ١٩٤٧[١] وعندما التحق بكلية الطب ازداد اهتمامه بالصحافة، وبدأ يكتب في عدة مجلات، ممأادى إلى غضب أمه عليه لصعب التوفيق بين الصحافة والدراسة في كلية الطب، إلا أنه لم يتراجع عن الكتابة، بل غادربيته وسكن في حي آخر"بنسبون" في حلوان، وانقطعت دراسته سنتين فأكثر، وفي

[١] مصطفى محمود مفكرا إسلاميا : مامون غريب ص ٦١

هذه المدة اشتغل بالصحافة في جريدة "النداء" على راتب شهري نحو١٥جنيها شهريا. وعندما انتهى التشرد ورجع إلى البيت يستأنف الدراسة ظل يعمل مع الكامل الشناوي في الجريدة المسائية، ثم مع أسرة مجلة التحريرفي بداية إنشائها سنة ١٩٥٢م وفي مرحلة التشرد تعلم مصطفى محمود حقيقة الحياة فيما يخص بالعمل في مجال الصحافة واختصاصه في مجال الطب، كما يشيرحمدي إليها في مذكرات مصطفى محمود قائلا:

"بأنه تعلم من هذا العام الكامل الذي قضاه خارج المنزل بأنه إذا أردت أن تكون شيئا في عالم الصحافة يجب عليك أن تكمل دراستك في عالم الطب، فتكتب وأنت طبيب، واكتشف أيضاً أن الأدب والمجد في اتجاه والهَلْس الصحفي في اتجاه آخر"[١]

ومن خلال عمله في الصحافة مع الكامل الشناوي تعرف على يوسف إدريس، وهوالآخرالذي تخرج من كلية الطب وأجاد في مجال الصحافة، وذات مرة قال الكامل الشناوي له ويوسف إدريس:

"إنتم مش طلبة كلية طب، إنتم طلبة كلية طب جميلة، في إشارة إلى كلية الفنون الجميلة"[٢]

كما تعرف هنا على أحد أبرزالصحفيين والكتاب وهو"أنيس منصور" ونشأ فيما بينهما صداقة، والذي يقول مصطفى محمود عنه:

"أنيس منصوركان دائما يشاكسني، ويقوم بتغييرالإسم الذي يمضي به في آخرالمقال، وهو(م.م) (م.ع) (هنايضحك مصطفى محمود من خلال سرد الكلام في الحلقة ويقول) كنت أنهي كتابة مقالي بتوقيع م.م؛ فكان ينتظرني حتى ينتهي الجميع من أعمالهم وينزل إلى المطبعة ويغيرالإمضاء إلى م.ع وكنت أغضب كثيرا، وعندما أذهب للتحقق مما حدث أعرف أنه أنيس؛ فأقول له ياأخي يعني إنت مستكترعليّ حتى الحرف...[٣]

---

[١] الحلقة الثانية : عندما كفنوني ووضعوني في النعش حيا، (مذكرة مصطفى محمود) د. حمدي.
[٢] نفس المصدر
[٣] نفس المصدر

وبعد التخرج من كلية الطب في شهرديسمبرعام١٩٥٢م اشتغل بمهنة الطب بالأمراض الصدرية حتى عام ١٩٦٠م، إلا أنه ظل في هذه السنوات في "روزاليوسف" وفي ذاك الحين أصدرجمال عبد الناصرقرارًا يمنع الجمع بين الوظيفتين؛ وكان مصطفى محمود وقتها يجمع بين عضوية نقابتي الأطباء والصحافيين، لذا قررأن يلغي عضويته في نقابة الأطباء[١] وقدآثرالكتابة على المهنة الوظيفية التي تخصص فيها عام ١٩٦٠م[٢] وتفرغ للكتابة في الصحافة. وتكون من نافلة القول الإشارة إلى أن الصحافة كانت آنذاك الوقت منبرا حراً ثقافيا لكل أنواع من الكتابة، حتى الكتابة الأدبية، وقد نشرت معظم أعمال مصطفى محمود أولا من خلال الصحف والمجلات. وهنا نركزدراستنا على الأعمال الصحفية البحتة الذي انتجها مصطفى محمود خلال كتاباته الصحفية حتى في نهاية سنواته. وكتب لمجلة "صباح الخير" المصرية مقالات منتظمة لمدة طويلة، و"روزاليوسف" و"الجريدة المسائية" و"مجلة التحرير" وماعدا مؤلفاته التي نشرها في الصحف والمجلات نجد له مقالات صحافية عديدة، تحدد شخصيته الصحفية. هنا ندرس بعض مقالاته فيما يلي:

أنا ونفسي وشيطان:

النفس تقع في المعاصي والهوى والشيطان يدفعها إليها، وعندئذ يموت الضميروتتمادى النفس في معصية الخالق، وفي هذه الحالة يحدث الشجاروالجدال بين النفس والشيطان ،وتأتي النتيجة، إما بغلبة النفس على الشيطان لتصبح نفسا مطمئنة راضية مرضية وسائرة على نهج صحيح، وإمايحدث العكس وتنتهي الأمربغلبة الشيطان على النفس لتزداد في المعاصي والذنوب.فالإنسان وهو"أنا" يتطاحن بين صراع النفس والشيطان. وفي هذا المقال تحدث مصطفى محمود بشيء من التفصيل عن جوانب الجدال والحواربين النفس والشيطان، ويرينا كيف يدفع الإنسان بنفسه لأن يهزم الشيطان ويعود

[١] إنه ... مصطفى محمود – انتصار سليمان مصطفى سليمان العدد الممتاز الجزيرة الثقافية ٤ رجب ١٤٢٩ عدد ٢٥٤

[٢] نفس المصدر ومصطفى محمود مفكرا إسلاميا : مامون غريب ص ٦١

إلى الخالق ضاربا هوى النفس ودجل الشيطان عرض الحائط، كما حدث مصطفى محمود الذي تغلب على هوى النفس وغواية الشيطان فعاد من الشك إلى الإيمان، وكثيرمن الملحدين الشيوعيين من معاصريه تغلب الشيطان على نفوسهم، فليس الخطأ أصلا يعود إلى الشيطان بل كتب للنفس نصيب لاينسى[١]

لاللتطبيع... ألف مرة:

في هذا المقال نرى موقف مصطفى محمود تجاه إسرائيل "الدولة الصهيونية" حيث يصف جرائمهم البشعة، ويرد ردا مقنعا لأصحاب النتن ومروجي فكرة التطبيع مع الصهانية الذين تلوثت أيديهم بدماء الأطفال، والشيوخ والنساء على أرض فلسطين ومصروالشام والعراق. كما يقول بعد تصويرمظالهم: "وإسرائيل رغم كل هذا،ورغم هذه الخلفية التآمرية ورغم أطماعها المعلنة في الكينست والمكتوبة في بروازمن النيل إلى الفرات يا إسرائيل تمد أيديها في تبجح عجيب لتطلب التطبيع.... أي تطبيع..؟

كيف يمكن التطبيع مع هذا الجحيم من الحصارالعدواني في اللقمة وفي شربة الماء وفي الجووفي البحروفي أسلحة الدمارالشامل التي تريد أن تنفرد بها فلايشاركها فيها جنس عربي.. وكيف تنموصداقة من خلال التهديد والاجرام..

إن مايصلنا من حدود سيناء المشتركة مع إسرائيل من دولارات مزيفة ومحذرات مهرة وجواسيس مصائب لاحاجة لنا إليها.. وهي أمورلاتشجع على أي تطبيع.."[٢]

وبالإضافة إلى ذلك قدم مصطفى محمود دلائل أخرى لا تسمح للعرب بل الإنسانية جمعا شرقاوغربا- أي تطبيع. كما لم تنس إسرائيل "الهولوكاست" فلن ينسى المسلمون والعرب على الأخص ماقامت به إسرائيل من المجازر في أرض الأنبياء.

المؤامرة:

---

[١] المقال منشور على مدونة مصطفى محمود على الرابط التالي: http:// dmostafamahmoud.blogspot.in/2010/04/blog-post_27.html

[٢] لا للتطبيع ... ألف مرة ، مصطفى محمود، مدونة مصطفى محمود، راجع إلى الرابط التالي : http://dmostafamahmoud .blogspot.in/2010/04blog-post-733.html

في هذا المقال سخرية لاذعة ضد الشيوعية والشيوعيين الذين ظنوا بأن الشيوعية حضارة جديدة تقوم على أنقاض الحضارة الأوروبية الرأسمالية، وصوروا أنفسهم رواد ومؤسي هذه الحضارة. ويرى مصطفى محمود أن الرأسمالية والشيوعية شيء واحد "فما الرأسمالية والشيوعية إلا وجهان لعملة واحدة هي الحضارة المادية التي انجبتها الوثنية الصناعية في بداية القرن التاسع عشر"[١].

ومن خلال الاستدلال العلمي التاريخي يبدد مصطفى محمود نعرات الشيوعيين الزائفة، قائلا:

"إنها جميعا وجوه حضارة واحدة هي الحضارة الوثنية المادية... وهم قد اختاروا لنا سلفا وأرادوا لنا وأرادوا بنا وصنعوا لنا شعاراتنا الجاهزة وصدروا هذه العبوات الفكرية والدينية المعلبة المزيفة... وخططوا لنا كل البدائل التي أرادونا أن نختارها..وفي النهاية طمسوا على أبصارنا بالإعلام الموجه والغزوالفكري ومدفعية الكتب والصحف والإذاعات والتلفزيون لتظل في دوامة لا نفيق على حقيقتنا أبدا"[٢].

بعد الكشف عن حقيقة الحضارة الشيوعية الزائفة أشارإلى الطرف المغربية وكيف حاول الشيوعيين أن يضلوا المسلمين بشعاراتهم المزيفة مستخدمين وسائلهم المزعومة. ويرى كاتب المقال أصلا، أنها محاولات للقضاء على حضارة منافسة أخرى والحضارة الإيمانية العلمية.[٣]

الشيوعيون الجدد.. وكيف يعملون :

هذه مقالة رائعة لمصطفى محمود، سجل لنا في بدايتها كيف انهارت الشيوعية القديمة في بلادها، وتعرت المبادئ، وافتضحت الأفكار وتمزقت أقنعة النظريات...

---

[١] المؤامرة (مقال) ، مصطفى محمود ١٧-٠٤-١٩٨٤ نشرعلى المدونة مستفيدا من موقع جمعية مسجد محمود، راجع إلى الرابط التالي:-http://dmostafamahmoud.blogspot.in/2010/04/blog-post_773.html

[٢] نفس المصدر

[٣] نفس المصدر

"وإذا بالشيوعي الفيتنامي يقتل الشيوعي الكمبودي.. وروسيا تقاتل الصين... والصين تغازل أمريكا... والاشتراكية تستبدل ظلما طبقيا بظلم أخرى أكثر شراسة وتزيح طاغوت أفراد لتقيم دولة وتسجن مجتمعات باسرها وراء القضبان.. ولم يبق للشيوعيين إلا أن يكونوا عملاء استعمار لا أكثر... وجواسيس على بلادهم... وحربا على أهليهم وأوطانهم ....[١] وعندما ضاعت بضاعتهم القديمة، تحول الشيوعيون الجدد إلى قناع آخر، وهو"التيارالديني" ويمثل الروافض الإيرانيون هذه الشيوعية الجديدة الذين تدربوا على خوميني.[٢]

"أما هؤلاء الرافضون فهم الماركسيون الجدد في لباسهم التنكري الجديد بعد أن تعرت مبادئهم وظهرها فسادها حتى النخاع"[٣]

ويقول الدكتوروهويصف الشيوعيين الجدد، وجرائمهم البشعة:

"هؤلاءهم أصحاب اللحى الجدد الذين يرفعون المصاحف على أسنة المطرقة والسندان وينادون بالشريعة ليقطعوا بها أيدي خصومهم ويصلون على محمد ﷺ بظاهرألسنتهم وعلى لينين بكوامن قلوبهم ويدفعون أمامهم بقطعان من الشباب الساذج ويقولون له... اقتل ..واحرق.. خرب... في سبيل الله.. ضع القنابل في السينمات والمسارح والبنوك والمؤسسات.. ارفع راية العصيان في كل مكان... فتلك دولة الفسق وأنت المهدي المنتظر"[٤].

مع أن الدين حب وسماحة وعمل صالح وبناء وتفان في الخيروتعاون على البر،ولم يكن نبينا-صلوات الله وسلامه عليه ــ سفاحا ولاقاتلا ولامخربا.. والآن لتمادي هؤلاء الشيوعيون الجدد في شرهم وكونوا عصابة"داعش" للقضاء على الأبرياء وفتك الأعراض واغتصاب الفتيات ونصب الأموال..

---

[١] الشيوعيون الجدد ... وكيف يعملون ، مقال مصطفى محمود، تم نشره على مدونة مصطفى محمود على الرابط التالي :
Http://dmostafamahmoud.blogspot.in2010/10/blog-post-4074.html

[٢] نفس المصدر

[٣] نفس المصدر

[٤] نفس المصدر

أهل الله وأهل الشيطان:

كتب هذا المقال أثناء ثورة الخميني في إيران، التي نتجت عن حوادث الشغب والتظاهر، وإحراق المؤسسات ودورالسينما، قتل الأطفال والشيوخ، والنساء في إيران باسم الدين. ويرى مصطفى محمود وراء شعارات خميني أمرا لآسوفيتيه تنفق بسخاء.

ودورالسوفيت جزء من ظاهرة الدجل والمتاجرة بالدين، ويكشف مصطفى محمود فضيحة هؤلاء الشيوعيين ونفاقهم :

".. إنها مثل للغيرة على القضية الفلسطينية في الشعارات السوفيتية المعلنة في الوقت الذي تسبق روسيا كل الدول في الاعتراف بإسرائيل، ثم تكون أول من يمسك بيد عبد الناصرعن المبادرة بالهجوم على إسرائيل في حرب ٦٧ ثم تمنع عنا السلاح في حرب ٧٣ ثم تحاول أن تجهض المعركة في أيامها الأولى ثم هي الآن تمنع السلاح عن سوريا بينما تهتف البرافد الفلسطين والفلسطينيين طوال الوقت في بتجح وتناقض عجيب"

إنها إذن جزء من ظاهرة الدجل والمتاجرة بالدين"[١].

ويقارن ثورة خميني بثورة الأب جيم جونز و يتماثل بين شعاراتهما الثورية الخارجية.

"وهي لاتفترق كثيرا عن شعارات الأب جيم جونزالذي ساق أتباعه إلى مجزرة باسم الدين أوعن جماعة التكفيروالهجرة التي ساقت أتباعه إلى الجريمة باسم الإسلام"[٢] كما ينبغي مصطفى محمود على التقاتل والتناحربين المسلمين على أتفه الأمور، ولايرى في هذه الثورة "الإسلامية" الناتجة عن "الجمهورية الإسلامية" شيئا نسميه "دينا" أو"عملا دينيا" ويناشد لإنقاذ شباب الأمة من هذا المأزق الديني، ويدعو إلى اتخاذ الإجراءات الإصلاحية، وإلا تكن في الأرض فساد كبير.

"من هنا يمكن أن يبدأ الإصلاح الحقيقي لكل هذه الظواهرالانفجارية وإن لم يبدأ هذا الإصلاح من الآن فإن الوقت الضائع سوف يجعل بكوارث ومفاجآت غيرمحسوبة يمكن

---

[١] أهل الله وأهل الشيطان مقال مصطفى محمود تم نشره مؤخرا على مدونة مصطفى محمود على الرابط التالي :
Http://dmostafamahmoud.blogspot.in2010/10/blog-post-7489.html

[٢] نفس المصدر

أن تفاجئنا هنا أوفي أي مكان من العالم، فالنارتسرح في الفتيل كما قلت وهناك قنبلة دينية وشيكة الانفجار، وهم يحرقون دورالسينما في إيران ويقتلون الأطفال والشيوخ باسم الدين وهناك أموال سوفيتية تنفق لإشعال هذه النار.. إن الكل يدعي أنه يقتل في سبيل الله حتى الماركسي الذي لايؤمن بالله قدررفع لافتة مزيفة والحلق اللحية البخوروأمسك بمسحبة... وقريبا سوف يختلط الحابل بالنابل في سوق الدجل ولن تستطيع العين أن تتبين أهل الله من أهل الشيطان"[١] .

وها، هنا انفجرت تلك القنبلة الدينية في العالم العربي، في شكل "داعش" الشيوعيين الجدد لعصرنا الحاضروخوارج هذا الزمان.

الحكم الإسلامي ...متى .. وكيف؟ وختاما :

استهل مصطفى محمود مقاله هذا، باتهاماته في العقيدة، وخروجه عن الأمة، والانتقادات الأخرى التي أصبحت مألوفة له، ليبدئ موقفه إزاء الناس بأن ردود الناس على مقاله "الحكم الإسلامي... متى ..وكيف؟" قد ينتج عن نفس الردود إلا أنها لاتثمربعد. ويرى مصطفى محمود أن الحكم الإسلامي لايأتي إلا بالتدريج، ولايأتي الآن وفورا بالسلطة وبالقانون.

"وأقول توضيحا للمسائل.. إن السلطة مهما بلغت من تقطيع للأيدي ورجم للناس وجلد للظهورفإنها لن تصنع مسلما واحدا حقيقيا والعنف لايثمربل يثمرنفاقا وخوفا ورعبا ومداهنة... وذلك سرمن الكفر..."[٢]

بل يرى أنه يأتي بثمرته بالطريق الطبيعي، بإحياء الضمائر، وإصلاح المجتمع بمافيه أفراد وأسر، فلاصلاح لمجتمع أفراده فاسدون وأسره مفككة" إنه يوازن بين السرقة المعتادة المؤدية إلى قطع يد السارق لعشرة جنيهات، والسرقة الجديدة من خلال النظام

---

[١] نفس المصدر

[٢] الحكم الإسلامي ..متى ..وكيف؟ :مقال لمصطفى محمود كتبه بتاريخ ١٩٧٩/١٠/٢١ م وتم نشره عام ٢٠١٠ على موقع مدونة مصطفى محمودعلى الرابط التالي:
Http://dmostafamahmoud.blogspot.in2010/10/blog-post-8060.html

الاقتصادي العالمي في البنوك الربوية، حيث يسرق الرأسمالي ملايين جنيه، فكيف تأتي حكما إسلاميا في هذا النظام الربوي....

"إنما الحل هوأن نزرع بقوة جديدة فتنشئ في مواجهة الخمسين بنكا ربويا إسلاميا واحدا، ثم بنكاآخر، ثم بنكا ثالثا... وبذلك نزرع اقتصادا منافسا..[1]

ويقول:

"ثم كيف بالله عليكم نقطع يد سارق الجنيهات العشرونترك سارق الملايين العشرة الذي أخذها بالرشوة والتزويروالاختلاس والعمولات والابتزازبحجة أن شروط القطع لاتنطبق عليه"[2]

هكذا يستشهد مصطفى محمود بالدلائل الاجتماعية المعاصرة الأخرى، تؤيد رأيه بأن الحكم الإسلامي لن يأتي بانقلاب ولابثورة ولابالعصاولابالقهر، ولكن بالدراسة والعلم خطوة بعد خطوة ومرحلة بعد مرحلة.

هذه بعض نماذج لدراسات في مقالات مصطفى محمود الصحافية، ومن خلالها تتجلى شخصيته الصحفية، ومن أهم ميزاته أنه يجمع بين الأسلوب البليغ والمواد العلمية. وقلما يجتمعان هذين العنصريين في صحفي، أغلبية المقالات إما تتموج بالكلمات الرنانة والتعبيرات الفخمة، والمواد تشكوبقلتها، وإما تكون المعلومات متوافرة ولكن لغتها ضعيفة... ومع هاتين الميزتين نرى ميزة أخرى وهي ميزة التحليل الدقيق لموضوعات يتناولها، ومعظم الموضوعات تعكس عن مشكلات عصره الذي عاش الكاتب. كما تتجلى من خلال المقالات شخصية صحفي جريئة، لاتخاف ولاتهاب... وقد أُشتهربشدة انتقاده على الدولة الصهيونية وعلى ظلمهم وقهرهم على الشعب الفلسطيني، وميزة أخرى تتمثل في عدم انحيازته لفكرة لفكرة اليمين ولااليسار، فهويشن حملات شعواء ضد اليساروااليمين معا على أساس الخطأ والفساد. ويكتفي لجرأته أنه كتب

---

[1] نفس المصدر

[2] نفس المصدر

مقالتين في عصرجمال عبد الناصر، والذي اشتهربكتبه السياسي والقهرالجبري ضد مخالفيه ومعترضيه، فقد نفى عن الكتابة في الصحف عدة عام جراء ذلك.

وفي الآونة الأخيرة طبعت معظم مقالاته في شكل مجموعات من دارالمعارف وأخباراليوم، ومن أهم هذه المجموعات "على حافة الانتحار" و"سوّاح في دنيا الله " و"من إسرارالقرآن" و"علم نفس قرآني جديد" وعظماء الدنيا وعظماء الآخرة" و"حكايات مسافر"و"لماذا رفضت الماركسية" و"حوارمع صديقي الملحد" هنا نتوقف عند هذا الحد، لنبحث عن أعماله التلفزيونية من خلال برنامج "العلم والإيمان".

أعماله التلفزيونية :

كان الدكتورمصطفى محمود منذ طفولته متأملاً في الكون وملكوته في السموات والأرض ومابينهما من إبداعات خلقه تعالى . والذي تمخض عن نزعته العلمية، والعلم أصبح له أداة يحكم بها على الأفكار والنظريات السائدة ومن خلال النتائج المتوصلة إليها يمهد السبيل إلى الإيمان. وخير شاهد على عمله هذا، برنامجه "العلم والإيمان" وهو برنامج تلفزيوني تم عرض حلقاته الكثيرة على التلفزيون العربي والمصري لثماني عشرة سنة، وقدم مصطفى محمود أكثر أربعمائة حلقة على مدارثمانية عشرة سنة منذ الثمانينات من القرن المنصرم، بطريقة علمية على أسس إيمانية، وتم فرج بين عجائب وغرائب وقدرات كون الله العجيب الذي نتنفس فيه وبين الإيمان به وقدرته على تغييرالأشياء، حتى يتأمل الخلق في قدره الذي قدره الله له، كما تفنن المخرج في تناول الموضوعات الإبداعية التي يصبح الإنسان حيرانا للإطلاع عليها ويقف متحيرا أمام الغرائب والعجائب في خلق الله سبحانه وتعالى، وبه يزداد إيمان بربه.

وقد أشارمصطفى محمود في مذكراته، إلى أنه خطرفي خاطر إخراج هذه البرامج التلفزيونية على تشجيع من الرئيس المصري محمد أنورالسادات، كما يصرح به قائلا:

"كان مولد البرنامج بتشجيع منه، خططت لمشروعي الكبيروأزهقت في التخطيط له آلاف الساعات وأردت أن أبدأه... كان السادات يزهوكثيربلقب رئيس دولة العلم والإيمان-الذي اطلقته عليه- فأراد أن يكون شاهد حي على دولته وعصره.. وكانت للبرنامج الذي التفت حوله الأسرالعربية جميعا طوال أربعين عاما، قصة ملحمية نرويها في الحلقات التالية"[١].

وبعد التخطيط والإخراج للمرة الأولى عندما عرض البرنامج على التلفزيون المصري، وافق التلفزيون راصدًا ثلاثين جنيها للحلقة ! وبذلك فشل المشروع ومدى أهميته فوافق على التمويل وانتج البرنامج على نفقته الخاصة.

فبدأ البرنامج، وكسب سمعة طيبة في العالم العربي ونال شعبية كبرى وأصبح أشهر البرامج التلفزيونية وأوسعها انتشارا. تقول الدكتورة لوتس عبدالكريم في هذا الخصوص:

"وبرنامجه ذائع الصيت "العلم والإيمان" الذي كانت تذيعه عدة محطات تلفزيونية عربية بالإضافة إلى التلفزيون المصري، ممتعا بأكبرنسبة مشاهدة في الثمانينات من القرن الماضي"[٢]

وكانت الحلقات تذاع يوم الإثنين الساعة التاسعة بمقدمة الناى الحزينة وافتتاحية مصطفى محمود"أهلابكم"!

وبعدما طارصيته عبرالحدود، وقدم أكثرمن ٤٠٠ حلقة، أصدروزير الإعلام المصري صفوت الشريف في عهد حسني مبارك قرارا يرفع البرنامج من خريطة

---

[١] الحلقة السا دسة عشر: قول أخيرفي السادات مذكرات مصطفى محمود، جمعها د. حمدي، وتم نشرها على منتديات المنارالتعليمية راجع للإطلاع عليها إلى الرابط التالي:
http://manarz.mamq.com/t2828-topic#ix223e9sosjqh

[٢] تقرير لعربية نت أعده فراج إسماعيل من دبي بعنوان"صديقة للدكتورمصطفى محمود تكشف سراختفائه .. وفقدان ذاكرته .. بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٨ من الهجرة ظ٠٨ إبريل ٢٠٠٧م وللإطلاع لى التقريرراجع إلى الرابط التالي:
http://www.alarabiya.net/articles/2007/04/08/33315

البرامج التلفزيونية تحت ضغوط صهيونية لانتقاده على الاعتداءات الصهيونية في بعض الحلقات. كما يقول ابنه أدهم:

"إن القراروقف البرنامج صدرمن الرئاسة المصرية إلى وزيرالإعلام آنذاك صفوت الشريف، بضغوط صهيونية"[1]

وبعض المقاطع من حلقات العلم والإيمان متواجدة على مدونة الدكتورمصطفى محمود، وقبل تنزيلها أشار مدير المدونة إلى قوة البرنامج ومدى تغلغله في الفكرالمصري قائلا:

"والحديث عن قوة برنامج العلم والإيمان لاتكفيه سطوربل تحتاج إلى مراجع تناقش ما احتوته حلقات البرنامج من كم هائل من الثقافة والمعرفة أكاد أزعم أنها أسست الخلفية الثقافية لدى الملايين من المصريين والعرب على مدارمايقارب نصف قرن من الزمان، فكثيرا ما نجد معلومات غريبة هنا هناك وعندما تسأل المتحدث بها عن مصدره سيخبرك ببساطة أنه شاهد في إحدى حلقات برنامج الدكتورمصطفى محمود- العلم والإيمان"[2]

البرنامج وحلقاته تتميزبمعلومات وافية معنية بالموضوع،المتعة والمشاهدة والإخراج والتقديم على التلفزيون لابهم للمخرج، بل المعلوماتية والاستدلالية والتركيزعلى قدرة الله سبحانه وتعالى هوالأهم، ومن أكبرميزاته أنه تناول فكرة عادية ومعتادة وهوالإيمان بالله، وإثبات وجوده وقدرته، والذي تناوله العديد من الكتاب والعلماء في أسلوب علمي بارد، وأما مصطفى محمود فقدتناول نفس الموضوع ولكن تفنن في معالجته وأبدع فيها.

هنا نقدم عرضاً سريعاً بل كلمات عن بعض الحلقات المهمة:

---

[1] راجع إلى موقع : http://www.faresacd.com/2015/05Kحيث تفاصيل بعض موسوعة العلم والإيمان متوفر

[2] رابط مدونة مصطفى محمود -http://dmostafamahmoud.blogspot.in/2010/05/blog-post21.html

- أطفال الأنابيب: هذه الحلقة تحتوي على إحدى المواضيع المهمة في عصرنا الحاضر، يبحث عنه الكثيرون. قدّم مصطفى محمود حلاعلميا لمن يعانون من مشكلات في الإنجاب وعدم القدرة عليه.
- الشيخوخة: الشيخوخة من أهم مراحل حياة الإنسان وأصعبها، واتخذها مصطفى محمود موضوعا لإحدى حلقاته، وقدم معلومات قيمة تتميزبالروعة والأسلوب الأخاذ المثيرللعواطف وانتباه الأبناء وتذكيرمسؤولياتهم تجاه الشيوخ والشيخوخات، كماقدم معلومات أخرى لنتجنب الأمراض والمشاكل الأخرى في هذه المرحلة من العمر.
- نقطة الماء : وفي هذه الحلقة نشاهد أهمية الماء في الحياة انطلاقا من قول الله سبحانه وتعالى "وجعلنا من الماء كل شيء حي"[١] والتفاصيل الأخرى الدقيقة العلمية بخصوص المياه، ويذكرخصائصها الغريبة، مثلا"جميع السوائل تنزل إلى تحت بالجاذبية إلا الماء فهويصعد إلى فوق ضد الجاذبية، بالخاصة الشعرية".. وبهذا هيأته طبيعته ليصعد في جذوع الشجروالنخيل والنبات إلى أي مدى من النماء... ولولاذلك لما ارتفعت ساق خضراء فوق الأرض"[٢]

وتأخذنا الدهشة عندما نستمع إلى قوله:

"وبعض الكائنات تستطيع أن تعيش بلاهواء. ولكن لايوجد كائن واحد يمكن أن يعيش بلاماء"[٣]

ومع بيان الوجوه العلمية بخصوص المياه، يستدل بآي من القرآن الكريم تدل على أهمية الماء في الحياة.

- الخلل في المجتمع المصري : وفي هذه الحلقة يحدد مصطفى محمود مواضع الخلل، والمشكلات الاجتماعية، ويحللها تحليلادقيقا.

---

[١] القرآن
[٢] نقلا عن مصطفى محمود مفكرا إسلاميا، مامون غريب،ص ٤٣
[٣] نفس المصدر ص ٤٣

- الذاكرة : الذاكرة تعتبرمن إحدى الحلقات الرائعة مزودة بمعلومات مذهلة عن الذاكرة.
- النحل : النحل أحد أعجزالمخلوقات من خلق الله تعالى. وقدحلل مصطفى محمود تركيب النحل الجسماني في أسلوب يظهرإعجازه سبحانه وتعالى في خلقه.
- أسرار المادة : هذه الحلقة مقسمة إلى أجزاء خمسة. وتبحث عن "المادة" بطريقة علمية، ويدعم قوله بالبراهين الإسلامية، بعكس ماتعودنا عليه من الاستماع والقراءة من قبل المفكرين الملحدين خاصة الشيوعيين منهم، الذين بدأوا يفسرون كل شيء بالمادة، حتى قدموا تفسيرا ماديا لله سبحانه وتعالى ووجوده. فقد جمع الدكتورمصطفى محمود بين العلم والإيمان في حلقته هذه.
- التوازن في الكون والإنسان : خلق الرحمان الإنسان ووضع الميزان لنستدل به على أهمية التوازن في الكون والإنسان، والتوازن في كل شيء، خاصة في الإنسان، ومن خلال الحلقة يصحح الدكتورالكثيرمن المفاهيم الخاطئة عند نا كمن يتخيل مثلا أن الصوم يخفض نسبة السكرفي الدم، وهذا يعود إلى مهم خاطئ للتوازن في جسم الإنسان، فيقوم بتوضيح النقاط على هذا المنوال.
- سلاح المدرعات : وهومن إحدى الحلقات المهمة يتحدث فيها مصطفى محمود عن سلاح المدرعات وخطورتها.
- ميلاد القرد حسونة : فيها يقدم مصطفى محمود ميلاد القرد حسونة في سياق اجتماعي بشكل علني وبأسلوب ساخروتحليل دقيق رائع.

وقبل أن نبحث عن قيمة هذا البرنامج العلمي والإيماني، لابد من تقديم أسماء الحلقات مع الإشارة إلى مصادر روابطها للتحميل، حتى تتضح أعماله التلفزيونية ولكي يستفيد القارئين؛وهي كما تلي:

نقطة الماء النبات الايدز درجة الحرارة

التوازن	البومة	المريخ (جزءان)	الارادة
الصرع (ثلاثة أجزاء)	القنبلة الخضراء (جزءان)	التلقائية (جزءان)	الهرم المعجزة (ثلاثة أجزاء)
الوصول الى كوكب أورانوس (جزءان)	حركة النبات (جزءان)	حصى الكلى (جزءان)	زرع القلب (جزءان)
سباق البراغيث (جزءان)	انفجار (ثلاثة أجزاء)	محفل تحت الماء (جزءان)	سرطان الثدى
البكتيريا المدهشة (جزءان)	اكتشاف جريمة قتل (جزءان)	المعجزة اليابانية (جزءان)	الكلام (جزءان)
من واحد لألف (جزءان)	زحل	الجلادون الحلقة الأولى (جزءان)	الجلادون الحلقة الثانية (ثلاثة أجزاء)
دنيا العجائب (ثلاثة أجزاء)	مزرعة الصواريخ (جزءان)	أسلحة البقاء (جزءان)	مرض الملوك
التضخم (جزءان)	نجم البحر (جزءان)	الدم (جزءان)	الهرمونات (جزءان)
و من كل شيء خلقنا زوجين (جزءان)	المستقبل (جزءان)	البنكرياس و السكر (جزءان)	دراكولا المرعب (جزءان)
هندسة الكون (ثلاثة أجزاء)	اينشتاين و النسبية (ثلاثة أجزاء)	الصحراء (جزءان)	الصغير المتوحش
الجينات	الموت و الحياة	الأمطار	المكان
الزمان	غرائب المعتقدات (جزءان)	الكارثة	أفريقيا السوداء (جزءان)
السر الأعظم (جزءان)	الحبار (جزءان)	مواقع النجوم (جزءان)	تطور المخ البشرى (جزءان)
الذين يسمعون بدون أذن (جزءان)	حديقة الحيوان (جزءان)	العقرب(جزءان)	الوعل
شمس منتصف الليل (جزءان)	اسطورة التنين	الغشاء السحرى	بحر النور الحلقة الأولى (جزءان)

	(جزءان)	(جزءان)	
أبطال السيرك (جزءان)	حوض الأمازون (جزءان)	التدخين (جزءان)	المرحوم فى الثلاجة (جزءان)
الجحيم فى لبنان (جزءان)	ملكة النمل (جزءان)	الابر الصينية (جزءان)	الهواء و الزوابع و الأعاصير
الخلية	ميكروسكوب لتكبير الزمن (جزءان)	المشاؤون على الماء (جزءان)	القاتل الخفى (جزءان)
الشعوذة و الطب (جزءان)	المقاومة صفر (جزءان)	غلطة داروين (ثلاثة أجزاء)	الزلازل و البراكين
الذرة و المجرة (ثلاثة أجزاء)	التنويم المغناطيسى (ثلاثة أجزاء)	السفروت (جزءان)	شمس فى أنبوبة اختبار (ثلاثة أجزاء)
السم فى العسل (جزءان)	الأنف الجذاب (جزءان)	لماذا توقفت المصانع (جزءان)	روح الفريق (جزءان)
سرطان المرىء (جزءان)	السم الرهيب (جزءان)	الضوء المبهر (جزءان)	مصادر الالهام (جزءان)
الهندسة الوراثية (جزءان)	الزواحف الطائرة (جزءان)	حفلة تنكرية (جزءان)	وقود لا ينفذ (جزءان)
عفريت المآتة (جزءان)	سلاح المدرعات (جزءان)	القطع فى اللحم الحى (ثلاثة أجزاء)	الديدان (جزءان)
أسرار المادة (جزءان)	التموجات الخفية (جزءان)	نبش الماضى (جزءان)	سفينة النفايات (جزءان)
لغز الموت	الحاسب الآلى- الكمبيوتر (جزءان)	معجزة المخ الحلقة الأولى (جزءان)	معجزة المخ الحلقة الثانية (جزءان)
اللمسة الشافية (جزءان)	الأناقة القاتلة (جزءان)	عجائب حاسة البصر (ثلاثة أجزاء)	أعجب أنواع الغزل (جزءان)
علاج السرطان بالارادة (ثلاثة	عجائب المخ البشرى (ثلاثة أجزاء)	هندسة (جزءان)	معجزة الكلى

أجزاء)

العملاق الجميل (جزءان)	الأنامل التى تبصر و تتكلم (جزءان)	أسباب جديدة للمرض (جزءان)	أختنا الشجرة (جزءان)
زرع المخ (جزءان)	الروماتيزم(ثلاثة أجزاء)	النعامة (جزءان)	من فضلك أطفىء السيجارة (جزءان)
عظماء الدنيا و عظماء الآخرة	الحواس الخارقة (جزءان)	الأرض مغناطيس عظيم (جزءان)	و كل شىء عنده بمقدار (جزءان)
الانسان الآلى (جزءان)	الشمس (جزءان)	بديع السماوات و الأرض	مرض وهن العظام (جزءان)
سنغافورة معجزة الادارة (ثلاثة أجزاء)	انتحار خلية	نصف خنزير نصف انسان (جزءان)	ملكات جمال الحشرات
موال(ثلاثة أجزاء)	البحث فى سلوك الانسان (جزءان)	الصوت	حدث فى مستنقع (جزءان)
بحر النور الحلقة الثانية (جزءان)	اللغز الفلكى (جزءان)	الآكل و المأكول (جزءان)	ادمان من نوع آخر (جزءان)
الديمقراطية فى عالم الحشرات (ثلاثة أجزاء)	الجمبرى السفاح (جزءان)	الألوان (جزءان)	زهرة النار (جزءان)
الحياة على سطح من الصفيح الساخن (جزءان)	الانسان سيد الكائنات	الفأر الجبلى و عائلته (ثلاثة أجزاء)	الأصنام
رقص الثعابين (جزءان)	الصراع الرهيب (أربعة أجزاء)	كيمياء الألم (جزءان)	الذرة
الأديان فى اليابان	الليزر (جزءان)	الديناصور (جزءان)	السمنة
صوت من أعماق الفضاء (جزءان)	فزورة	الهندوس الحلقة الثانية	القناع السحرى
التلوث	هل للنبات مشاعر؟	البوذية الحلقة الأولى	البوذية الحلقة الثانية
هرمونات تحكم النبات (جزءان)	مبروك جالك ولد (جزءان)	ترقيع العظام	المغناطيسية و الكهرباء (جزءان)

الكون (جزءان)	الكهرباء البيولوجية (جزءان)	كلمة السر الحلقة الأولى	كلمة السر الحلقة الثانية
ماذا بعد الموت	الصيدلية الالهية (جزءان)	لغز مرض السرطان (ثلاثة أجزاء)	العالم الخفى (ثلاثة أجزاء)
سنترال أصغر من عقلة الاصبع (جزءان)	الحصان (جزءان)	هجرة الطيور (جزءان)	حياة الليل (جزءان)
مارشال القرود (جزءان)	صراع البقاء (جزءان)	صديقتى الأوزة ...صديقى القرد (جزءان)	النزول على القمر (جزءان)
غرفة العمليات (جزءان)	فى مبدأ الحياة (جزءان)	النمل و عش الغراب (جزءان)	المعمار الكونى (جزءان)
الفيروسات (جزءان)	ضربة قدر (جزءان)	الدب و سمكة السلمون (جزءان)	النباتات الأولية (جزءان)
الذبحة و الجلطة و كيفية الوقاية (جزءان)	سر الأضواء القطبية (جزءان)	النحل (جزءان)	اليد اليسرى (جزءان)
عجائب عالم الأعماق (جزءان)	التزاوج فى النباتات (جزءان)	الأمومة (جزءان)	العنكبوت اللص (جزءان)
القسوة و الحنان (جزءان)	مسكنك بين النجوم (جزءان)	الخير و الشر (جزءان)	البصر
صنع الله الذى اتقن كل شىء (جزءان)	الغضروف (جزءان)	الذاكرة (جزءان)	بيت النمل (جزءان)
الدم الأبيض (جزءان)	قبلة على يد زوجتى (جزءان)	ميلاد القرد حسونة (جزءان)	عقائد وثنية
الهندوس الجزء الأول	عجائب أنعدام الوزن	البحث عن وقود	حلقة غريزة القتال (خمسة أجزاء)
تدابير الأرزاق (خمسة أجزاء)	كينج كونج (خمسة أجزاء)	لشيخوخة (خمسة أجزاء)	الأديان

الحرب بين الإنسان
والحشرة

هذه هي بعض الحلقات المهمة تم رفعها على موقع ريبيد شير(www.rapidshare.com) كما أحيلت إلى روابطها بشكل كامل على موقع مدونة مصطفى محمود[1]. كما نجدها عددا من هذه الحلقات المذكورة فيما أعلاها، ومما لم نذكرها هنا، على موقع يوتيوب (www.Youtube.com) وبالإضافة إلى هذين المصدرين نجدهذه الحلقات في الأقراص المدمجة ، بعنوان "موسوعة العلم والإيمان" اعتنت بنشرها مدونة فارس الإسطوانات (www.FaresCD.com) كما نرى في الصور التالية:

والصورة الثانية:

[1]. يمكن العثور على هذه الروابط من خلال الرابط التالي للمدونة:
(http://mustafamahmoud.blogspot.in/2009/12/blog-post_9574.html)

وتدل عناوين هذه الحلقات على جمعها بين العلم المعاصر والإيمان بالله، وياحبذا لو اعتنى أحد من الباحثين بتحويل هذه الحلقات في شكل كتاب لعمت فائدتها، واستفاد منها خلق كثير، لأن هذه الحلقات بجانب تنوعها في الموضوعات يعالج المقدم الدكتور مصطفى بأسلوبه الخاص الذي يتسم بالإيمان والعلم، ويتخلل في هذه الحلقات من المعلومات المهمة ما يؤدي إلى زيادة الإيمان بالله تعالى، ويدعو إلى التفكير في كونه سبحانه وتعالى.

وفي هذه الحلقات من برنامجه التلفزيوني استطاع الدكتورمصطفى محمود أن يبسط العلم الحديث، ويربطه بالإيمان، ويبرزمن خلال هذه الحلقات عظمة الله في كونه من خلال مخلوقاته وظواهرالكون المختلفة، وما تحوى من عجائب، وقوانين... وتدل هي على وحدة الخلق وعظمة الخالق.

وتقول الدكتورة عطيات أبوالعينين، مؤلفة دراماوأستاذة جامعية بمصر،مشيرة إلى قيمة البرنامج: "وكم كنت أشعربالسعادة عندما تنتقل كاميرا البرنامج من الفيلم المعروض ويركزالمخرج على وجهه وعينيه وهوشارد بذهنه متأملا للعالم الذي يفسره لمشاهديه وكم كان الجميع يشعربالحزن عندما ينطق بكلماته في نهاية كل حلقة بطريقته المعهودة وسط تأمله ـــ وإلى لقاء آخرإن شاء الله ـ"[1]

وتستطرد قائلة مشيرة إلى تأثيره في القلوب والعقول:

"لقد استطاع د.مصطفى محمود في حلقاته أن يركزعلى المسافة بينه وبين مشاهديه وساعده المخرج في ذلك فهولم يدخل زووم عليه أويتلاعب بالكاميرا من قريب أوبعيد ولكنه حفظه قريبا منا فمن يدخل إلى العقل والقلب من الصعوبة أن يزحزه أحد عن مكانته وهوفي قلوبنا بما قدمه من أدب وعلم وتأمل ومحاولات للوصول إلى اليقين.."[2]

فالقيمة لايمثلها التفنن والتلاعب بالكامير، حتى نثبت قيمة الرجل خلال برنامجه، بل أسلوبه الجامع بين العلم والإيمان، والمعلومات الرائعة، والتحاليل الدقيقة هي التي تثبت قيمة البرنامج.

---

[1] مثلث العلامة مصطفى محمود ، د. عطيات أبوالعينين والمقال منشورفي العدد الممتازلصحيفة الجزيرة ٤رجب١٤٢٩رقم العدد٢٥٤

[2] نفس المصدر

ونظرا لقيمته كان الناس ينتظرون حلقاته بشغف ولهفة، وكانوا يتمتعون جدا، ويزدادون بها إيمانا بربهم، وتعرفوا على حقائق علمية وإيمانية، وكانت العائلات تلتف سويا حول التلفزيون لمشاهدة هذا البرنامج والذي كان يأتي كل يوم الإثنين الساعة التاسعة أوالعاشرة مساء، لتمتع بالمواد العلمية النادرة والشيقة بالإضافة إلى أسلوب مصطفى محمود في توضيح تلك المواد كي يفهمها الجميع.

وقد عثرنا على مدى إعجاب المشاهدين لبرنامجه من خلال التعليقات والرود المتواجدة على موقع العربية نت، بتقريرأعدّه فراج إسماعيل بدبي، بعنوان "صديقة الدكتورمصطفى محمود تكشف سرانتفائه... وفقدان ذكراته" حيث يبلغ عدد التعليقات نحو٤٠٠ تعليق. وعلى هذا، نستنتج أن أعمال مصطفى محمود الإعلامية؛ الصحفية والتلفزيونية تمتازبغزارتها ودقتها وضخامتها، وسوف تبقى تنيرالأجيال القادمة للاستقامة على الإيمان بالله تعالى.

الفصل الثالث

أعمال مصطفى محمود الخيرية

مصطفى محمود يعتبرفردًا من مجتمع يشكومن قلة عطاء إنساني، وفي السبعينات من القرن المنصرم لانجد على الخريطة المصرية مؤسسات خيرية بكمية عصرنا؛ فقد شهد عصره قحط الأعمال الخيرية والقائمين بها، ماعدا رجال الدين وهم لشرذمة قليلون، وقلما نجد من رجال الأعمال، وأساتذة الجامعات، والصحفيين الكبار، والساسة، والفنانين، والمثقفين والآخرين، يسمعون لأجل الأعمال الخيرية بدون مصالحهم الشخصية أوالنفعية. يقول الدكتورحمدي في هذا الخصوص :

"من الممكن أن نجد رجل أعمال كرّس وقته ومجهوده هومن حوله لصالح البيزنس الخاص به، أوفنانا استطاع توجيه أدائه هووفرقته ومن يعملون معه لإخراج تحف فنية يحضربها اسمه على حائط الفن... لكننا لم نجد أبدا-في حياتنا على الأقل- من يوجه جهوده من أجلهم..من أجل فقراء هذالوطن.. فقراء هذه الأرض.. من أجل اليتامى .. من أجل الفلاحين... من أجل الغلابة.. لم نرمن يفكرفي محاربة الإرهاب بالتعليم... ويحارب البلطجة بإطعام الفقيروتربيته... نعم لم نرإلا العالم الكبيرمصطفى محمود"[1]

فقد تثقف مصطفى محمود في كلية الطبّ، ومارس الصحافة، وبرع كفنّان ومفكرأديب إلا أن العمل الخيري ظل يطارده منذ صباه، كان دائما يفكرالعمل لأجل الفقراء والمحتاجين والنهوض بهم إلى الرقي والتقدم- وليقضي على التطرف والإرهاب والانحراف الفكري، لأنه ظل يشاهد الشيوعية والحركات اليسارية المتطرفة الأخرى

[1] الحلقة السابعة عشر: حكايتي مع الأعمال الخيرية مذكرات مصطفى محمود يوم الثلاثاء ٣ أغسطس ٢٠١٠م، تم تحميلها على الرابط التالي لمنتديات المنار التعليمية:
http://manarq.mamq.com/t2829-topic#ix223e9SAGOO6F

التي كانت تتحين الفرص لأجل الفقراء وتحضهم على القتال والدماروالفساد.
يشيرمصطفى محمود إلى فكرته هذه تجاه العمل الخيري :
"منذ النشأة كانت لي أحلامي بخصوص من حولي، عندما نشأت لم أكن من الأثرياء، ولم أكن من الفقراء، كنت من المستورين (الطبقة المتوسطة التي اختفت حاليا)... ولكنني كنت دائما الانشغال بالفقراء... اقتنعت بأن الفقروالجهل والظروف السيئة هي سبب تأخرأمتنا، بل هي منبع الإرهاب..[١]
وقد تحدث مصطفى محمود عن الباحث الرئيسي وراء فكرة العمل الخيري منذ النشأة، في مذكراته، ويرى أن أسطورة رجل طيب نشأ في الريف المصري وقام بأعمال خيرية، هي الباعث الحقيقي وراء شعوره تجاه الفقراء والمحتاجين والعمل لأجلهم.
ونرى أن نفصل تلك الحكاية التي سردها مصطفى محمود وبنى عليها فكرته للعمل الخيري. كان رجل في الريف، يتمتع بعزيمة وقوة وطموح، وقلبه ينبض لضعفاء القرية، فبدأ العمل، بدون تضييع وقته في الفكر، وأقام مشروعًاوشغل فيه فقراء القرية، وكان يحتفظ جزءا من الأرباح لينفق على أولاد عماله الفقراء حتى فقراء القرية، حتى يتوفر لهم العلاج والتعليم والملابس، وبعد أن اهتم بتوفير مصدر للرزق، بدأ يهتم بالتعليم والرعاية الصحية،حتى ارتفع مستوى معيشة الفقراء، وزادت احتياجاتهم مع تحسن حالتهم فاستطاعوا شراء منتجات مصانع ذلك الرجل، فراجت سلعته أكثر... ثم يفكرفي توسيع المشروع، ودخل القرية المجاورة وأقام فيها فروعا أخرى معتمداً على فقرائها ورافعاً إياهم من محنتهم، ثم قصد قرية أخرى، وظل يوسع نطاق مشاريعه التجارية باعتماده على الفقراء إلى أن قضى على البطالة والفقر في بلده.[٢]

---

[١] نفس المصدر
[٢] نفس المصدر
القانوني لمصطفى محمود المحامي طارق يجيده يرجع التاريخ إلى عام ١٩٧٦م خلال لقائه مع صحيفة الأهرام العربي الرقمي في نوفمبر عام ٢٠٠٩ وتم نشرالتقرير على موقع الصحيفة بعنوان "الصراع على امبراطورية مصطفى محمود الخيرية من خلال الرابط التالي:
http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Senal=8755eid ويمكننا التوفيق بأن الخطوات الأولى ربما اتخذت من قبل على القرطاس، ولم يظهر المشروع على الخريطة إلا عام ١٩٧٦م .

يقول مصطفى محمود بأن لهذه الأسطورة أثركبيرعلى قيامه بالعمل الخيري:

"هذه الأسطورة المتداولة بين البسطاء كثيراما شغلتني منذ الصغر، وكنت أفكرفيها باستمراروأنقضها أحيانا، ولكنني وجدت نفسي أؤيدها بكل ما أوتيت من قوة... حتى جاء منتصف السبعينات... وفكرآلاف المرات في كيفية تحقيق هذه الأسطورة بالفعل.. لكن الحقيقة أنني فكرت بالعقل. التفكيربالعقل مش بالعواطف لوأردنا أن نحقق شيئا، وصممنا عليه سيتحقق.."[١]

ولم يستطع تحقيق حلمه هذا إلا في عام ١٩٧٦[٢]، عندما حصل على تخصيص قطعة أرض من محافظة الجيزة بهدف بناء مسجد يحمل اسمه، وسمحت وزارة الأوقاف على الترخيص بسهولة. وكان موقع المسجد قريبًا من سفارة دولة قطر، فاتصل مصطفى محمود بها، وقّدم أمام مسؤولي السفيرمشروع بناء المسجد، فسارعت السفارة إلى التبرع بمبالغ مالية كما حصل دعم العديد من الأشخاص والجهات لإتمام المسجد.

ومع إتمام بناء المسجد فكرفي إنشاء جمعية مصطفى محمود الخيرية، خاصة بإنشاء مركزخدمي وعلاجي للبسطاء، وقد سبق له أن فكر في إنشاء هذا المركزالخيري، للرعاية الصحية في أرياف الجيزة حيث يكثرالفقراء والمحتاجين في الأرياف، إلا أنه بعد بناء المسجد فكّر في إنشاء المجمع بجواره، ليجعل المسجد مركزا للخدمة الإنسانية والشؤون الخيرية مختزلا الدورالذي كانت المساجد تقوم في عهد الصحابة، واتخذت الفكرة من تفكيره في دورالكنيسة الخدمي الذي تقوم به لرعاية شعبها، فلِمَ لايكون

---

[١] نفس المصدر

[٢] قد صرح مصطفى محمود أنه بدأ مشروعه الخيري في عام ١٩٧٦م. راجع إلى الحلقة السابعة عشر: حكايتي مع الأعمال الخيرية مذكرات مصطفى محمود يوم الثلاثاء ٣ أغسطس ٢٠١٠م، تم تحميلها على الرابط التالي لمنتديات المنار التعليمية:
http://manarq.mamq.com/t2829-topic#ix223e9SAGOO6F

دورالمسجد له نفس الخصائص حتى يعطي لرواده من الفقراء والمحتاجين نفس المزايا، وسنة نبينا تؤيد الفكرة حيث اتخذ-ﷺ- مسجده "برلمانا" وقاعدة اجتماعية وعسكرية.

وفي بداية إنشاء جمعية مصطفى محمود الخيرية سانده أخوه الكبيرمختار، وثلاثة من أصدقائه لم يشرإلى أسمائهم في مذكرته[1] وتبرع هووأصدقاؤه الآخرون وجمعوا خمس مائة جينه، وكان مبلغا تافها يقول مصطفى محمود "وهوالمبلغ الذي لايسمن ولايغني...ولكني كنت أعمل عملًا لله"[2] وظل يجمع رأس المال، إلى أن استطاع الحصول على ستة آلاف جنيه، وبهذا المبلغ – الذي يراه كبيرا-بدأ عمله. وأول ماقام به من مشاريعه الخيرية هو"إنشاء المستشفى"، والذي تم بالتدريج. بدأ أولاًبعيادة للباطنة، ثم عيادة للرمد، ومعمل تحاليل، وكان حجم كل عيادة غرفة واحدة. ولايفوتنا أن نشيرهنا، إلى أنه في المرحلة الابتدائية أنشأ مكتبة تحوي مجموعة من أهم الكتب الإسلامية والثقافية في مختلف المجالات ومتحف صغيرحصل عليه خلال عمله لبرنامجه "العلم والإيمان" وبعد قليل من الزمن بدأت التبرعات تتدفق لمكانة المؤسس المرموقة في العالمين العربي والإسلامي، كما استغل العائدات التي كان يحصل عليها من برنامجه"العلم والإيمان" حتى استطاع تضخيم مشاريعه الخيرية، وحتى بلغت القيمة الاسمية حتى إعداد المذكرة أكثر١٥٠ مليون جنيه، يقول مصطفى محمود:

"هل تعلم كم تبلغ القيمة الاسمية لهذه الأصول (٦٠٠جنيه في البداية) الآن.. أكثرمن ١٥٠ مليون جنيه، كلها لله، لايوجد منها ميم واحد في حساب خاص"[3]

والآن نعود مرة أخرى إلى خدماته الطبية من خلال نشاطات الجمعية، وشهد المستشفى إضافة لعيادة أخرى في منتصف الثمانينات، عندما أقام عيادة لجراحات

---

[1] راجع إلى الحلقة السابعة عشر"حكايتي مع الأعمال الخيرية"

[2] نفس المصدر

[3] نفس المصدر

التجميل للبسطاء والفقراء مع صديقه الدكتورأحمد عادل نورالدين من كبارإخصائي التجميل في الشرق الأوسط، وبه تيسرللفقراء مالم يكن ميسرا إلا للأغنياء.

ومن خدماته الطبية وأهم ميزاته، أنه قام بتجهيزالمستشفى وعياداته المختلفة بأحدث الأجهزة والماكينات المتطورة، والتي حصلها من الدول الأجنبةخلال رحلاته، كما يقول:

"كنت وأنا أدورحول العالم في سفرياتي المتتالية، أبحث عن أحدث الأجهزة وأشتريها وأحضرها معي إلى المستشفى، فمثلا أحضرنا جهاز الأشعة المقطعية عندنا قبل أن يسمع به أحد، وأجهزة الرنين المقناطيسي، وكذلك أجهزة رسم المخ والعضلات، رغم أن الكشف كان ومازال بأرخص الأسعار، وذلك لأن الربح لم يكن الهدف من وراء هذا المشروع بل كان هناك هدف سام – الكشف ظل إلى فترة كبيرة قيمة جنيه واحد، والآن بعد أن زادت قيمته لايتجاوز على كشف ٥ جنيهات"[١]. وقد ساعدت هذه الأجهزة والماكينات كثيرا؛ أصبح العلاج ينجح، بتشخص دقيق للمرضى، كما ساعدت في البحوث الطبية القدمية، حيث استفاد منها خلق كثيرة خاصة كبار الأطباء والمتخصصين والطلبة والباحثين في مجال الطب، الذين فتح عليهم مصطفى محمود الباب للخيرات. وعلى هذا، فقد قام بإعداد جيل جديد من الأطباء المتضلعين بالثقافة الطبية الجديدة.

ومن أبرزجوانب خدماته الطبية أنه لم يقدمها على النمط التقليدي في العلاج الطبي، بل قدم الطب البديل لتقليل المصاريف خاصة للفقراء والمحتاجين وسعى إلى الاستعانة بطب الأعشاب والإبرالصينية والعلاجات الحديثة كالعلاج الطبيعي والأشعة بمختلف أنواعها. ولأجل هذا، أنشأ داخل الجمعية مايشبه مراكزالبحث المتخصصة، وكان يتجنب كل أشكال الاستغلال والتجريب العشوائي خالصا مخلصافي عمله للفقراء والمحتاجين وذوي الدخل المحدود، مما نتج اتساع نطاق خدماته الطبية وتمخض عن

---

[١] نفس المصدر

هذه النشاطات عن ثلاث مراكزطبية ومستشفى عملاق ومركزطبي متخصص باسم"مركزالكوثرفي شارع جامعة الدول العربية بمنطقة المهندسين[١] وأصبح المستشفى ومراكزها تستقبل أكثرمن ٤٥٠٠مريض كل يوم في زمن قليل، وتجري أكثرمن ستين عملية على حساب يومي بعد أن تم توسيع وأقيمت فروع في أماكن أخرى.

إن مصطفى محمود وزملائه الآخرون كانوا يعملون بلاربح وبدون أهداف شخصية والخدمات وكانت مجانية بأجوررمزية. ومن ثم نرى المصادرتشيرإلى المستشفيات الاستثمارية قامت ندا ضدا الجمعية ونشاطاتها الطبية، حتى ينقل الدكتورمصطفى محمود ضجرهم على النحوالتالي:

"... ومع ذلك كنا نعمل بلاربح أوأهداف شخصية، وهذا كان يدفع أصحاب تلك المستشفيات، التي كان يطلق عليها لقب المستشفيات الاستثمارية إلى الاتصال بي ويقولون "حرام عليك يادكتوربيتنا هيتخرب" وكنت أضحك من موقفهم، الذي يعد بحاجة لاستغلال الناس ومحاولة لإقناعي بأن أجعل العلاج بأجريساوي أجورهم الاستثمارية... لقد أصبح المجمع يستقبل الآن أكثرمن ٤٥٠٠مريض كل يوم "[٢] .

وفي أوائل التسعينات بدأ بخطوة أخرى وسماها ب"رحلتي الشتاء والصيف" وقدذكرنا قبل قليل أنه كان يفكرفي إنشاء هذه الجمعية الخيرية في مناطق الأرياف حيث يكثرالمحتاجون والفقراء، إلا أن الظروف حلت عائقا دون هدفه، ولكن ظلت الرغبة تحثه على العمل للأرياف والفلاحين، ومن ثم بدأ هذا المشروع المسمى بـــ "رحلتي الشتاء والصيف" وخرج مع الاطباء الآخرين في شكل قوافل إلى المناطق الأخرى مثل الصعيد، ومطروح، وسيناء، صيفا وشتاء، لتقديم المساعدة الطبية للفقراءهناك، ففي حياته وصل عدد القوافل نحو ١٣قافلة [٣] .

---

[١] الصراع على إ مبراطورية مصطفى محمود الخيرية ، صحيفة الأهرام العربي الرقمية

[٢] الحلقة السابعة عشر: حكايتي مع الأعمال الخيرية .

[٣] نفس المصدر

وبالإضافة إلى الخدمات الطبية الخيرية قامت الجمعية بخدمات إنسانية أخرى" للفقراء والمساكين والمساكين والمحتاجين وذوي الدخل المحدود، منها توفيرالملابس لعشرات آلاف من الأسر المصرية، وتوفير مصدر رزق دائم وثابت لمعدومي الدخل، وتوفير الطعام للمنكوبين. و"مائدة الرحمان" كان مشروعا شهيرا لإطعام الفقراء والمساكين والمحتاجين طعاما، وكان عطاؤه الإنساني ليس محدودا في المدن، بل كانت الأسرالمهمشة في المناطق النائية أيضاهدفها.

"لم أشبع لتقديم الخير للفقراء في مصر.. وكنت دائما أحس أن الفقير الحقيقي في بلدنا موجود على الهامش في السيناء والصعيد.. وأرياف مصر.. في الواحات.. حيث لايوجد دعم ولاتوجد حكومة وهودفعني إلى التحرك صدبهم أخذت قوافلي الطبية والإنمائية والثقافية.. أخذت تلاميذي من الأطباء والمعلمين والممرضات.. للنزول إلى قلب الحدث داخل القرى والأقاليم كنت أريد أن أقدم دائما العون ليكون مثل الغوث والنجدة وكنت دائما أنجح بأن أعطى الإعانات المادية والمعنوية"[١]

والآن نعود إلى حلم مصطفى محمود الذي رآه تحت تأثير الأسطورة السالفة ذكرها، حيث هدف الرجل الطيب توفيرمصدرالرزق للقرويين، لنبحث عن دورمصطفى محمود في هذا الخصوص. وعندما ندرس أعماله الخيرية من هذا المنظور نجد له نظرية اقتصادية من خلال الاقتصاد الخيري. إنه واجد على وحشية الرأسمالية وانتكاسة الاشتراكية معا، وهو أول من أقر نظام القرض الحسن الدوار في مصر. وقدأعطى الفقراء مساعدة مالية بطرق مختلفة عن طرق المساعدة السائدة، وفقا للمثل الصيني الشهيرب"ألا نعطي المحتاج السمكة بل نعطيه السنارليتعلم الصيد"، حتى يعيش ويأكل هووأسرته من انتاجه وصنع يديه.[٢] فكان لايعطي الفقراء القروض في

---

[١] الحلقة الثامنة عشر: الجمعية الخيرية تجسيدا لأحلامي (مذكرات مصطفى محمود جمعها د.حمدي)للإطلاع على الحلقة بأكملها راجع إلى الرابط التالي : http://mamq.com /t2830-topic#ixzz3e9SHYoNs

[٢] نفس المصدر

صورة أموال، بل أدوات انتاج مثل آلات أوماشية أوشيء آخر. يقول مصطفى محمود وهو يبين فلسفة الاقتراض الخيري:

"عندما تطلب أسرة من الأسرالمصرية البسيطة قرضًا من الجمعية تعطيهم الجمعية بدلاًمن تلك الأموال أدوات الإنتاج مثل آلات أوماشية أو.. أو.. فإن هذه الأسرستعمل وذلك يديرعجلة الإنتاج الوطني وسيترتب على ذلك تقليل البطالة بتشغيل أيدعاملة وأخرى مساعدة سيترتب على ذلك الربح، وهنا تستطيع تلك الأسرة وبمنتهى السهولة واليسرأن ترى القرض الذي حصلت عليه وهي مازالت تمتلك وحدات الإنتاج التي لديها أيا كان نوعها"[١] وكان القرض المردود تحصل عليه أسرة أخرى، ولايرجع إلى الجمعية حتى يصبح ملكية لها.

كما اتسع نطاق الخدمة الإنسانية إلى العمل لأجل تنمية العقلة المصرية، وإذكاء مواهب الشباب من الباحثين والمحققين، وقد وظفت الجمعية الخيرية عددًا من الباحثين خلال العمل عل مشاريعهم البحثية، مع أن الجهات الحكومية رفضت بالعمل وفقًا لتلك المشاريع. كماقدّم باحث شاب"مشروع السيلاج" ورفضة الحكومة ولكن عندما سمع مصطفى محمود وناقش مع الباحث فاتفق هو ومسؤولو الجمعية الآخرون على العمل طبقًا لبحثه، وكان المشروع عبارة عن استخدام المخلفات الزراعية – زعاريع القصب- لإعادة تصنيعها كعلف حيواني، وبعد العمل وفق للمشروع جاءت نتيجة مثمرة حيث نجا الفلاحون بحرق تلك المخلفات وبالتالي جعلوا يكسبون منها ربحاماديا. واستفاده بمشروع إطعام الطعام خلق كثير، حتى خصص جزء من حصص الطعام للسجانين والمعتقلين وأسرهم التي تصبح تعدم من يتكفها بعد سجن وليها. وأما كيف يساعد العمل الخيري الذي هدف إليه مصطفى محمود يساعد في إيقاف الانحراف أوالإرهاب أوالتطرف، فيجيب عنه مصطفى محمود قائلاً :

---

[١] نفس المصدر

" تخيل أنك إذا كنت من الفئة المعدومة المقهورة والتي تكون أرضا خصبة لآفات وأمراض هذا الزمن... سواء كانت الإرهاب أوالبلطحة أوالدعارة.. ووجدت تعليما وتنشئة دينية وعلمية ومهنية ووجدت طعامًا ووجدت من يعلمك حرفة أويساعدك فالمؤكد أنك ستبتعد عن أسباب الانحراف أوالتطرف وهكذا..."[١]

وهكذا استطاعت جمعية محمود الخيرية إيصال خيراتها إلى كل فقير وحققت شعبية داخل أرجاء البلاد وخارجها، بسبب جهود الرجال المخلصين القائمين عليها ولأنها استهدفت الإنسانية، وركزت على العمل في شكل علمي وعملي، وفي ضوء البيانات المذكورة نبحث عن قيمة مصطفى محمود التي أضافها إلى حياته بين ميلاده وموته ماعدا قيمته العلمية والأدبية، فالقيمة الأصلية للدكتوروفق ابنته أمل تتجلى في خدماته الإنسانية وأعماله الخيرية :

"قيمة الإنسان هي مايضيفه إلى الحياة بين ميلاده وموته-تلك الكلمة تمثل مبدأه ومشواره الإنساني، والمقصود بالأمانة هنا، ليس المجد الأدبي والعلمي والمادي بل العطاء الإنساني لوجه الله تعالى وكل مايفيد البشر.. أي العطاء والخيروالمساندة للغيرفهوإنسان شديد التسامح حتى لمن أساء إليه قولاً وفعلاً"[٢]

وفي ضوء الفصول الثلاثة التي تحدثنا فيها عن أعمال مصطفى محمود الكتابية والإعلامية؛ من الصحافة والتلفزيون، وأعماله الخيرية كلها تدل على كثافتها وضخامتها، وقيمتها أيضًا، كان طبيبا، مارس الطب، ولكنه طرق أبواب الفكروالفن ودخلها ليقدم روائع طيبة لنا وللأجيال القادمة.

---

[١] نفس المصدر

[٢] "كلمة " أمل بنت مصطفى محمود، صحيفة الجزيرة الثقافية ٤ رجب ١٤٢٩من الهجرة رقم العدد ٢٥٤.

الباب الثالث

تطور أفكار مصطفى محمود

تكوين مصطفى محمود الفكري ومؤثراته

تطور أفكار مصطفى محمود ومراحلها

تحليل نماذج مختارة لأفكار مصطفى محمود المهمة

الفصل الأول

تكوين مصطفى محمود الفكري ومؤثراته

تعدّ شخصية مصطفى محمود علامة فارقة في تاريخ تشكيل العقل المصري بل العقل العربي إلى حد كبير، حيث ساهم بغزارة علمه وسعة إطلاعه وتنوع ثقافته في إثراء الحياة الفكرية في مصر على وجه خاص وفي العالم العربي على وجه عام في العصر الذى عاشه وما تلاه. حتى قيل إن متابعة مؤلفاته وأفكاره وبرنامجه الشهير المعروف به بالعلم والإيمان بمثابة إشباع لحاجة العقل الإنساني إلى التمرد الفكري والإبداع والتي تميز البشر عن سائر المخلوقات.[١] وقد مر ذكره أن مصطفى محمود ألف نحو ٨٩ كتابا بين القصة والرواية والكتب العلمية، والفلسفية والاجتماعية والسياسية، إضافة إلى الفكر الديني والتصوف ومروراً بأدب الرحلات، وقدّم اربع مأية حلقة من برنامجه التلفزيوني الشهير ''العلم والإيمان''. وكل ما كتبه يعدّ إحساسًا عميقا بالعصر الذي عاش فيه، وتحليلا حافلا بالآراء حول طبيعة ذاك العصر. وتبدو عليها الإهتمامات الفكرية المعاصرة بشكل ملموس. وربما لا نبالغ عندما نقول إن الجانب الفكري هو إبرز جوانب كتاباته. ومن ثم يقول مامون غريب:

"إن مصطفى محمود في حقيقته لهو رقيب وشاهد على هموم و مشاق عصره، مثلما كان البيركامي رقيبا وشاهداً هو الآخر".[٢]

وبعد المقارنة فيما بين المفكرين العظماء يضيف الكاتب قائلاً معرباً عن رأيه بخصوص مدى علو كعب مصطفى محمود في المجال الفكري حتى في أدبه، إضافة إلى كتاباته العلمية والفكرية:

---

[١]- مصطفى محمود... رحلة العلم والإيمان والإلحاد وفضح إسرائيل وأمريكا (مقال)، عادل عبدالرحيم، موقع البوابة نيوز، تم آخر تحديث: يوم الجمعة، مؤرخا: ٢٧-١٢-٢٠١٣م، يمكن الإطلاع على المقال فى خلال الرابط التالي http://www.albawabhnews.com/point/aspx?id=293018

[٢]- مصطفى محمود مفكرا إسلاميًا: مامون غريب، ص ١٠.

’’مهما يكن من شيء، فإن أدب مصطفى محمود، وإن كان يعبر عن وجدانه وفكره من خلال رؤياه لتيار الحياة وما يموج فيها من أحداث... وما يعبر فيها عن الآراء والأفكار والتيارات، فإنه يعبر عن كل ذلك بصدق الفنّان، وعقلية المفكر، فخرجت أعماله الأدبية بلون خاص ... ونسيج خاص ...[١]

ولا حاجة إلى نقل الاقتباسات فى كتبه تدعيماً لهذا القول، إذ تبدو عقلية محمود بمجرد عناوين كتبه ومقالاته وبرامجه. وسوف يأتي التفصيل مع النماذج في الفصول الآتية، ولكن الشيء المهم الذي نريد التركيز عليه هو نشأة تفكير مصطفى محمود وأبعادها، في هذا الفصل.

فقد صرّح مصطفى محمود في موضع آخر فى كتاباته أنه نشأ وشبّ مفكراً ونما مثقفاً في التفكير منذ طفولته. وقد أطلق على طفولته كلمة ’’أحلام‘‘. يعيش في عالم الخيال. كما يقول بنفسه:

’’طفولتي: أستطيع أن أقول عنها في كلمة واحدة ’الأحلام‘، فهي كلها أحلام وجوّ أسطوري أعيش فيه ... ربما يرجع السبب أنني لم أكن الطفل القوي الذى يتنفس عن طاقة الطفولة في النشاط البدني ... فإذا فكرت في شيء من هذا فإنّ الضرب مصيري، فكان حظي من اللعب هو الفرجة... فلم يكن هناك مخرج للطاقة الحيوية التي عندي إلا الحلم والخيال والأسطورة.‘‘[٢]

فإن دنيا الأحلام التي عاشها مصطفى محمود إنما يرجع إلى حالته الصحيحة، إذ ظلت البرودة تطارده منذ نعومة أظفاره، وكان فريسة سهلة للأمراض لأنه ولد في سبعة شهور توأماً لأخٍ مات في السنة الأولى من ولادتهما. والذي تسبب له الضعف البدني وأصيب في أمراض مختلفة. ومن هنا أصبح حرمانا من النشاط البدني ثم من اللعب مثل الأطفال الآخرين ولكنه عوّض تعويضا آخرا لإخراج الطاقة الحيوية، وقضاء وقت الفراغ في شكل الأحلام والخيال والأساطير، بدأ يحلم ويسج في فضاء الخيال

١- نفس المصدر، ص ١٠.
٢- نفس المصدر، ص ٥٧.

الرحيب ويخترع الأساطير. وقد اعترف لنفسه قصة الحلم منذ صباه الباكر، عندما سأله الكاتب محمود فوزي عندما سنح للدكتور فرصة الزيارة للغابات الاستوائية قائلاً:
''كنت تحلم منذ طفولتك بأنك أصبحت ''طرزان'' وأنك تقفز مع الحيوانات على فروع الأشجار ... وشادت الأقدار أن يصبح حلمك حقيقة واقعة!؟''
فأجابه الدكتور مصطفى محمود قائلاً:
''منذ طفولتي يراودني حلم كبير ... هو رحلة إلى الغابات الإستوائية، وهذا الحلم كان نتيجة طبيعية لمشاهداتي المستمرة والمعتادة لروايات طرزان والسندريلا في أفلام السينما ... وعشقت قصص السندباد وروبنسون كروزو ... وكيف حطّم مركبه ليعيش في الغابات بين القرود والحيوانات.'' [1]
ومن المعلوم في علم النفس أن الحلم يؤدي إلى التفكير وتربية النشأ الجديد على ممارسة عقلية التفكير. وإذا كان فاق مصطفى الكثير من معاصريه في عقلية التفكير فإنما يرجع الفضل إلى تربيته هذه العقلية، وطفولته مليئة بالحلم بشكل عجيب، كما يقول:
''طفولتي كانت غريبة وعجيبة... كانت لاتستقرأ بداً أو تعيش على الأرض التي أقف عليها، كانت سلسلة من الأحلام الجميلة والشيقة التي أعوض داخلها، طفولتي كانت سلسلة من الهروب، هروب من واقعي المريض العليل أو هروب من مرحلة الطفولة نفسها، التي بطبيعتها ضيقة تحصر الطفل بحكم السن داخل حدود صغير جداً.'' [2]
وهذه الأحلام الجميلة غرست في نفسه حُبّ الاستطلاع والولوع بالتفكير إلى أن ترك لقلبه وعواطفه وعقله العنان بلا قيود حتى يطير في عالم التفكير الواسع. وكنتيجة فعلية أدت أحلام طفولته إلى خيال مجنح، كما يقول مصطفى محمود في هذا الخصوص ''كانت طبيعتي نفسها أكبر من المرحلة العمرية، فكانت تراودني أحلام

---

[1]- اعترافات مصطفى محمود، مع: محمود فوزي، ص ٤١، الحلقة الثالثة عشر.
[2]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، الحلقة الثانية: الوصول إلى اليقين يحتاج إلى جثة بـ٥٠ قرش، جمعها وقدمها حمدي، ونشرها على موقع منتديات المنار التعليمية، من خلال الرابط، التالي http://manarq.mam9.com/t2655-topic#ixzz3e6RVcJH2.

كبيرة وضخمة... لا تقل في ضخامتها عن جبال غابات الأمازون التي تمنيت مشاهدتها، وتمنيت رحلات للغابات الاستوائية التي كنت أقرأ عنها في الكتب والقصص، وأظل ساعات طويلة أعيش في حالة من الخيال الذي يدفعني لأن أصدق أنني ذهبت إلى هناك في ثوان معدودة، ومارست اللعب مع القرود والغزلان، وسارعت بالهروب من الأسود والنحور قبل أن تبتعلني... وكنت أترك لقلبي وعواطفي وعقلي العنان... بلاقيود.... [١]

يعني هذا أنه كان يتحلق في فضاء الخيال كما هو معروف أن الخيال دائماً يرتبط بالتفكير، عندما يتخيل المرء في شيء ما فهو يتفكر فيه طبعاً دون انكار. فالذهاب إلى جبال غابات الأمازون، ورحلات للغابات الاستوائية، واللعب مع القرود والغزلان والهروب من الأسود والنمور حتى لا تبتلعه... كلها تذهب بالمرء إلى أودية الخيال والتفكير معاً.

إنه يتذكر واقع طفولته الذي يمتزج بالخيال والتفكير معاً، فيقول:

''وأنا لا أنسى أبداً حوض المدرسة الابتدائية في طنطنا عندما كانت تنزل الأمطار وتحول الحوض إلى بركة... فكان الأولاد يرشون على الماء... أو يتزحلقون على الطين بينما أقوم أنا أصنع زوارق من الورق وألعب بها وأتخيل متى تأتي محملة بالعطور من الهند... ولا أنسى منظر زوارق الورق وأنا جالس في حالة شعرية ... فطبعاً هذا يعطيك اختلاف الزوايا... فأنا أخذت زاوية من هذا الخيال الذي كنت أجوب به عالم الطفولة... [٢]

كان زملاؤه يمارسون الرياضة البدنية يرشون على الماء ويتزحلقون على الطين في حين يمارس مصطفى محمود رياضة خيالية يصنع زوارقا من الورق ويلقبها في البركة ويطلق عنان ذهنه ليذهب إلى هاوية الخيال العميقة حتى تصل الزوارق إلى الهند لترجع محملة بالعطور والنفائس والكريمات الهندية.

١- نفس المصدر.

٢- مصطفى محمود مفكراً إسلامياً، مامون غريب، ص ٥٨-٥٧.

وبالحلم والخيال نشأ الطفل وشبّ على التفكير، ليخرج مفكراً ومحبّا للاكتشاف بداخله، وما عدا الحلم والخيال ساعد عنصر مهم آخر في تكوينه الفكري وهو ''الأساطير''. إنه بدأ يحلم ليذهب بعيداً في عالم الخيال وتخيل ليخترع الأساطير والحكايات من وحي الخيال منذ طفولته. وبدأت مواهب اختراعه للأساطير والحكايات تزدهر فيما بعد خاصة عندما وقع في حبّه الأول وهو ابن تسع سنوات أو عشر سنوات لبنت الجيران وكانت إسمها عدلية، وزميلته في مدرسته في قسم البنات. إذ حاول أن يظهر لها أنه فارس وبطلها، وبما أنه كان ضعيفا ونحيلاً من الناحية البدنية استعوضه من قرض الحكايات لها وكانت تحبه القصص والحكايات. كما يتذكر مصطفى محمود قائلاً:

''وأنا أتذكر أن الأولاد والبنات كانوا يجلسون في بئر السلم ويتناقشون... كانت عدلية جميلة وكان كلّ واحد منّا يحاول أن يظهر لها أنه فارس... وكنت اتفوق عليهم جميعا... لأنها كانت تحبّ الحكايات وكنت أخترع الحكايات من وحي اللحظة...'' [1]

وكان يجيد الاختراع والقصّ معاً حتى يحرز بإعجاب عدلية به. فيضيف قائلاً:

''فأحكي حكايات غريبة عن حوريات وأبطال وفرسان ... كنت أقلد أم كلثوم وأقلد الشيخ رفعت ... كنت أغني وأقرأ القرآن في نفس الوقت ... وكنت الوحيد الذي ألفت نظرها وأفوز بإعجابها ... ولم يجد الأطفال حلاً إلا ضربي (علقة) حتى يتخلصوا مني.'' [2]

يقال إن الحبّ يجعل الشخص شاعراً، وحبّ كاتبنا جعله مخترعاً للقصص والحكايات وروئياً جيداً، إلى أن أصبحت المرحلة التالية من عمره مرحلة الزجل والشعر وتأليف القصة. وبدأ يكتب الشعر وكان أول بيت شعر كتبه:

صرع الحبّ فؤادي فاشتكى ماله من صاحب غير البكاء [3]

---

[1]- مصطفى محمود مفكراً إسلامياً، مامون غريب، ص ٥٨.
[2]- نفس المصدر، ص ٥٨.
١- نفس المصدر، نفس الصفحة.

هكذا بدأت طفولته مليئة بالأحلام والتخيل والأساطير مما نتج عنه هاجس التفكير بداخله ليشاهد الغد مفكراً مثيراً للجدال والإعجاب الشديدين بين الأوساط العلمية والأدبية والثقافية وخواصهم.

الحلم والخيال والأساطير من المكونات الفكرية الرئيسية التي بذرت بذور التفكير والسبح في فضاء الفكر الرحيب منذ صباه الباكر. ومع مضي الوقت دخل مصطفى محمود في مرحلة أخرى من حياته واستهوته علوم الكيمياء، والفلك والطبيعة، وعندما دخل المرحلة الثانوية من دراسته بدأت الموهبة الفكرية تترشح منه. إذ انشأ معملاً في منزله، كان يحضر فيه غاز ثاني أكسيد الكبريت، والأيدروجين والكلور وأكسيد الأزوت، وقد وقع في خطر شديد ذات مرة عندما حاول قتل الصراصير بغاز الكلور السام، ومن نشأ فيه الحلم العلمي وبدأ يتخيل نفسه رجلا مخترعاً وتحولت أفكاره من الحلم والخيال المجردين إلى الخيال العلمي واكتشف نوعاً من الصبغة وسماها صبغة ''الكمال توت'' التي استخرجها من ''التوت الأسود''. يقول مصطفى محمود:

''... لكن كان هناك لون جديد من الأحلام يظهر وهو الحلم العلمي ... كنت اتخيل نفسي رجلاً مخترعاً ... اخترع أدوية جديدة، ومواد جديدة، وأصنع طائرات تذهب إلى القمر ... تحولت أفكاري إلى الخيال العلمي ... وأتذكر أنني اكتشفت نوعاً من الصبغة تتأثر بالأحماض والقلويات استخرجتها فى ''التوت الأسود'' وأسميتها صبغة والكمال توت.''[١]

إن الحلم العلمي وجه أفكاره إلى الخيال العلمي، وهي بداية الإنطلاق الفكري في المعنى الدقيق للكلمة. وبدأ يفكر في الأشياء بنظرية علمية وإعادة النظر فيما سبق له من الخيال أو الحلم. وهذا النمط في التفكير ألقاه في زوابع وعواصف ومنذ البلوغ إلى نهاية عمره شهدت حياته تحولات عديدة في أنماط التفكير والتقييم. يقول الدكتور مصطفى محمود:

٢- نفس المصدر، ص ٦٠.

''ومع البلوغ جاءت مرحلة التمرد والرفض في قضية الأديان وأصبحتُ أناقش كل شيء بمادية متجردة ... وبدأت أعيد نظري في جميع الأحكام بطريقة صبيانية ... كان هدفي إعادة تقييم كل شيء. وبذلك تبلور الخط الأخير الذي قدر له أن يحكم حياتي كلها فيما بعد وهو خط الفكر والتأمل والتفلسف ... وإعادة النظر في قضية الدين سواء بالرفض أو القبول، لقد استمر الرفض ربع قرن تقريباً...''[١]

ومن ينابيع تفكير مصطفى محمود ''الطب'' أيضا، الذي أصرّ على دراسته والتحاقه بكلية الطب من جامعة القاهرة رغم أنف الأهل والذين أرادوا أن يلتحق هو بكلية الحقوق – التي كانت يتخرج منها الوزراء والباشوات. ومع أن دراسة الطب كانت مستعصبة للغاية. إلا أنها ساعدت في إخراج المفكر الكبير من داخله، وخوضه في غمار الفكر والتساؤلات الكثيرة. يقول مطصفى محمود في هذا الخصوص:

''فبعد أن تعرفت على البكتريا التي تسبب الأمراض... وكيفية علاجها ... وبعد وقوفي أمام الجثث الموجودة داخل المشرحة بالساعات... وجدت نقطة البداية للإجابة عن كل ما يدور في فلك الحياة وكل ما يدور حولي وعرفت جيداً من أين جئنا، وإلى أين سنذهب وكان الوقوف أمام الموت في المشرحة البداية الحقيقية للإيمان...'' [٢]

إنه عَلِقَ بشدة بالمشرحة؛ كان أول طالب يدخلها وآخر من يغادرها، وفي يوم من الأيام كان داخل المشرحة ولم يشعر بالوقت، وأغلقوا عليه أبواب المشرحة دون أن يشعر مصطفى محمود أو يشعروا بوجوده الآخرون، ولكنه عندما انتهى من العمل وجد الأبواب مغلقة وكان الجو بارداً جداً نادى على الحراس بأعلى صوته وظل ينادي نحو ربع ساعة حتى سمعوه وفتحوا له الأبواب، وفي هنا صارت القصة تتردد داخل أرجاء الكلية ... وفي اليوم التالي فوجئ مصطفى محمود عند دخوله المدرج ذات مرة متأخرا، وكان الدكتور صادق يشرح للطلبة بأن قال له ''أدخل يا ''مشرحجي'' ومنذ ذاك الحين، وجدَ الجميعَ يطلقون عليه لقب ''المشرحجي''، وتعلق بالتشريح وبهذا

---

[١]- نفس المصدر، ص ٦٠.

[٢]- مذكرات مصطفى محمود، د. حمدى، الحلقة الثانية: الوصول إلى اليقين يحتاج إلى جثة، بـ٥٠قرش.

العلم العجيب.[1] المشرحة أصبحت له منبعاً للتفكير والتأمل في الحياة البشرية، إلى أن عشق للاكتشاف ما في داخل الإنسان من عناصر تكوينية بدنية وما فيه في دلالات طبيعية، ومن فرط عشقه للجثث والتشريح اشترى جثة إنسان ميت بخمسين قرشا، وحمله بصعوبة إلى بيته، ومع وصوله إليه عندما شاهدت الجثة أمّه رقعت بالصوت وفقدت الوعي ولما فاقت صرفت في وجه ابنها قائلة ''إيه المصيبة اللي إنت جايبها البيت دي؟ ... بني آدم ميت ... حرام عليك... ترضى لما أموت حد يعمل فيّ كده؟...''[2] وبدأت تصرخ عليه حتى اقنعها بصعوبة قائلاً ''سامحيني يا أمي، لابدّ أن أذاكر على هذه الجثة دروس التشريح طوال إجازة الصيف لكي أنجح بتفوق''،[3] وبعد ساعات من المحاولات باقناعها بأن هذا الصالحه وافقت الأم على أن تبقى الجثة في البيت بشرط أن يقوم هو بتنظيف حجرته طوال فترة وجودها هناك، واغلق عليه الباب، ووضعها تحت سريره لمدة أربعة أشهر طوال فصل الصيف ، وكان كل يوم يقوم بوضعها على منضدة التشريح ويتدرب عليها ويدرس كتب التشريح وبعد الانتهاء كان يضعها تحت سريره في حوض مليىء بالفور مالين.

وإن لهذه الجثث وعلم التشريح له دور كبير في تطور أفكار مصطفى محمود. كما يعترف به ويقول في هذا الخصوص ''... فالجثث والمشرحة لها فضل كبير في تغيير طريقة تفكيري.''[4]

وفي دراسته للطبّ، وشدة تعلقه بالتشريح وقوفه الطويلة لدى الجثث الإنسانية اكتشف الموت كحقيقة لا تجحد، ووجد نفسه في زوبعة التساؤلات ''من أين وإلى أين؟!''. وقد صرّح مصطفى محمود بمدى تأثير الموت في نفسه ونمط تفكيره، في الجزء الرابع من مذاكراته التي كانت تنشرها جريدة ''المصري اليوم'' بأن الموت كان أكثر الأفكار التي شغلته منذ طفولته حتى وقتذاك. وكان دائما يتصور أن عمره قصير جداً، وأنه

---

[1]- نفس المصدر.
[2]- نفس المصدر.
[3]- نفس المصدر.
[4]- نفس المصدر.

سوف يموت مبكرا، حتى عندما كان ابن عشر سنوات يقول بصوت مرتفع جداً، ''الموت يطاردني ... يقف خلفي وأمامي وبجواري ... لا أستطيع الهروب منه''[١] وعندما بلغ أشده من سنه، وبدأ يدرس الطب استعاد ذهنه ذاك الطارد ''الموت'' ويلقيه في التساؤلات حول الحياة والموت.

إنه انتهى من دراسة الطبّ عام ١٩٥٣م، وسبق له الشكّ في الإيمان بالله قبل دخوله في كلية الطبّ في صباه، ومن العجيب جداً حدث معه هذا، مع أنه بدأ الصلاة في سن مبكرة في السادسة من عمره ودون إكراه من أحد. [٢] ورحلة الشك هذه بدأت من صرصار؛ ففي طفولته كان يحضر المساجد وحلقات الذكر، حتى تعرّف على إمام المسجد الشيخ محمود والذي كان له أثر بالغ في نفسه وحبه للدين، وكان يثق بالإمام ثقة عمياء، ويصدق في كل قوله، وذات يوم كان في إحدى حلقاته قال الإمام:

''شوفوا يا أولاد أنا سأقول لكم على طريقة تقضون بها على الصراصير والحشرات الضارة في المنزل، وهي طريقة دينية عظيمة جداً، وكل واحد يفتح الكراسة وسوف أملي عليكم هذه الطريقة العظيمة. (وبعد إملاء بعض الآيات والطلاسم عليهم قال لهم) إلصقوا هذه الورقة على الحائط وسوف تكتشفون أن الصراصير سوف تموت موتاً شنيعاً على هذه الطريقة الدينية العظيمة.'' [٣]

وعندما فعل هو والآخرون ما قاله الإمام وعلقوا الورقة فلم تتراجع الصراصير بل ربما زادت واتخذت من تلك الورقة ملجأ ومرتعاً لها. [٤] وهذه الشعوذة بذرت في نفس مصطفى محمود البذرة الأولى للشك. كما يقول مصطفى محمود ''كانت هذه هي بذرة الشكّ التي زرعت في نفسي، وقد زرعها الشيخ محمود، وجعل الشك يعتريني في كل شيءٍ.'' [٥] مع أنه لم يكن يشك ولو بنسبة ١% فيما يقوله الشيخ محمود (الإمام).

---

[١]- نفس المصدر.
[٢]- اعترافات مصطفى محمود، مع محمود فوزي، الحلقة الثانية، ص ٥.
[٣]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، جمع و تقديم، حمدي، الحلقة الأولى: رحلة الشك تبدأ من صرصار!!.
[٣]- نفس المصدر.
[١]- نفس المصدر.

والوقفة أمام الموت والوقوف أمام المشرحة أثناء دراسته الطب كانت بداية عودته إلى الإيمان. [1] اللّهم إلا أنه هناك أسباب أخرى أدت إلى بذر بذور الشك في قلبه ماعدا بذرة الشك التي زرعها الشيخ محمود إمام المسجد، ومنها طبيعة مصطفى محمود المختلفة التي كانت لا تقبل التفكير التقليدي، ومنها شيوع كتب تتمرد على الدين مثل كتب دارون وشيميل وغيرهم التي تثور على الأديان وترجع الأمور للمنطق والعقل، فانكبّ عليها وبدأ يفكر ويتساءل ''إذا كان الله هو خالق هذه الدنيا؛ لأنه لابدّ لكل مصنوع أن يكون له صانع فمن أين إذن جاء الله؟ ولماذا لا نريح أنفسنا ونقول إن الدنيا نشأت بنفسها دون مساعدة''. [2] وبالإضافة إلى هذه الكتب والكتابات هناك سبب قوي آخر نتج عن أفكاره المضادة للدين فى شبابه، فقد عاش شبابه حقبة تاريخية من القرن التاسع عشر (الخمسينات والستينات) تأثرت بالتيارات الفكرية التي زعزعت كيان الثقافة العربية الإسلامية وتأثر بها عدد كبير من كبار مفكرى العرب. وهذه التيارات تتمثل الشيوعية، والعلمانية، والوجودية إلى أن أصبحت ظاهرة الإلحاد تحدياً كبيراً للعالم الإسلامي والعربي على وجه خاص.

ويكون من نافلة القول أن نشير إلى نقطة مهمة أن فكرة الشك التي حصل داخل مصطفى محمود لم تكن بسبب العناد أو الجدال، بل إنما يرجع سببها إلى شك منهجي بحت. كما يشير إلى هذه النقطة مصطفى محمود لدى إجابته على سؤال طرحه عليه محمود فوزي:

''... ولكن قصة الشك وتاريخها أصلاً مرتبطان بطبيعة التكوين الفطري ... طبيعتي كمفكر... فمن طبيعة المفكرين أن يعيدوا النظر في المسلمات ... إنهم يبدأون من البداية الأولى ... دائما يبدأون من صفحة بيضاء فهم على الدوام ضد المسلمات فهذه

---

[2]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثانية، ص ٥.

٣- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، الحلقة الأولى، رحلة الشك تبدأ من صرصار!!.

هي الرحلة الطبيعية؛ تعني شكّاً منهجياً وليس شكا عنادياً فهناك فرق بين أن يعاند الإنسان أو أن يجادل وبين ألاّ يسلم بالبديهيات أو يبدأ بالمسلمات بأن يكون منهجيا. [١]

وبقي مصطفى محمود مثابراً على المنهج الشكي والطريقة العلمية الجولية من التفكير حتى في تفسير الطبيعة، مستعيناً بالكيمياء والفيزياء وقطع شوطا كبيراً ومدة طويلة نحو ثلاثين عاما لرحلته بين الشك والإيمان، متردداً بين الإيمان والشك، ثم الشك والإيمان، حائراً بين نداء الفطرة الملحّ ونداء التيارات الفكرية التائهة... ولكن وجد المنهج الشكي المادي عاجزاً عن تفسير الحياة والموت فلجأ للفلسفة فوجدها في حاجة لفلسفة أخرى تعينها؛ فقرأ في الأديان السماوية وغير السماوية إلى أن وجد الكمال في القرآن.

والملاحظ في رحلته بين الشك والإيمان لم ينكر وجود الإله بقدر محاولة الوصول إليه بعقله. ومن ثم قال عنه الشاعر كامل الشناوي عندما طعن مصطفى محمود بإيمانه واتهم بالإلحاد:

''إذا كان مصطفى محمود قد ألحد فهو يلحد على سجادة الصلاة، كان يتصور أن العلم يمكن أن يجيب على كل شيء، وعندما خاب ظنه مع العلم، أخذ يبحث في الأديان، بدء بالديانات السماوية وانتهى بالأديان الأرضية ولم يجد في النهاية سوى القرآن الكريم''. [٢]

وقد سبق فيما مضى أن مصطفى محمود وُلد في مستهل القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل القرن العشرين يتسم بظاهرة الإلحاد، والذي كان التيار الأوسع انتشاراً، وظهر في تلك الفترة مقال ''لماذا أنا ملحد'' لإسماعيل أدهم، وأخرج طه حسين كتابه الجدلي ''في الشعر الجاهلي'' وخاض نجيب محفوظ أولى تجارب المعاناة الدينية والظمأ الروحي ومصطفى محمود إنما نشأ وشبّ وترعرع في هذه الظروف الخائضة في

---

[١]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثانية، ص ٥.

[٢]- ملف خاص يكتبه وليد فاروق محمد، (مقال) منشور على موقع ''شباب أهرام'' من خلال الرابط التالي: http://shabab.ahram.org.eg/News/35503.aspx.

العلمية والمادية والطريقة الجدلية وساد المنهج الديكارتي والمنهج التشكيكي بين الأوساط العلمية والأدبية، وبقيت آثاره لأمد غير قليل، ولم يكن مصطفى محمود بعيداً عن الموجة السائدة التى أتته وهو في مراهنة عمره. منذ أن بدأ يشك في المسلمات بل منذ أن بدأ يتساءل ''من أين وإلى أين'' في مراحل أفكاره المتنوعة التي تقلب فيها – والتي سوف تبحث عنها في الفصل التالي بشيء من التفصيل – في مشوار حياته البالغ نحو ٨٧ عاماً، لم يدع عقله لا يفكر، وعقليته هذه إنما تعتبر حلقة وصل بين الشك والإيمان. وبسبب عقليته التفكيرية كان يعيد النظر دائماً في الأشياء، فمثلاً إذا ترك فكراً واعتنق فكراً آخراً لم يترك إعادة النظر في الفكر الثاني حتى يتقن للأول، فإعادة النظر وإعادة التفكير فيما يقبل من آراء أو أنماط أو أفكار خصيصته البارزة التي أوصلته إلى شاطئ الإيمان وأخرجته من أمواج الشكوك والإلحاد، وإن استغرقت في هذه الرحلة نحو ثلاثين سنة وشهد عدة عشرات لكنه وصل بالعقل والعلم ثم بتقيمه في النهاية إلى الحقيقة إذ كان واعياً للفارق بين المناقشة بالعقل والجدل بالهدم.

وعلى هذا الأساس يمكننا القول إنه كان مفكراً إيجابياً وعلمياً غير منحاز إلى طائفة مثقفة أو بل من أبرز خصائصه أنه لم يكن منتميا إلى إتجاه فكري أو أدبي معين أو مدرسة فكرية، وكان دائماً يتراجع بعد التفكير عن آرائه أو أفكاره المسبقة. فمن أهم عناصر التكوين الفكري المؤثرة في شخصية مصطفى محمود تتمثل في حالته البدنية، وصحته، وحلمه، وخياله، وحبّه للأساطير، وحكايته مع إمام المسجد الشيخ محمود، الذي بذر بذرة الشك الأولى داخل نفسه، وطبيعته الفكرية، وميوله العلمية، ودراسته للطب وشدة تعلقه بعلم التشريح والوقوف الطويل أمام الجثث في المشرحة والتفكير في حقيقة الموت والتأمل في الكون، والخوض في التساؤلات المعروفة لديه المتمثلة في ''من أين'' و ''إلى أين'' ثم ظاهرة الإلحاد والميمنة العلمية، والتيار المادي من الشيوعية، والعلمانية والوجودية، وحبّ الاستطلاع والاكتشاف ومحاولة تفسير الحياة، والغيب، وهاجس التفكير غير المنجاز إلى اتجاه أو مذهب معين. وعلى كلٍ، إخلاصه في الفكر، والذي يدل على إخلاصه في التفكير هو جرأته البارزة على نقد الذات الذي

يتواجد في مذاكراته واعترافاته، اللهم إلا أنه بسب عدم إتقان الأصول والقواعد للعلوم الشرعية اللازمة شهد زلات و عثرات وتراجع عما عرفه وتبين له الخطاء.

الفصل الثاني

تطور أفكار مصطفى محمود ومراحلها

تدل كتابات مصطفى محمود على أنه كان رجل العقل والمنطق وشديدا بتمسكه بالمنهج العلمي ومن ثم استمر البحث عن الإجابة لتساؤلات حول الحياة والموت، وبناءاً على هذا شهد تقلبات عديدة وانعطافات كثيرة في حياته الفكرية وعاش عدة مراحل من أنماط عقلية واتجاهات متنوعة وهي تتواجد شائعة في كتبه، ودراساته ومقالاته، وقصصه القصيرة، ورواياته، ومذكراته واعترافاته مع الآخرين. ومن خلال تصريحاته عرفنا كثرة تحولاته فيما يرى ويفكر حول حقيقة الحياة والموت منذ طفولته حتى آخر لحظاته من العمر. قد يمكننا متابعة تحولاته الفكرية وتطور أفكاره على مر السنين في الفترات التالية:

- فترة التدين التقليدي
- فترة الشك
- فترة الإيمان

وتتراوح التقلبات الفكرية لمصطفى محمود على شكل رئيسي بين هذه الفترات على طول عمره. وتفصيل هذه الفترات كما يلي:

- <u>فترة التدين التقليدي:</u>

وُلد مصطفى محمود في بيئة دينية وأسرة متدينة وفي مجتمع معروف بالتصوف في طنطنا حيث ضريحة سيدي من كبار المتصوفة المصريين تقف كعلامة بارزة للتدين والتنسك. وكان والده رجلا متدينا ومتعهداً بالصلوات الخمسة والنوافل. وكان والده بالنسبة له نموذجاً للاقتداء، وكان مصطفى محمود يقول ''لقد كان أبي يمثل لي الكمال

النادر''[1] وعندما ألقاه المرض طريح الفراش لمدة سبع سنوات لا تفوت عنه الفروض إلى أن لما تعرّض بعدها للنسيان بسبب الشيخوخة وكان ينسى عدد الركعات في معظم الصلوات نصح أصدقاؤه بجواز التوقف عن أداء الصلوات، وكان يقول ''لا أن ترفع التكاليف أبداً''.[2] وسعى هذا الوالد منذ البداية أن يرسل ابنه (مصطفى محمود) إلى الكتّاب، ويحضر في الدروس الدينية وحلقات الذكر مع أداء الصلوات المكتوبة في مسجد سيدي عن الرجال بطنطا. وهناك تعرّف هو على إمام المسجد الشيخ محمود الذي كان له أثر بالغ في نفس ابنه مصطفى محمود وحبه للدين، إلى أن أصبح الإبن يثق بالإمام ثقة عمياء ويصدق كل ما يقوله. وقد سأله محمود فوزي مرة:

''إذا كنتَ قد اتجهت إلى الدين فما هو السبب الحقيقي الذي قادك إلى الشك واستتبع أن تكوّن جمعية للكفار؟! ثم تخرج بكتابك ''الله والإنسان'' الذي تحت مصادرته لاعتراض الأزهر الشديد عليه؟''[3]

وقبل الإجابة عن ذاك السبب الحقيقي أشار مصطفى محمود إلى ما يهمنا هنا والذي يدلّ على تدينه وميوله إلى التدين والعمل وفقاً للشريعة الإسلامية واهتمامه بالصلوات وحضوره الدروس الدينية وحلقات الذكر، فيقول:

''منذ طفولتي المبكرة شعرت بقلبي وعقلي يتجهان للدين ... وتستطيع أن تقول إنني في الفترة ما بين ٧ سنوات و١٢ عاما كنت متجها للدين بكل حواسي ومشاعري... أصلّي الفروض جميعاً في المساجد... واستمع بإنصات واهتمام شديدين إلى الأئمة والشيوخ والدعاة في المساجد... وكنت أتردد في هذه الفترة على مسجد وضريح سيدي غر مع صديق لي يدعى ''فرج'' نصلّي الفروض والسنن ونستمع إلى وعظ شيخ الجامع وندون مايقول ونحضر المولد وحلقات الذكر...''[4]

---

[1]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، جمعها وقدمها حمدي، الحلقة الأولى ''رحلة الشك تبدأ من صرصار''.

[1]- نفس المصدر.

٢- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثانية، ص ٨.

[3]- نفس المصدر.

وعلى هذا، ساد عليه التدين التقليدي كعامة أطفال المسلمين حتى الحادية عشر من طفولته المبكرة، وإنما نشأ وترعرع في بيئة دينية يصلى الصلوات المكتوبة ويهتم بالنوافل ويحضر الخطب والدروس وحلقات الذكر.

هذه حقيقة مهمة بأن الكثيرين وقعوا في سوء فهم بأن رحلة مصطفى محمود إنما بدأت بالشك إلى الإيمان، وربّما يعود سببه إلى كتابه ''رحلتي من الشك إلى الإيمان'' الشهير، ولكن وصلنا من خلال البحث وأن رحلته الفكرية إنما بدأت بالإيمان ثم الشك ثم الرجوع إلى الإيمان ووجد ضآلته الفكرية المنشودة في الإيمان بالله.

ويكون من نافلة القول إن مصطفى محمود حدد فترة التدين التقليدي في فترة تتراوح فيما بين ٧ و ١٢ عاما من طفولته المبكرة، إلا أنه صرّح في موضع آخر بأنه اعتراه الشك لأول مرّة في الدين وهو ابن ١١ عاما. كما يقول بنفسه:

''... وكانت هذه بذرة الشك التي زرعت في نفسي! زرعها شيخ وواعظ سيدي عز... لم أشك في الورقة التي دعا إليها أو في حديثه ولكن اعتراني شك في كل شيء... كان وقتها عمري ١١ عاماً، بدأت أحاور وأرفض وبدأت تحدث فجوة بيني وبين الدين وتزايدت هذه الفجوة تدريجيا لدرجة أني كونت جمعية كفار وأنا عندي ١٢ عاماً!'' [١]

ونشأ هذا الشك بسبب قصة الصرصار التي مضى ذكرها في الفصل الأول آنفاً. وحدثت هذه القصة في عامه الحادي عشر من عمره، والجمع بين ١١ و ١٢ قد يمكن بأن يقال بدأ الشك في أواخر السنة الحادية عشر، واستيقن بالشك في الثانية عشر من عمره.

هكذا بدأت حياته من الدين والعمل بالإسلام ولكن سرعان ما تحوّل من تدينه التقليدى إلى الشك في الإيمان أو فيما اعتقده من المعتقد الديني، وقد أطلقنا عليه ''التقليدي'' لأنه لم يطبق عقله وآمن كما آمن الأطفال المسلمون الآخرون بالوراثة، ولكنه تميز باستخدام عقله وتعلقه منذ صباه الباكر.

---

[١]- نفس المصدر ص ٩.

- فترة الشك:

تبتدأ هذه الفترة مع مع قصة الصرصار. حيث بدأ يحاور ويرفض المسلمات الدينية الأولية وبدأت تحدث فجوة بينه وبين الدين وتزايدت هذه الفجوة تدريجا إلى أن قام بتكوين ''جمعية الكفار'' وهو ابن ١٢ عاماً. وكان معه في هذه الجمعية صديق مسيحي اسمه ''جرجس سعد''. وكانت الجمعية ضد الأديان. وأطلق مصطفى عليه هذه المرحلة من حياته ''مرحلة غريبة في حياته كلها على الإطلاق!'' [١] وكان الناس يعتبرون أفكار الجمعية دعوة للفكر. [٢]

ويكون من أبرز النقاط في هذا الخصوص نوعية الشك الذي اعتراه في هذه المرحلة. معظم الناس يعتقدون أنه كان يشك في وجود الله تعالى، وانكر وجوده سبحانه وتعالى. إلا أنه صرّح بأنه لم يشك في ذاته سبحانه وتعالى أو في وجوده. ومن ثم عندما سأله محمود فوزي سؤالا مثيراً للغاية قائلاً ''ماذا كان شعورك حين انتابك الشك في وجود الله''! فردّ عليه مصطفى محمود قائلاً ''أنا عمري ماشكيت في وجود الله سبحانه وتعالى ... وأنه الواحد الأحد القهار''. [٣] ويضيف قائلاً ''ولم ينتابني الشك مطلقاً في القدرة الإلهية وأنها تدير هذا الكون الكبير من حولنا وأن هذا الكون باتساعه الكبير هو خير برهان ودليل على وجود الخالق الأعظم فهو يفصح ويثبت ويبرهن ويهتف لا إله إلا الله محمد رسول الله''. [٤] فلم يشك في وجود الله تعالى على ما يقول إنما ترجع نوعية الشك في مسأله القضاء والقدر، والجبر والاختيار، والجنة والنار، وكيفية الخلود وشكله ومظهره... وبما أن الخوض في هذه كانت بمثابة الكفر عند رجال الدين، ومن ثم بدأوا يهاجمون على مصطفى محمود ويكفرونه. ويرى مصطفى محمود أن الناس

---

[١]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثانية، ص ٩.
[٢]- نفس المصدر، ص ٩.
[٣]- نفس المصدر، الحلقة الرابع، ص ١٢.
[٤]- نفس المصدر، ص ١٢.

والعلماء والمفكرون في القديم كانوا يفكرون في هذه الشكوك دون أن يتعرضوا للشنق والتكفير.[١]

وتشير كتابات مصطفى محمود ومقالاته المنشورة وقتذاك إلى عدم نضوجه الفكري. ومبعث شكوكه في الأديان إنما نشأ على يد شيخ (صاحب قصة الصراصير) بسبب جهله وخطأه وسوء فهمه للدين الإسلامي. كما أكبّ آنذاك الوقت على قراءة كتابات تثير الشكوك حول المسلمات الدينية على سبيل المثال كتب داروين، وسلامة موسى وشبل شميل والآخرين. وهذه الكتب كانت تغذيه على الساحة الفكرية. كما يقول مصطفى محمود:

''كان تيارا موجوداً على الساحة أيامها يؤكّد هذا الاتجاه ممثلاً في كتب داروين وسلامة موسى، وشبل شميل... كتابات شبل شميل كانت تدور حول داروين والدارونية والتطور... وسلامة موسى كان يغذي نفس الأفكار... كانت ثورة على الدين ... وأنا أثرت هذا الطريق... وهذا المنهج''.[٢]

هذه الكتب أثارت فيه الشكوك والشبهات في قضايا القدر والجبر والاختيار فخاض في مخلفات الشكوك في المسلمات الدينية، وبدأ يقضي أوقاته في قراءة هذه الكتب والتغذي بها في مكتبة البلدية ويناقش ويحاور مع أصدقائه، وبعض الأحيان ينتج النقاش عن المشاجرة. كما يقول:

''وكنت أقضي يوماً أو خمس ساعات في مكتبة البلدية وأقرأ في مختلف المجالات... وأدخل في مجادلات نقاشات وخناقات... تنتهي بالضرب والجري خاصة بعد إنشاء (جمعية الكفار)''.[٣]

هكذا ظل يفكر ويناقش في المسلمات الدينية وقضايا القدر، والجنة والنار، إلى أن بدأ يكتب سلسلة من مقالات أثارت ضجة كبيرة بين رجال الدين والشعب المصري على

---

[١]- نفس المصدر، الحلقة الثالثة، ص ٩.
[٢]- نفس المصدر، نفس الصفحة، ص ٩.
[٣]- نفس المصدر.

وجه عام، خاصة بعد ما تمت طباعتها في شكل كتاب ''الله والإنسان'' عام ١٩٥٥م. وشهد الفترة بداية حقيقية لشهرة مصطفى محمود كمفكر أو مثقف يفكر خلافاً للآخرين، ويتحدى المسلمات على أساس العلمية والمادية ونظرية العلمانية التي تعرف عليها من خلال كتب الزنادقة من الفلاسفة التي مضى ذكرها آنفا. ومن هنا شهدت فترة الشك مراحل عديدة تتقلب آراء مصطفى محمود وأفكاره فيما بينها. وامتدت الفترة شوطاً طويلاً. يمكننا تقسيم هذه الفترة منذ صدور كتابه ''الله والإنسان'' إلى أربع مراحل على النحو التالي:

١- مرحلة المادية العلمانية

٢- مرحلة التذبذب وعدم الاستقرار

٣- مرحلة الطبيعة

٣- المرحلة التعليمية

٥- المرحلة الأدبية

قطع مصطفى محمود هذه المراحل الخمسة حاملاً في داخله الشكوك حول المسلمات الدينية فى القضاء والقدر، والجبر والاختيار، والجنة والنار، ونوع الخلود فيهما وشكله ومظهره... كان يفكر في هذه القضايا والمسائل على أساس العلم والمنطق والفسلفة. إلا أنه لم يكن متعصباً لموقف يختاره في مرحلة ما، بل إذا بدا له دليل أو نتيجة بعد إمعان النظر وإعادة التفكير في الموقف السالف سرعان ما يتحول إلى رأي آخر، كما يقول مصطفى محمود في هذا الخصوص:

''... وكنت ما أزال مراهقا صغيرا لم أتجاوز خمسة عشر عاماً ... بدأت برفض المسلمات ... لم أكن أريد أن آخذ شيئاً عن أبي وأمي، ولكن كنت أريد اجتهادياً شخصيا... وبدأتُ بالمحسوس الذي أمامي ولم أبدأ أبداً بما وراء الطبيعة وقد تمثل هذا المخصوص في الطبيعة ''الفيزياء'' ... فوجدت الفيزياء والكيمياء عاجزة عن أن تفسر لي شيئا ... عاجزة عن أن تفسر لي الحياة والموت... ومن أجل ذلك استعنت بالفلسفة فوجدتُ أنها في حاجة إلى فلسفة تعينها!''

هكذا إنه بدأ يقيم المسلمات الأولية على قسطاس المحسوس، رافضاً بما وراء الطبيعة واستعان بالفيزياء والكيمياء في تفسير الحياة والموت ولكن دون جدوى، ثم تقلب في الفلسفات وهي أيضاً لم تظفر بشيء، فبدأ بالأديان السماوية وغير السماوية إلى أن وجد الكمال في القرآن. [١]

يعني هذا أنه ظل يبحث ويبحث عن تساؤلات حول الجبر والاختيار والقضاء والقدر، والجنة والنار والبعث والخلود، وعندما يفوز بدليل يقنعه يختار موقفا في ضوءه، وتلك المراحل الأربعة هي خلاصة تلك التقلبات الفكرية في ازمنة مختلفة من مشوار حياته من فترة الشك. والآن نبحث عن هذه المراحل الأربعة بشيء من التفصيل.

المرحلة الأولى: المادية العلمانية:

هذه المرحلة تتراوح فيما بين ١٩٥٦ و ١٩٥٨م. وقد أشرنا فيما أعلاه أن هيمنة المنهج الوجودي والفكر المادي من أبرز ظواهر الفترة التي نشأ بها وشب فيها مصطفى محمود، وظهر في تلك الفترة كتّاب علمانيون وماركسيون يحكمون بالفكر المادي وينطقون بلسان المنطق الجدلي، والفكر الماركسي، وبالإضافة إلى ذلك درس الطب والذي جعله لايعتمد على الفيبيات والمسلمات الأولية الدينية، فبدأ يفكر بمنطق الفكر المادي والذي تطور عنده فيما بعد إلى فكر جدلي أو فكر ماركسي لايؤمن إلا بالدنيا. فقد بدأ يتعاطف مع الفكر المادي والفكر الماركسي، مع أنه لم يعتنق فكرة الماركسية جملة وتفصيلا وبدأ يكتب سلسلة من المقالات تعبيراً لما يتموج في داخله أمواج هائلة من الأفكار. وينشرها في مجلة (روز اليوسف). وكانت هذه الأيام تشهد شباب حركة الضباط الأحرار في مصر. وكانت ثورة شعبية على أيدي الضباط، إلا أن مصطفى محمود شعر بفشل الحركة فيما قصدت وكان يقول ''خذلتنا هذه الثورة بعد ذلك فقد حررت الدولة المصرية لاستعباد الشعب المصري''. [٢]

---

[١]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثانية، ص ٧.

[٢]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، جمعها وقدمها حمدي، الحلقة الرابعة ''كل إنسان يحمل الموت بداخله''.

وفي حين كانت مقالاته تنشر على الدوام في المجلة إذ فوجئ إحسان عبد القدوس باستدعائه من قبل رجال الثورة للتحقيق معه حول ما نشر بمجلته، وكيف يقوم مصطفى محمود بنشر هذه الأفكار في مجلته؟![1] وكان ردّ إحسان عبد القدوس عليهم ''أنا أو من بالحرية... وأعطي هامشا للحرية للكتاب في مجلتيز... فمن الجائز أنني اختلف مع مصطفى محمود فيما يكتب ولكنه حرّ فيما يقول ولا استطيع أن امنعه من أن يقول رأيه من يرد أن يردّ عليه فله حق الرد.'' [2]

هكذا لم يستطع رجال الثورة اتخاذ أي موقف ضد مصطفى محمود من مقالاته، ولكن حينما قام بنشر هذه المقالات في شكل كتاب بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٥م بعنوان ''الله والإحسان''، انقلبت الدنيا من حوله ودارت الرحى تحت قدميه، وظهرت مواقف عديدة منه بين التأييد والتجريح والتنفيذ. يقول مصطفى محمود الذي قاسى التجربة ''أصبح كل واحد يكتب عن الموضوع بمزاجه، من وصفني بأنني فيلسوف العصر الجديد ومن وصفني بالملحد والشيوعي والكافر و... و...'' [3] مع أن الكتاب نشرته دارا حكومية اسمها ''دار الجمهورية للنشر، وكان يشرف عليها وقتذاك أنور السادات وحقق الكتاب أرقاماً قياسية في النشر، وقرأه كبار المسئولين ''المفتي'' في الحكومة المصرية الناصرية، وأبدار أيه فيه بصراحة قائلاً إن هذا الأسلوب يبشر بكاتب كبير وعالم، ربنا يهديه.'' [4]

وبالرغم من ذلك عندما وصلت من الكتاب نسخة إلى علماء الأزهر فهاجوا وماجوا وقدّموا الشكاوى ومطالبة مصادرة النسخ المتبقية من الكتاب ورافع عن الكاتب المحامي الشهير محمد عبد الله بأجر رمزي، وجاءت المحاكمة في شهر رمضان سرية في غرفة مغلقة وقرروا مصادرة النسخ المتبقية المعدودة في الأسواق من الكتاب.

---

[1]- نفس المصدر.
[2]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثالثة، ص ١٠.
[3]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، حمدي، الحلقة الرابعة ''كل إنسان يحمل الموت بداخلة''.
[4]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، ص ١٢.

فقد حوّل رجال الدين ضده في دين وجد الماركسيين في مصر يرفعونه إلى السماء ويعلنون أنه أصبح من كبار مفكري الماركسية والشيوعية في مصر. فماذا كان إذن في هذا الكتاب، الذي آثار ضجة في المجتمع المحافظ المصري؟! وبالأصل تحدث مصطفى محمود في هذا الكاتب عن أشياء تفترض واقعاً لابدّ من قبوله دون تفكير وتساؤلات فيه، حول عناوين مختلفة منها ''ما هي فلسفتك''، و''الطعام أولاً''، و''هل أنت حرّ''، و''منطق اللص''، و''ما هو الشرف''، و''فضائل في اللعب'' و''أين السعادة'' و''المرأة'' و''الحب العصري''، و''معنى التقدم'' و''معنى الضمير''، و''حول معنى العدالة'' و''لاتقتل نفسك'' و''روشته لعلاج الحروب'' و''الله'' و''بحث في معنى الروح وأصل العبادات''.[١]

وحاول مصطفى محمود أن يتحدث عن الموضوعات المذكورة أعلاها بأسلوب جديد وتفكير جديد ولأجل تقيم الأفكار السائدة والكليات المفروضة ليبقى الجيد ويذهب الردئ. كما يقول بنفسه:

''وفي هذا الكتاب حاولت أن أناقش مشاكلنا كلها من جديد... وأطرح التركة الفكرية التي ورثناها عن الجدود في غربال واسع الخروق ليسقط منها الفاسد ويبقى الصالح.''[٢]

كما حاول الكاتب من خلال هذا الكتاب كسر الظلام، وإطار الخفافيش وتفسير الحقائق التي تجري حول الناس. كما يقول بنفسه:

''وتمت مصادرة النسخ المعدودة المتبقية في الأسواق من الكتاب بعد أن تخاطفه الكثير من المصريين الذين كانوا يرغبون في من يكسر لهم الظلام ويطير الخفافيش التي تتزايد داخلهم، ويفسر لهم حقيقة مايجري لأنهم سئموا من أن تفرض عليهم الأشياء باعتبارها واقع ولازم يقبلوه...''.[٣]

---

[١]- الله والإنسان، مصطفى محمود، فهرس الكتاب، ص ١٣٥.
[٢]- نفس المصدر، ص ٧ (هذا الكتاب).
[٣]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، حمدي، الحلقة الرابعة: كل إنسان يحمل الموت بداخله.

طبعاً، إنه أثار بعض التساؤلات حول المسلمات الدينية، التي يقبلها المسلمون بحكم الإيمان دون عقلية أو حاجة إلى التعقل خاصة بالأمور الغيبية والقضاء والقدر، والاختيار والجبر. والبحث عن دليل مادي لإثبات الغيبيات طبعاً يثير الغضب والريبة داخل المسلمين العاديين، والذي أغضب المسلمين، مع أن هذه التساؤلات قد تفتح مجالاً للنقاش وتفسير الأمور بعلمية ومنطقية. قد أخطأ مصطفى محمود في بعض المواطن وخاب ظنه في تفسير الغيبيات ومسائل القضاء والقدر والإلهيات بالطبيعة من الفيزياء والكيمياء وقد اعتراف تلك الأخطاء. وإنما كان هذا الكتاب نتيجة تعاطفه مع الموقف العلمي والمادي والفكر المادي الجدل وحدث ذلك بحكم البداية. [١] وحسب عادته في إعادة النظر في كل شيء حوله، قام بإعادة النظر في هذا الكتاب ووجده مليئاً بالثغرات، فقد اعلن قائلاً:

''أنني تراجعت كل الأفكار المادية التي لا ترتبط بالدين والتي جاءت بكتابي الأول 'الله والإنسان'.''[٢]

وفي هذه المرحلة أخرج كتابا آخر ''إبليس'' الذي يحتوي على عناوين خمسة وهي ''حقيقة الحبّ''، و''إبليس''، و''محنة القلق''، و''فحير لا ميسر''، و''أقوال غير ماثورة'' ماعدا مقدمة الكتاب. هذا الكتاب هو الثاني الذي يثير الشكوك حول العقيدة. ويشبهها بالشهوة الخطرة. كما يستهل مقدمته قائلاً:

''الإنسان تتأكله شهوة غامضة خطرة. أخطر من شهوة الجنس... وأخطر من شهوة الطعام... هي شهوة العقيدة... شهوة اليقين... الشهوة إلى شيء يؤمن به ويصدقه... وهو في سبيل هذه الشهوة قد يؤمن بحجر أو صنم أو تعويذة أو حجاب أو درويش أهبل... ليس لأنه ساذج ومغمل وإنما لأنه ضعيف... به ضعف فطري... وشوق غريزي حاد إلى هدف يرتبط به... وكلمة يصدقها وعقيدة يعتقدها.'' [٣]

---

[١]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثانية، ص ٦.
[٢]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، حمدي، الحلقة الرابعة، كل إنسان يحمل الموت بداخله.
[٣]- إبليس، مصطفى محمود، مقدمة، ص ١.

وفي هذا الكتاب هاجم مصطفى محمود على العقيدة، ولكن القراءة المتأسبة للكتاب خاصة مواطن النقد والطعن باسم العقيدة نتوصل إلى نتيجة أنها في الأصل لاتمت للعقيدة الإسلامية الصحيحة بصلة مطلقة... بل تتعلق بالخرافات والكهانة والشعوذة في أغلب الأحيان. كما ذكر في مقدمته قصته مع الرجل الأفندي في الصعيد، والذي ناقشه في الأديان ويوم القيامة وقال له بأن القيامة سوف تقوم سنة ١٩٦٠م اعتقاداً تنبوءات عرّافة... كما يرى الملحد مؤمناً لأنه انكر الغيب ليبحث عنه على علم ويقين.[١] وقد يصح هذا بخصوصه ومثله الآخرين، الذين ساروا على درب الإلحاد للبحث عن الله والحقيقة، ولا يمكن تعميم القول.

وبالجملة أن هذه المرحلة المادية والعلمانية من حياته مصطفى محمود مرحلة فكرية تهيمن عليها المنطق والمادة والعلوم الطبيعية، ولكن لا استقرار لها، إذ يتقلب في مرحلة أخرى. وهى مرحلة التذبذب واللااستقرار في حياته.

المرحلة الثانية: مرحلة التذبذب وعدم الاستقرار:

وعندما ذهبت محاولة تفسير الحياة والموت على أساس الفكر المادي أو الفكر الماركسي أو الفكر الجسد لي فقد مصطفى محمود سيطرة الفكر المادي على عقله وطريقة تفكيره. وساره التذبذب والاستقرار. ومن هنا قضى فترة يتيه في وادي الاستقرار والتذبذب فيما بين ١٩٥٩ و١٩٦٢م. وفشلت المادة في تقديم تفسير مقنع للحياة والموت والإنسان والتاريخ، والخلود وتساؤلات أخرى.

وفي هذه المرحلة بدأ يفكر ثم يعود فيفكر مرات وكرات لكي يجد على تفسير مقنع، وكنتيجة تخرجت عدة كتب، من أهمها ''لغز الحياة'' و''لغز الموت'' ورواية ''المستحيل''.

كأن الحياة لغز والموت هو لغز آخر يريد فك اه هذه الألغاز فكان تترد في ذهنه أسئلة حول الحياة والموت... فما ''الحياة''؟! هل هي لغز لا سبيل إلى فك طلاسمه وكشف

[١]- نفس المصدر، مقدمة، ص ٩.

رموزه؟ أو هي شيء أكثر من مجموعة الأنشطة الحيوية والنفسية والذهنية التي تقوم بها الأجهزة والأعضاء؟؟ وما الموت؟ هل هو نهاية كل حياة؟ أو أن هناك حياة بعد الموت؟ أو أن كلاً منا يحمل جثتة على كتفيه، إلى أن تحدث الوفاة فينتهي الإنسان كله فجأة؟[1]

ومن خلال تفسير هذه الألغاز تناولت أفكاره قسطا من النقاش حول وجود الله تعالىٰ.

فما الله؟

هل هو موجود؟

وإن كان موجوداً، فما الدليل على وجوده؟

هل هو ''الدليل الكوني''

أم هو ''الدليل الفائي''

أم السؤال عن وجود الله هو دليل في نفسه على وجوده تعالى، فوجود الله عند مصطفى محمود ليس موضوعاً يبرهن عليه، خارجاً الدليل الكوني والدليل الفائي، وإنما هو تجربة لغانيها ونختبرها في صميم ذواتنا، لأن الله ليس محسوساً نمتلكه وإنّما هو إحساس يتملكنا، وليس موضوعاً يعابن، وإنما هو ذات تعاني، ومجرد طرح السؤال عن وجود الله يثبت وجود الله، لأنه لو لم يكن موجوداً لما كان موضع سؤال، وهذا ما عبّر عنه مصطفى محمود قائلاً:

''ولم أدرك أني أتناقض مع نفسي إذ اعترف بالخالق ثم أقول ومن خلق الخالق فأجعل منه مخلوقاً في الوقت الذي أسميه فيه خالقاً، وهي السفسطة بعينها.'' [2]

يعني هذا أن فكرة الله متضمنة في فكرة الإنسان عن نفسه. إلا أن إثبات وجود الله يحتاج إلى معرفة صفاته تعالى، والذي حاول مصطفى في الكشف عن صفاته تعالى في كتابيه ''لغز الحياة'' و''لغز الموت'' انطلاقاً من كلية وحدة الوجود، وأن الله هو

---

[1]- مصطفى محمود شاهد على عصره، جلال العشري، ص ٤٣.

[2]- نقلاً عن المصدر السابق، ص ٤٦.

جوهر الحياة. إذ ذهب في كتابه ''لغز الحياة'' إلى فلسفة وحدة الوجود وجوهر واحد وراء الوجود المطلق. كما يقول:

''... كانت دائماً تدلني على أن جوهر الحياة واحد بالرغم من تعدد الكائنات الحية وتنوعها... جوهر واحد لايقبل التقسيم ولا التجزئة... جوهر مبثوث في كل جزء وفي كل بضعة برتوبلازم... بحيث يصبح كل جزء قادر على أن يصبح كاملاً.'' [١]

وخاض مصطفى محمود في تفسير الحياة مستعيناً بفلسفة وهي تحتاج إلى فلسفة أخرى... ويرى جلال العشري أن لغز الحياة عند مصطفى محمود ليس في تركيب المادة نفسه، ولكنة في هذه البصيرة المطوية في تضاعيف المادة، فكلّ هذه الفاعليات التي تعطي للمادة النظام والسلامة والقانون... هي الحياة! [٢] والحياة عند مصطفى محمود لاتقتصر على الجسم البشري فحسب على المعتاد، وإنما توجد الحياة في العقل والعاطفة والطاقة والمادة والحياة والإرادة... وكذلك يفسر الموت مثل تفسيره للحياة. وتحمل الحياة في ثناياها جرثومة الموت. كما يقول مصطفى محمود متفلسفا:

''لأن الموت يحدث في داخلنا في كل لحظة حتى ونحن أحياء... كل نقطة لعاب... وكل دمعة... وكل فطرة عرق... فيها فلايا ميتة... نشيعها إلى الخارج بدون انتفال.'' [٣]

''حتى الأفكار تولد وتورق وتزدهر في رؤوسنا ثم تذبل وتسقط... حتى العواطف تشتعل وتتوطج في قلوبنا ثم تبرد... حتى الشخصية كلها تتحطم شر نقتها مرة بعد أخرى... وتتحول من شكل إلى شكل.'' [٤]

''إننا معنوياً نموت، وأدبياً نموت، ومادياً نموت في كل لحظة... لأن الحياة هي عملية الموت.'' [٥]

---

[١]- نفس المصدر، ص ٤٧.
[٢]- مصطفى محمود شاهد على عصره، ص ٤٨.
[٣]- نفس المصدر، ص ٤٩.
[٤]- نفس المصدر، نفس الصفحة.
[١]- نفس المصدر، نفس الصفحة.

وإذا كانت الحياة تحمل في ثناياها جرثومة الموت فهل يحمل الموت داخلها جرثومة الحياة؟ فيرى مصطفى محمود ''إن الموت في حقيقته حياة''! [١]

ويقول ''وبالموت تكون الحياة... وتأخذ شكلها الذي نحسه ونحياه... لأن ما نحسه ونحياه هو المحصلة بين القوتين معاً... الوجود والعدم.'' [٢]

ويريد أن يجعل من الموت مرآة للحياة قائلاً ''إن حياتنا غير منفصلة عن موتنا... فكل منهما مشروط بالآخر.'' ثم يفاضل بين الحياة والموت. هل الحياة خير أم الموت، هل الموت نوم يريحنا من أوجاع القلب أو هي نهاية حزينة مفجعة للحياة؟ ثم يخوض في فلسفة الخلود بتحليل فلسفة ''الأنا'' ثم ينتقل إلى التأمل في مبحث القيم والحبّ... وكما قلنا سابقا أو كما قال مصطفى محمود أنه يلجأ إلى فلسفة في تفسير ألغاز الحياة والموت ثم تحتاج الفلسفة مساعدة لفلسفة أخرى في حلّ اللغز... وكما اعترف مطصفى محمود قائلاً ''... فوجدتُ الفيزياء والكيمياء عاجزة عن أن تفسير لي شيئاً ... عاجزة عن أن تفسر لي الحياة الموت... ومن أجل ذلك استعنت بالفلسفة فوجودت أنها في حاجة إلى فلسفة تعينها''. [٣]

هكذا يتيه مصطفى محمود في أودية الخيال والأفكار لتفسير ألغاز الحياة والموت. وفي روايته ''المستحيل'' التي أخرجها في مرحلة التذبذب وعدم الاستقرار العقدي يحاول فك طلاسم الإنسان ولغز الإنسان ووجوده. وهي قصة شاب مهندس يرى أنه يعيش حياته وواقعه زيغاً، ويعيش تحت ضغوظ اجتماعية وظروف صعبة ليس له دخل فيها ولم يخترها، إنه متزوج بزوجة لم يخترها، وأنه خاضع في آرائه كلما لوالده وظلّ يحي في كنف والده وآرائه. وبجانب آخر له جارة تعيش ماساة أخرى من نوعها إذ تفرض عليها الظروف أن تعقد قرانها من زوج شقيقتها التي ماتت، ولم تتزوج مرتاحة، بل بعد ضغط مستمر من أسرتها... في الرواية أيضا عبارة عن محاولة

---

[٢]- نفس المصدر، ص ٤٩.
[٣]- نفس المصدر، ص ٥٠.
[٤]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثانية، ص ٧.

تفسير مسائل القضاء والقدر والاختيار والجبر... ومن ثم اتخذ كلمة ''المستحيل'' عنوانا للرواية تعبيرا عن مستجيل الذات أو الإنسان.

إلا أن مصطفى محمود لم يظفر باستقرار روحي ولا عقلي وظل يغيّر أنماط أفكاره وطريقة تفكيره حتى يدخل مرحلة أخرى من أفكاره حيث يحاول تفسير الألغاز وأجابة على التساؤلات العقدية حول الوجود والحياة والموت مستعيناً بقانون الطبيعة في السائدة في الغابات والصحارى.

المرحلة الثالثة – مرحلة الطبيعة:

وبعد التيه في الاستقرار حاول الكشف عن تساؤلاته المثيرة من بطن الطبيعة، في الغابات الاستوائية والجبال الإفريقية وأدغال الصحارى. بحثاً عن خالق الطبيعة، إنه بحث عنه في المدينة فغادر لمواطن الطبيعة حتى يجد آياته في الغابات والجبال والصحراء. وفي هذه الرحلة إلى الطبيعة أخرج ثلاثة كتب، وهي ''الغابة'' و'مسافر حكايات'' و''مغامرة في الصحراء''.

كانت هناك اسئلة لابدّ من الإجابة عليها المصطفى محمود، وقد يمكن له أن يجدها في الطبيعة بعد يوؤسه وقنوطه في المدينة، وهي:

''هل الطبيعة تدبر كل شيء كأحسن ما يكون التدبير، وليس في الإمكان أبدع مما كان... وأى تدخل من الإنسان في الطبيعة إفساد لحكمتها؟

''إنه إذا كانت الغابة هي سبيل الخلاص من المدينة، فهل تكون سبيل الخلاص بالنسبة إلى الإنسان.''

''وهل الخلاص بالغابة استنقاذ للممكن من مخالب المستحيل؟ فإذا كان الله قد مات في المدينة، وفي المدينة ضاع الإنسان، فهل تصنع الغابة من أشجارها عرشا للرحمن؟ ومن أعشابها سنداً يعني بشر''؟؟[1]

[1]- مصطفى محمود شاهد على عصره، جلال العشري، ص ٢٣٦-٢٣٧.

وغادر مصطفى محمود لإفريقيا، بلهفة غلابة وشوق موفور ليبحث عن أسرار إفريقيا وطبيعتها الباكرة، وكان جنوب السودان حلمه الأكبر، ووصل إلى ''بوبا'' في جنوب السودان، ووصل إلى الأحراش، وعاش شهرين من أمتع ما عاش في حياته وسط قبيلة ''نم نم'' أو ''نيام نيام''! وهذه القبيلة كانت عارية تماماً إلا من ورقة التوت. وكان الرجال يقتصرون دورهم على الجلوس تحت الشجرة ليدخنوا بينما نساؤهم يعملن لتوفير لهم العيش والحياة في رفاهية، وكانوا يتزوجون من نساء عديدة، ويحق لرجل أن يتزوج ٤٠ أو امرأة.[١]

ولابدّ من الإشارة إلى أن مصطفى محمود في هذه المرحلة كان يعيش حياة حرّة. ورحلة مصطفى محمود إلى الغابة لم تكن بدافع الرصد والتسجيل أو لأجل الفرجة والمشاهدة شأن أي رحلة تقليدية آنذاك بل كانت رحلة في الداخل لا الخارج، في ضمير الغابة ويحاول الرحّالة استكناه إنسان القارة السوداء وكشف أنماط حياتهم ومشكلاتهم.

وحاول مصطفى محمود أن يدرس ذاك الإنسان البدائي البعيد عن زخارف المدينة ومظاهر الحضارة فوجده عارياً من أدران المدينة، وأعظية الحضارة، الإنسان الذي يعانق صباح الخلق الأول كما يعانق فجر مسائه الأخير دون زيف أو مغالطة... دون سرقة أو استغلال ... دون كذب أو نفاق ... دون كل ما هو دون الإنساني أو تحت البشرى... ذلك لأن إنسان الغابة... إنسان في أخلاقه صلابة الإيمان بالأسلاف... وفي سلوكة أصالة التناغم مع الطبيعة... على حدّ تعبير الشاعر الكبير ليو بولد سنجور:

''متفتح لكل الأشياء... مستجيب لفداء الطبيعة... بشرط أن تكون أمينة وصادقة وعادلة! فالإنسان الذي لا يملك أن يغير جلده، فلا أقل من أن يمنحه البريق والحياة.''[٢]

---

[٢]- لمزيد من المعلومات حول هذه الرحلة أو القبيلة راجع إلى كتاب ''اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي''، الحلقة الثالثة عشر، ص ٤١-٤٥.

[١]- مصطفى محمود شاهد على عصره، جلال العشري، ص ٢٤٢.

فالغابة تمثل انسجاماً تاماً مع الطبيعة، وإنسان الغابة يتربع على قمة الأخلاق والسلوك يتلقى الدروس من قانون الطبيعة. والإيمان بالأسلاف والتناغم مع الطبيعة من أبرز السمات في حياة ذاك الإنسان.

وتنطلق نقطة أفكار مصطفى محمود في الغابة بالبحث عن حقيقة الإنسان وأحشائه، وعن روحه الدفين، وعن ضميره الحيّ، وعن الإنسان الإنساني أو الإنسان بما هو إنسان. [1] ويرى مصطفى محمود حياة الإنسان في الغابة بريئة مثل براءة الطفولة الإنسانية الحلوة، لا افتعال ولا جل ولا تمثيل ولاغرض من وراء أي شيء ويعيش بجماع قلبه. ومن هنا يريد مصطفى محمود أن يعانق هذا الإنسان ويفتتن بحياته الطبيعية، وأن يشارك أعياء الطبيعة وأفراح الحياة. ويريد التمسك بتلاليب الإنسان إلى أن يعود فيرى الله بعد غيابه من المدينة على النحو الذي يقنعه عقله ومنهجه المنطقي. يقول:

''وشعرت بالدماء تدبّ في أوصايي الباردة... وشعرت بطفولتي الدفينة تحت ركام ثلاثين عاماً من كابوس المدينة... تطل برأسها... وتتمطأ... وتنبثق من تحت الروم ... وتسرى في جسدي كسيال من الكهرباء... وشعرت بنفسي أقدم... وأهتز ... وأرقص... كما لم أرقص في حياتي كطفل مولود تهدهده أمه... الطبيعة.''[2]

ويرى مصطفى محمود أن الله يضفي على إنسان الغابة من الفرح والمسرة، فهو بشكل أو آخر من أحبّائه إلا أن الإله في شكل وحدانيته غير موجود في الغابة، إذ استبدلوا الإله الواحد بأكثر من إله حيث هناك عدة آلهة عندهم، ثمل جوك، ونايجوك، ومارياك، ومبولي، وجان لوكي، وجان لوكاك وكاوث ودنجديث وتومو وغيرها... ومع هذا لا يظفر مصطفى محمود بوجود الله هناك، وقفاً لمنهجه وفلسفته، إنه وجد الإنسان الحقيقي غير المزيف في الغابة... ولكن هل يكفي أن نجد الإنسان في الغابة لكي نستغني بوجوده عن وجود الله؟ طبعاً، الله موجود بالضرورة في مكان آخر بالإضافة

---

[1]- نفس المصدر، ص ٢٤٤.
[2]- نفس المصدر، ص ٢٤٥.

إلى المدينة والغابة. ولكنهم اعلنوا موت الله في المدينة وأما في الغابة فالله غائب عنها إلا أن الغابة أسعد حالاً من المدينة لأنها وإن انتفى فيها وجود الله فقد تأكد مصطفى محمود فيها قيام الإنسان ولكن غياب الله فكرة قائمة على المستحيل الذي لايطاق... ومن ثم يستمر مصطفى محمود بحثه عن وجوده الله وقفاً لمنهجه وفلسفته ويولى شطره نحو الصحراء عسى أن يجده فوق جبالها وههنا بها.

ومن هنا شدّ مصطفى محمود رحلته التاريخية في الصحراء الكبرى التي عاش فيها شهورا في الطرقات. والتقى هناك بقبيلة الطوارق في ليبيا والجزائر والنيجر. ومن أعجب ماشاهده مصطفى محمود في هذه القبيلة أن الرجال محجبين والنساء سافرات. وأغرب منهم الرجل يستر فمه حتى من زوجته فالرجل يفتخر بأنه ظل معها خمسين عاما ولم تر فمَه كما تفتخر هي بأنها عاشت معه طوال هذه السنين ولم ترفمه.[1] ومن غرائب القبيلة أن الرجل لا يتناول في يوم إلا وجبة واحدة ولا يشرب إلا لبن ''النوق'' المعتق، ويتمتعون بصحة ونشاط وقوة.

ومن الناحية الاعتقادية وجد مصطفى محمود سيدة مسنة عمرها أكثر من ٨٥ عاماً، حفظت القرآن بكاملة مع أن الإسلام لم يصل إلى تلك القبيلة وأنهم يعتبرون وثنيون، وأنهم حينما يشرفون على الموت ويودعون الحياة يرفعون إصبعاً واحداً إمعاناً وإشارة إلى الخالق الواحد القهار.[2]

ولكن لايدرى مصطفى محمود من أين جاءت هذه المعتقدات من توحيد الله هناك، مع أنهم وتنييون.

وفي رحلته إلى الصحراء الكبر من حاول مصطفى محمود أن يجد فيها فردوسه المفقود بعد أن وجد في الغابة فردوسه المستعاد. هنا يجد المستحيل المفقود من ناحية والمنشود من ناحية أخرى. خاصة في واحة ''غدامس'' في الصحراء الليبية حيث يقع ضريح السيد البدري والذي صنع المستحيل الذي لايطاق والذي حاول مصطفى

---

[1]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الرابعة عشر، ص ٤٦.
[2]- نفس المصدر، ص ٤٦.

محمود الكشف عنه. وبفضل هذا الضريح أصبحت المنطقة بلاسرقة ولا قتل ولا خيانة ولا عدوان. والسيد البدري هو صحابي جليل دخل ''غدامس'' مع جنود عقبة بن نافع الفهري عام ٤٢ الهجري. وتفسير ''المستحيل'' الذي صنعه السيد البدري هو يتمثل في ''الأمن أو الأمان الذي استظل الواحة، طوال عشرات السنين... بلا سرقة ولا قتل ولا خيانة ولا عدوان، بلا أي حادثة من الحوادث التي تعكرصفو الأمن، لمجرد أن الواحة لا يزال بها ضريح ''السيد البدري''.[١]

هنا لاحظ مصطفى محمود أن لغز المستحيل في طريقه إلى الحلّ، إذ وجد الأهالي لجوار السيد البدري أنهم يعتقدون بأنه بفضل روح السيد البدري يمكن الكشف عن السارق، وحينما تحدث سرقة يجتمع المشايخ في الضريح ويقرءون سورة يٰس أربعين مرة، فيظهر السارق على الباب وهو يتوسل... استروني من الفضيحة يرحمكم الله... ويرد ما سرق كاملاً.[٢] وعندما سمع مصطفى محمود هذا المستحيل تغلبت عليه الدهشة والاندهاش، وسأل هل حدث هذا فعلاً؟ فقام أحد جنود الشرطة ليروي أقرب حادث وقع... كما قالوا يحدث مثل هذه الحوادث كثيرا. ومهما يكن من تفسير لهذا المستحيل فالذي لاشكّ فيه أن السلام السائد في المنطقة كان بفضل كرامة السيد البدري، ولم يجد مصطفى محمود بُداً إلا ويعترف بهذا الفضل مع أنه مضاد للمنهج العلمي ويرفضه المنطق الفلسفي. كما يقول الناقد جلال العشري:

''وهو فعل قد ينكره المنهج العلمي وقد يرفضه المنطق الفلسفي، ولكن الحدس الصوفي قادر على استيعابه وتمثله دون أن يتناقض في ذلك لا مع العلم ولا مع الفلسفة؛ فالنظريات العلمية الناتجة عن المشاهدة الخارجية والتجربة الحسية تصف الظواهر دون أن تتجاورها إلى ماوراءها، والأفكار الفلسفية المؤسسة على النظر العقلي والدليل المنطقي تفسير الظواهر دون أن يرقى تفسيرها إلى مرتبة اليقين، أما الأذواق الصوفية المصادرة عن البصرية والإلهام فهي وحدها التي تستطيع إدراك

---

[١]- نفس المصدر، ص ٢٥٤.
[٢]- نقلاً عن المصدر السابق، ص ٢٥٤.

الحقيقة إدراكاً مباشراً، كما تستطيع مشاهدة كل مايصدر عنها في الكون من آيات الحق والخير والجمال''. [1]

يعني هذا، أنه بين الرحلتين؛ رحلة إلى الغابة ورحلة إلى الصحراء تطورات مهمة، ومن هنا نجده يميل إلى وجود بعض الصحة في ما وراء الطبيعة مارداً عن منهجه العلمي وبعيداً عن المنطق الفلسفي، ومن ثم شدّ رحلته إلى الهند ولقي في دلهي ''براهما واجيوارا'' والذي كان يجلس في حالة ثبات ويرتفع في الهواء بلا مساعدة من أحد، ونزل معه في كهف، وأعطاه جرة من الماء وبعض الحبوب المملحة ليتفاولها. وكان نقطه تحوّل في حياته. وجعله أقرب إلى السماء للبحث عن الله بالقرب من الناس. كما يقول مصطفى محمود ''... وقبل سفري إلى القاهرة ذهبتُ إليه ارتجف خوفاً من الدنيا ومن الآخرة، ولكنه مسح بيده على رأسي وأعطاني منديلاً به حرّة ملح وسافرت عائداً إلى مصر وأنا على يقين بأن السماء بالقرب من الله أفضل من الحياة بالقرب من الناس''. [2]

إلا أنه مازال يراه مستحيلاً، وصعباً لليقين. ومن حصيلة هذه المرحلة أنه بدأ نقطة بدائية لإعجاب مصطفى محمود من التصوف، ولكنه بدون اليقين ومن ثم يستمر رحلته إلى مرحلة أخرى من التطور الفكري. وهي المرحلة العلمية.

المرحلة الرابعة ـ المرحلة العلمية:

بعد الخوض والتيه في مرحلة الطبيعة ورحلاته الشائكة الطويلة في دنيا الله يعود مصطفى محمود إلى العلم، وتتطور أفكاره من المستحيل إلى الممكن ومن الممكن غير المقنع إلى الممكن المقنع في ضوء العلم. حيث الفكر عند مصطفى محمود كائن حي له يدان؛ يسراه العلم، ويمناه الفلسفة. وفي هذه المرحلة أخرج بعض الكتب العلمية من أهمها قصة ''العنكبوت'' و''الخروج من التابوت'' و''رجل تحت الصفر'' و''أينشتين والنسبية''. وتتراوح مدة هذه المرحلة فيما بين أعوام ١٩٥٤ و ١٩٦٦م.

---

[1]- مصطفى محمود شاهد على عصرى، جلال العشري، ص ٢٥٥.

[2]- مذاكرات الدكتور مصطفى محمود، حمدي، الحلقة الحادية عشر: رحلاتي... سوّاح في دنيا الله.

والفكر الذي تطرق إليه مصطفى محمود حتى الآن هو الفكر الحسي أو الفكر المحسوس؛ حسي لأنه يتحول إلى شيء، أو شخص، أو موقف، ومحسوس لأننا لانتلقاه... بل نلتقي به... لقاءاً حيّاً مباشراً. و''العلم'' من أبرز سمات هذا الفكر، ويهدف هذا الفكر أنسان المعاصر الذي يؤرقه العلم، ويرهقه الفكر ويخيفه التصوف، فلا يدري أي الطريق يوصله إلى معرفة نفسه، ومعرفة العالم الذي حوله، ومن هنا الوصول إلى معرفة الله، إن أفكار مصطفى تعتبر تمثيلاً رائعاً لهذه الظاهرة. يقول الناقد جلال العشري:

''فالأعمال الجيدة في انتاجه الفكري تكاد سطورها تقطر أدباً، والأعمال الجيدة في إنتاجه الأدبي تكاد سطورها تقطر فكراً، وتتجمع قطرات الفكر فوق صفحة الأدب، لتشكل في النهاية واحدة من القضايا التي تلح على وجداننا المعاصر''. [1]

وهذه القضية هي قضية العلم والإيمان. وحتى إلى هذه المرحلة تطور فكر مصطفى محمود إلى أن العلم المزعوم الماركسي فيه قصور. وهو ليس حلا لكل القضايا. كما يكتب في كتابه ''اينشتين والنسبية''.

''العلم يدرك كميات، ولكنه لا يدرك ما هيات''. [2]

يعني هذا أن العلم لايمكنه أن يعرف ما هو الضوء؟ ولا ما هو الإلكترون؟ وعندما يقول العلم إن الأشعة الضوئية هي موجات كهربائية مغناطيسية أو هي فوتونات، فإنه إنما يحيل الألغاز إلى ألغاز أخرى. إذ ينبعث سؤال آخر على أنقاض السؤال الأول، وهو ما هي الموجات الكهربائية؟ هل هي حركة في الأثير؟ وما الحركة؟ وما الأثير؟ وعلى هذا يقول:

''العلم لا يمكن أن يعرف ماهية أي شيء. إنه يستطيع أن يعرف سلوك الشيء وعلاقاته بالأشياء الأخرى، والكيفيات التي يوجد بها في الظروف المختلفة... ولكنه لا يستطيع أن يعرف حقيقته''. [1]

---

[1]- مصطفى محمود شاهد على عصره، جلال العشري، ص ٢٠.

[2]- نقلاً عن المصدر السابق، ص ٢٦

فالعلم يقتصر دوره على وصف الشيء دون يتجاوز ''الوصف'' إلى ''التفسير''، ومصطفى محمود يحاول التفسير للحياة والموت والوجود، والحَلود و... و....

ويشن مصطفى محمود حملة شعواء على الاشتراكية العلمية أو الفكر الماركسي العلمي قائلاً:

''ولم تكن الاشتراكية العلمية... اشتراكية، ولم تكن علمية... وإنما كانت تلفيقا فلسفياً ومكراً يهودياً صنعه ماركس وجرّ به العالم إلى حمامات دم، وإلى صراعات رهيبة بين يمين و يسار استنزفت طاقات الشباب وضيعت أمماً، ودمرت اقتصاديات وألقت بشعوب في شباك عنكبوتية من الأكاذيب''.[٢]

وبعد قراءة متأنية للفلسفات والاتجاهات النقدية وعلم النفس بدءاً من سقراط إلى أفلاطون وأرسطو وهيجل وانتهاء بكارل ماركس ووليم جيمس وقراءة الأديان السماوية وغير السماوية من الفيدات الهندية والبوذية والنصرانية واليهودية والزراد شتية... وصل إلى نتيجة أنه لايخالف العلم الدين بالضرورة، وليس الإيمان نقيضاً للعلم خلافاً لما ذهب إليه السير جيمس ستيفن (ت١٨٨٤م) قائلاً:

''إذا كانت الحياة الإنسانية في نشأتها قد استوفى العلم وصفها فلستُ أرى بعد ذلك مادة باقية للدين، إذ ما هي فائدته، وما هي الحاجة إليه؟ أننا نستطيع أن نسلك طريقنا بغيره، وإذا كانت وجهة النظر التي يقدمها لنا العلم، لاتعطينا ما نعبده، فهي كفيلة بأن تعطينا الكثير جدا مما نستمتع به وفتملكه''.[٣]

وبالعكس يرى مصطفى محمود بأن العلم لايتناقض مع الإيمان، بعد ما انتقد بشدة على علمية الماركسية أو العلمانية. فقد سأله مرة محمود فوزي قائلاً بأن ''العلمانيين يزعمون بأن العلم يتناقض مع الإيمان ولهم في ذلك مقولة شهيرة تقول: كيف أسير إلى الأمام وأنا التفت إلى الخلف؟ فردّ الدكتور مصطفى عليه قائلاً:

---

[١]- نفس المصدر، ص ٢٦.

[٢]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة السابعة، ص ١٩.

[٣]. نقلاً عن مصطفى محمود شاهد على عصره، جلال العشري، ص ٢٢.

''أبداً... هذا هو الخطأ الكبير ولكن العكس هو الصحيح، فالعلم طريق إلى الله سبحانه وتعالىٰ ولكما تعمقت فيه قادك إلى الله لأن أفضل طريق إلى الله هو أن تعرف مخلوقاته، سوف تتأكد من أنه لايمكن أن يكون خالقها إلا الله سبحانه وتعالىٰ''.[1]

إنه حاول أن يصوّب الفكر السائد عن العلم ويكشف حقيقته نفسه حدد موطن العلم وحقيقته ودوره في حياة الإنسان الفكرية وانتهى بنتيجة الانسجام بين العلم والإيمان، وأخرج برنامجه التلفزيوني الشهير ''العلم والإيمان'' حتى يبرهن على ذاك الانسجام على أرض الواقع والتجربة.

المرحلة الخامسة – المرحلة الأدبية:

ثم سرعان ما تحوّل إلى النزعة الأدبية، وبدأ يخرج الأعمال الأدبية، ومن أهمها ''الزلزال'' و''الإنسان والظل'' و''الإسكندر الأكبر'' و''رائحة الدم'' و''الأفيون''. وهذه المرحلة من حياة مصطفى محمود الفكرية تبتدأ من ١٩٦٦ وتنتهي في عام ١٩٦٨م.

يعتبر مصطفى محمود مفكراً كماله وجود ملموس في الحقل الأدبي، بل اتخذ من كتاباته الأدبية منبراً لأفكاره ومسرحاً لخواطره، وأفكاره المرفقة بطي الإبداعات الأدبية من القصص والروايات والمسرحيات حقاً تتميز بالحداثة والجدة والإبداع. فمثلاً في قصصه لم يتجسه إلى تصوير نماذج كلاسيكية كما يفعل الآخرون، فلم يتجه إلى تصوير نموذج البخيل أو الجشع أو المراهق أو العاهر، بل اتجه إلى تصوير أفكار في موقف؛ وهي أفكار تحس وتتحرك وتتطور من خلال تطور الشخصيات نفسها، والشخصية القصصية عنده وعاء للفكرة. والقيمة الفنية تنطوي على القيمة الفكرية اللهم إلّا أنه لايضحى بالقيمة الفنية من أجل القيمة الفكرية بحيث يجف العمل الأدبي في يده، ولا يخاطر بالقيمة الفكرية لحساب القيمة الفنية بل يحاول أن ينطلق بهما في وقت واحد، ومن ثم قال فيه الناقد جلال العشري:

---

[1]. اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الخامسة، ص ١٥.

''فهو مفكر من حيث هو فنان، أو هو مفكر بما هو فنان، أو أن المفكر والفنان فيه هما شيء واحد''. [1]

ومن ثم نرى أشخاصه القصصية يضيقون بدائرة المعلوم أملاً في ولوج دائرة المجهول، ويتبرمون بالممكن الذي يبذله لمّ الواقع بحثاً عن المستحيل الذي يتجاوز هذا الواقع كما نرى في قصة ''رائحة الدم'' شخصية الراهبة تيريزا و عمّ بيومي العربجي. ومشكلة تعالي الإنسان على الإنسان من صميم فكرة موضوعاته القصصية. [2]

وإذا كانت مشكلة تعالي الإنسان على الإنسان أي على ذاته وأبناء جنسه الأخرين، فهل يستحيل عليه كذلك أن يعلو على كل شيء. فالمستحيلات هي الفكرية الرئيسية لرواياته الخمس ''المستحيل'' و''الأفيون'' و''العنكبوت'' و''الخروج من التابوت'' و''رجل تحت الصغر'' ومستحيلاته تتمثل في الإنسان والمجتمع والزمن والتاريخ وروح العصر، وأطلق عليها الناقد جلال العشري ''الأركان الخمسه التي أدار عليها رواياة مصطفى محمود الخمس. [3]

ورواياته الخمسة تستمد مادتها من الواقع والواقعية مضمونا وشكلاً على السواء ورواية ''الأفيون التي كتبها في هذه المرحلة إنما تمثل مرحلة الانتقال من أدب الذات (كما في روايته المستحيل) إلى أدب ''الموضوع''، حيث يتعاطى الكاتب قضايا العالم الخارجي فيلونها بقيمة الفنية الخاصة، ويكسبها دلالات وجودية معينة. كما يقدّم في هذه الرواية قضية الصراع بين قوى المادة والروح، بين دائرة المعلوم ودائرة المجهول، ويستخلص إلى نتيجة مهمة وهو أننا لا نعرف عن أشياء كثيرة فلايعني هذا الناحرية الهنديان لأجل هذا الجهل. وأن ما نجهله لاينبغي أن يلغى ما نعلمه، وإنه إذا كان هناك مجال للمعرفة الصوفية فإن المعرفة العلمية هي سبيلنا إلى العمل، وإذا كان

---

[1]- مصطفى محمود شاهد على عصره، جلال العشري، ص ٩٣-٩٤.
[2]- نفس المصدر، ص ١٢٣.
[3]- نفس المصدر، ص ١٢٦.

العلم وحده لايكفي في الوصول إلى اليقين، فإنه يكفى لكي تسير الحياة، فالسماء داخل العالم وليست خارجه، وكل ما هو غير إنساني أو كل مالا يضاف إلى الإنسان، فهو غير موجود على الأقل بالنسبة إلى الإنسان.[1]

وأما فيما يتعلق بأفكاره في أعمال المسرحية الأدبية خاصة فيما تحدث عنه في مسرحيات ''الزلزال'' و''الإنسان والظل'' و''الإسكندر الأكبر'' فقد تدور هي حول الحاءات الثلاثة، وهي ''الحرب، والحب، والحرية'' وهي أصلاً حكاية الثورة ثم الإيمان.

وتطور مصطفى أسلوبه وأفكاره أكثر من إطار الواقعية، وحاول ربط هموم المجتمع بقضايا العصر، وأن ينتقل من هتافية ومباشرة إلى آفاق الواقعية الجديدة. إن مسرحية ''الزلزال'' تقدم حكاية زلزال رهيب نتيجة لانفجار ذري وقع على سبيل الخطأ، فقضى على ثمانية ملايين من الناس، بعضهم تحت الأنقاض والبعض الآخر في جوف النيران والبعض الأخر في السيول الجارفة، وفي المسرحية يشن مصطفى محمود حملة ضد القوى المفسدة الطاغية التي تسبب الفساد في الأرض والبلدان الأخرى وعندما تصاب بالنوازل والكوارث الطبيعية تنفجر بكاء وتطلق صرخات.فالمسرحية تناقش قضية الحرب.

وأما مسرحية ''الإنسان والظل'' فهي تناقش مشكلة الحبّ في إطار نفسي وهنا يرى مصطفى محمود أن مشكلة العصر الحديث هي مشكلة العلاقة بين الإنسان وظله، بين الإنسان وقيمه ومبادئه ومثله، فالقاضي ''رحمي سعودي'' البالغ من عمره خمسين سنة إنسان فقد ظلّه، وشك في زوجته بالخيانة مع صديقه توفيق، وتتسع دائرة الشك فتخرج عن نطاق الأسرة تشمل محيط المجتمع، فهو يصدر حكم الإعدام له ولخمسة عشر حكماً آخر بالإعدام ثم أصدر آخر حكم على نفسه على ظله على ماضيه وحاضره، فالمسرحية تعالج مشكلة الحبّ.

---

[1]- نفس المصدر، ص ١٣٩.

وأما مسرحية ''الإسكندر الأكبر'' تتخذ من سيرة الإسكندر الأكبر، لتبحث عن مفهوم الحرية من خلال التاريخ. والإسكندر الأكبر أغار على نصف العالم ليترك وراءه الجثث والخراب والدمار الشامل، ومن ثم يرى مصطفى محمود الإسكندر كعبقري ومجنون معاً، كما يقول:

''فهو عبقري لأنه آمن بنفسه، واستطاع من خلال هذا الإيمان أن يحقق كل هذه الانتصارات. وهو مجنون لأنه يؤمن بقيمة أخرى خارجة عن ذاته، فكرة كبرى يصدر عنها، أو مثل أعلى يعمل من أجله. هذه الفكرة الكبرى أو المثل الأعلى هي الحرية... ولكن حرية من؟ حرية الفرد... حرية الواحد... حرية المطلق ... حريته هو ... الإسكندر الأكبر!'' [1]

ومن هنا الحرب عند الإسكندر كانت غاية بنفسها بدلاً من أن تكون وسيلة لتحقيق غاية...

وهكذا قضى مصطفى محمود مشوارا من حياته في الحقل الأدبي، ليترك وراءه أعمالا أدبية تتميز بأفكار جديدة مثيرة للإعجاب والدهشة وداعية إلى التفكير.

فترة الإيمان:

بعد رحلة مصطفى محمود الطويلة الشائكة التي ركب فيها جميع المواصلات والوسائل الممكنة بداية بالعلم والمادة والفلسفة وعلم النفس، والخوض في غمار الطبيعة؛ غاباتها وواحاتها وصحراءها، ثم بعد ذلك الأديان بداية بالفيدات الهندية والزراد شتية وانتهاءً بالأديان السماوية حتى المنتهى... القرآن الكريم وجد مصطفى محمود ضالته المنشودة الفكرية في الإسلام وبالأخص منه في التصوف الإسلامي. وهذه الفترة تبتدأ منذ عام ١٩٦٧ وتنتهى بوفاته عام ٢٠٠٩م. وفي هذه الفترة إنه كتب عدة كتب ومقالات علمية اسلامية وفلسفية صوفية. و١٥ من ''الكنيسة''، و''الروح والجسد'' و''محمد'' و''الله'' و''الشيطان يحكم'' و''التوراة'' و''حوار مع صديقى

[1]- نقلاً عن المصدر السابق، ص ١٩٧.

الملحد'' و''لماذا رفضت الماركسية'' و''الماركسية والإسلام'' و''حكايته الجامعية من الشك إلى الإيمان بشكل كتابه'' رحلتي من الشك إلى الإيمان. ومن كتبه الإسلامية ''القرآن حي كائن''، و''رأيت الله''، و''السر الأعظم'' في التصوف الإسلامي السني.
يحكي مصطفى محمود حكايته هذه قائلاً:

''إنها قصة قديمة جدا حين كنت أخطو أولى خطواتي... وكنت ما أزال مراهقا صغيراً لم أتجاوز ١٦ عاما... بدأت برفض المسلمات... لم أكن أريد أن آخذ شيئا عن أبي وأمي، ولكن كنت أريد اجتهاداً شخصياً... بدأ بالمحسوس الذي أمامي ولم أبدأ أبداً بما وراء الطبيعة وقد تمثل هذا المخصوص في الطبعية ''الفيزياء'' ... فوجدت الفيزياء والكيمياء عاجزة عن أن تفسير لي شيئاً... عاجزة عن أن تفسير لي الحياة والموت... ومن أجل ذلك استعنت بالفلسفة فوجدت أنها في حاجة إلى فلسفة تعينها... فبدأت بالأديان... بوذا وزرادشت وعيسى وموسى ومحمد... فوجدت كمال الأمر كله في القرآن... وكانت هذه هي المرحلة الطبيعية''.[١]

هكذا استغرق مصطفى محمود ثلاثين عاماً في البحث والتفكير والتأمل في تساؤلاته وظل مشمرا عن ساق جده للعثور على الإجابات حتى وصل إلى القرآن ووجد كل الإجابات في عبارة القرآن الكريم وزال الشك بجميع أنواعه. كما يقول بنفسه: ''... وجدت كل هذا في عبارة القرآن الكريم فهي رحلة طويلة...والذي يصل إلى نهايتها يقف على أرض صلبة بأقدام ثابتة وقلب مفعم بحبّ الله سبحانه وتعالىٰ... قلب لا أثر فيه لأدنى شكّ مطلقاً...''[٢]

ولكن لا بدّ من التأمل في الطريقة التي وصل بها مصطفى محمود إلى الإيمان بعد قطع مسافة طويلة في رحاب الش:، مع أنه لم ينكر وجود الله ولم يرفض وحدانيته سبحانه وتعالى، وإذا كان الشك تسرّب بسبب التفكير الكافي على أساس المنطق والعقل والعلم فكيف ظلّ المفكرون الآخرون من أمثال عباس محمود عقاد على

---

[١]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثانية، ص ٧.
[٢]. نفس المصدر، ص ٧-٨.

مؤمنين بالوراثة وبالشعور وبالتفكير كما قال العقاد كلمته الشهيرة ''فأنا أوفى بالله وراثة... و أومن بالله شعوراً ... وأومن بالله بعد تفكير طويل...''[1]

ولماذا لم يستمر مصطفى محمود في إيمانه بالله وراثيا وشعورياً وظل يفكر في تساؤلاته والخوض في إجاباته، كما فعل الآخرون؟ وقد أجاب عن هذا السؤال قائلاً:

''الحقيقة أنني لم أشك في وجود الله ووحدانيته... فهذه أشياء كثيرة موجودة في قلبي بالفطرة... ولكن كانت هناك مسائل كثيرة كنتُ أفكر فيها كثيراً... مثل مسألة الجبر والاختيار... والجنة والنار... والخلود في الجنة والنار... والقرآن هل جاء معناه للنبي عليه الصلاة والسلام أم جاء بحرفه؟ كل هذه المسائل كنتُ كثير التفكير فيها... ومع الوقت انتهت هذه الشكوك... وأشعر أنني كلما درست واطلعت ردت يقينا بالكل حرف جاء في القرآن الكريم ولكن الإيمان بالله سبحانه وتعالى حقيقة وأنا أحس بها''.[2]

يعني هذا أن مصطفى محمود كان يؤمن بأنه الله موجود ولكن الكيف كان مجهولاً، ووصل إلى تفسير الأسئلة التي ظلت في ذاكرته منذ أن ارتابه الشك لأول مرة مع قصة قتل الصراصير، بفضل التصوف الإسلام السني. فقد وصل في النهاية إلى أن الحواس والعقل لايكفيان في الوصول إلى الحقيقة، لأن الحواس تدرك ولا تعرف، والعقل يبرهن ولا يرى، والحقيقة أكبر وأشمل من أن تدرك بالحواس أو يبرهن عليها بالعقل... وبالمعرفة يمكن إدراك الحقيقة. والمعروف – حسب عبد الجبار النفري الصوفي – تختلف عن العلم، حيث يبحث العلم في الكون والمعرفة تبحث في المكوّن، العلم يبحث في الأشياء المتعددة والمعرفة تبحث في الواحد، والعلم يبحث في المادي والمعرفة تبحث في الغيبي. ولهذا كانت وسائل العلم: المسطرة والبرجل والمجهر والحواس الخمسة، والتحليل العقلي، أما وسائل المعرفة فهي القلب والبصيرة والوجدان الصوفي.[3] وتأثر مصطفى محمود بنظرية ''المعرفة'' في إدراك الحقيقة وتساؤلاته.

---

[1]. نقلاً عن مصطفى محمود مفكرا إسلامياً، مأمون غريب، ص ٨٧ -٨٨.

[2]. نفس المصدر، ص ٨٨.

[1]- مصطفى محمود شاهد على عصره، جلال العشري، ص ٢٩٠.

فالرياضات والمجاهدات والمواجيد والأذواق والمكاشفات والمشاهدات من العالم الصوفي أقدر من العلماء والفلاسفة على معرفة حقيقية الذات الإلهية. فالنظريات العلمية الناتجة عن المشاهدات الخارجية والتجربة الحسية تصف الظواهر دون أن تتجاوزها إلى ماورائها، والأنظار الفلسفية المؤسسة على النظر العقلي والدليل المنطقي تفسر الظواهر دون أن يرقى تفسيرها إلى مرتبة اليقين، أما الأذواق الصوفية الصادرة عن البصرية والإلهام، فهي وحدها التي تستطيع إدراك حقيقة الذات الإلهية إدراكاً مباشراً، كما تستطيع مشاهدة كل ما يصدر عنها في الكون من آيات الحق والخير والجمال. [1]

ومن خلال الكتاب ''رأيت الله'' يحاول مصطفى محمود كشف الذات الإلهية وحقيقة وجود الله تعالى من خلال منهج المعرفة المتداولة لدى المتصوفة الإسلاميين. وكتابه الآخر ''السرّ الأعظم'' يباشر صلته بالتصوف بشكل عام، والتصوف الإسلامي بشكل خاص، والتصوف السني بشكل أخص، ومن هنا وصل مصطفى محمود نهاية المطاف من رحلته الفكرية فيما يخص بالشك والإيمان، بعد أن تسلق أشجار الغابة، ووقف فوق كثبان الصحراء، وتجول في طرقات المدينة، بحثاً عن ''السر الأعظم'' الذي افتقده في المدينة والغابة والصحراء ووجده في ضمير الإنسان، بفضل المعرفة. ولكنه يرفض شطحات الصوفية والتهتك الصوفي، وترهات بعض المتصوفة منها قول أبو يزيد البسطامي مقولته الشهيرة ''سبحاني ما أعظم شأني'' وقول الحلاج ''ما في الجبة إلا الله''. [2]

---

[2]- نفس المصدر، ص ٢٨٩-٢٩٠.
[3]- نفس المصدر، ص ٣٠٧.

الفصل الثالث
نماذج من أفكار مصطفى محمود

عاش مصطفى محمود منذ صباه المبكر كمفكر ورجل المنطق، له آراء وخواطر حول مسار الحياة الإنسانية وجوانبها الشتى خاصبة فيما يتعلق بالعلم والسياسة والاجتماع إضافة إلى الفكر الديني والتصوف. فقد مثّل علامة فارقة في تاريخ الأدب والثقافة والسياسة، فهو كمفكر وكاتب وأديب وفيلسوف وطبيب وفنان مصري ترك وراءه كمية هائلة من الآراء والأفكار حول معترك الحياة، هنا نذكر بعض أفكاره المتنوعة على سبيل النموذج لا الحصر مع تحديد الموضوع وتحليل بسيط للنماذج، فيما يلي.

<u>من أفكاره حول القرآن:</u>

طبعاً أن أفكار مصطفى محمود حول كتاب الله العظيم تطورات مع تطور أفكاره الدينية خلال رحلته من الإيمان إلى الشك ثم من الشك إلى الإيمان من جديد. وبعد أن استيقن بإيمانه بالله العظيم على الطريقة الإسلامية ووجد ضآلته الفكرية في الكتاب العظيم بدأ يدرس ويمعن النظر في الآيات القرآنية خاصة في الآيات الكونية، كما تدلّ عليه بعض حلقاته التلفزيونية ''برامج العلم والإيمان''. إنه امتدح كثيراً الأسلوب القرآني وكماله في البلاغة والبيان. ومن أهم أفكاره هو تفسيره للقرآن تفسيراً عصرياً، حيث يرى حاجة تفهيم القرآن في السياق معاصر، مع بعض الفوارق من التفسير السلفي السابق، وكما وردت هذه الأفكار في مقالاته وكتبه مثل ''علم نفس قرآني جديد'' و''القرآن كائن حيّ''، و''القرآن محاولة التفسير العصري'' وغيرها. وذهب في كتابه ''القرآن كائن حيّ'' إلى أن القرآن يتسم بالحيوية والحياة وكلماته تشبه بالخلايا الإنسانية الحيّة، ولكل من الخلايا معنى ودلالة لم يجد العبث سبيلاً إليها. كما يقول:

''ما أشبه القرآن بالكائن الحيّ، الكلمة فيه أشبه بالخلية فالخلايا تتكرر وتتشابه في الكائن الحيّ، ومع ذلك فهي لاتتكرر أبداً وإنما تتنوع وتختلف، وكذلك الكلمة القرآنية فإننا نراها تتكرر في السياق القرآن ربما مئات المرات، ثم نكتشف أنها لا تتكرر أبداً برغم ذلك، إذ هي في كل مرة تحمل مشهدا جديداً''.[1]

إنه شبّه الكلمة أو الكلمات القرآنية بالخلايا الإنسانية، وفي هذا التشبيه تكمن أفكاراً عالية خصبة ثرية من الناحية اللغوية والدلالية. فالتكرار للكلمات مثل الخلايا تتسم بالجدة والتنوع وتحمل بين طياتها المشاهد الجديدة.

ويرى مصطفى محمود أن القرآن يبوح بالأسرار ويجيب عن تساؤلاته العديدة التي دخل بسببها في زوبعة الشك، فالقرآن يجيب عن تساؤلات الموت والحياة وماذا وكيف. كما يقول:

''القرآن الكريم... بنيانٌ محكمٌ من الألفاظ لاتستطيع أن ترقع فيه كلمة أو تبدلها أو تؤخرها أو تقدّمها... تتكرر كلماته بحساب ولحكمة ولهدف لكي تكشف عن مكنونها وتبوح بأسرارها وثرائها، ثم إن التنوع والتفصيل ينتهي بالقارئ إلى كمال مراد مقصود، وإلى تمام في الفهم والتصور[2]... وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً، لا مبدل لكلماته''.[3]

فقد يرى مصطفى محمود القرآن كتاباً غاية في الاتقان والإحكام ومليئا بالأسرار والرموز، وثرياً من الناحية الفكرية يحفز العقل ويحثه على التدبر في آياته، ونسق آياته، وأسلوبه ويساعد كلّ هذا في فهم رسالته النيرة ومعانيه الجميلة.

---

[1]- من أفكار الدكتور مصطفى محمود في العلم والسياسة والاجتماع، عبدالجبار دولة، ص ١٦.
[2]- نفس المصدر، ص ١٧.
[3]- سورة الأنعام: ١١٥.

النفس والروح والجسد:

ظلت قضية ''النفس والروح'' مثاراً للجدل بين الفلاسفة والمفكرين وذوي العقلانية خاصة بالنسبة للنخبة المثقفة العلمانية أو العلماء الماديين. وهناك تساؤلات عديدة حول حقيقة النفس والروح. والكثيرون أولوا دلوهم وخاضوا في كنهها وزاغ معظمهم وتاهوا في الأودية. لأنهم يستنيروا بالقرآن والسنة النبوية الشريفة، إذ هما مصدران حقيقيان تحدثا عن حقيقة النفس والروح بشكل صحيح لاغير.

حاول مصطفى كثيراً عن فهم النفس مهتديا بهداية القرآن. ووصل إلى انه فرق كبير بين الروح والنفس. فقد يرى أن الأرواح لا توسوس، ولا تشتهي، ولا تهوى ولا تضجر ولا تمل ولا تتعدب، ولا تعاني هبوطاً ولا انتكاساً، وإنما تلك أحوال النفس وليس الروح[1] ويستدل عليه بقوله تعالى ''فطوعت له نفسه قتلَ أخيه فقتله''[2]، والأرواح عنده نزيهة وبريئة براءة الذئب من دم يوسف، ولكن فيما يتعلق برأي مصطفى محمود إن الأرواح لاتتعذب، هذا يؤدي إلى سوء التفاهم؛ حيث يرى علماء الشريعة أن الأصل في حياة الدنيا الجسم، وإنما يقع أثر اللذة أو الألم على هذا الأصل، وأما حياة البرزخ فيكون الأصل فيها ''الروح'' لا ''الجسم''، ومن هنا تكون الأرواح في العالم البرزخي مثابة العذاب أو النعمة. فإن أراد مصطفى محمود بقوله ''الأرواح... لا تتعذب'' في الحياة الدنيا، فرأيه صحيح وإلا فلا. والنفس عنده هي المتهمة، داعية إلى الفسق والفجور، وتحتاج إلى التزكية والتطهير. كما يقول:

''النفس هي المتهمة في القرآن بالشحّ والوسواس والفجور والطبيعة الأمار، وللنفس في القرآن ترق وعروج، فهي يمكن أن تتزكى وتتطهر، فتوصف بأنّها لوامة ملهمة ومطمئنة وراضية ومرضية''. [3]

---

[1]- صوت من الأعماق، من أفكار الدكتور مصطفى محمود في العلم والسياسة والاجتماع، عبد الجبار دولة، ص ٣٦.

[2]- سورة المائدة: ٣٠.

[3]- صوت من الأعماق، من أفكار الدكتور مصطفى محمود في العلم والسياسة والاجتماع، عبد الجبار دولة، ص ٣٦.

وإنما ترجع حقيقة النفس هذه إلى القرآن خاصة إلى سورة الفجر. كما استدل بقوله تعالى ''وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربّكم، قالوا بلىٰ شهدنا''[1] على أن النفس موجودة قبل الميلاد، كما تذوق الموت ولكن لا تموت[2] مع أن القرآن يقوله ''وما تدرى نفس بأيّ أرض تموت''[3] ويقول ''كل نفس ذائقة الموت''[4] ومن هنا يتبين لنا أن النفس تبقى حتى بعد الموت.

وأما الجسد والروح فهما مجال الامتحان والابتلاء فتبتلي النفس وتمتحن بهاتين القوتين الجاذبيتين إلى أسفل وإلى أعلى لتخرج سرّها وتفصح عن حقيقتها ورتبتها وليظهر خيرها وشرّها.[5]

التصوف:

وقد مضى في السطور السالفة أن حياة مصطفى محمود الفكرية بدأت بتساؤلاته ومحاولاته المضنية لأجل الإجابات على تلك التساؤلات. وهذه التساؤلات ألقته في زوابع الشكوك والتيه في أودية الأفكار والآراء. وقد وجد ضآلته المنشودة في ''المعرفة'' السائدة لدى المتصوفة، واتخذو الصوفي الكبير محمد بن عبد الجبار النفري عالماً ومعلماً في رحلته الصوفية، والتي سماها ''رأيت الله''، واعتمد على المعرفة الذوقية للعثور على تلك التساؤلات. كما أشار إليه الناقد جلال العشري قائلاً:

''ومفكرنا الصوفي مصطفى محمود في راجابته على هذه الأسئلة لايتخذ من الحس وسيلة للمعرفة كما يفعل الفلاسفة الماديون، ولا يعتمد على الحدس كما يفعل الفلاسفة العقليون، ولكنه يعتمد على الذوق كما يفعل سائر الصوفية، فالمعرفة الذوقية هي سبيله في الإجابة على هذه الأسئلة جميعاً، وهي معرفة لغتها الإشارة والإيماء، وليست

---

[1]. سورة الأعراف: ١٧٢.
[2]. صوت من الأعماق، من أفكار الدكتور مصطفى محمود في العلم والسياسة والاجتماع، عبد الجبار دولة، ص ٣٥.
[3]. لقمان: ٣٣.
[4]. العنكبوت: ٥٧
[5]. صوت من الأعماق، عبد الجبار دولة، ص ٣٨.

المنطق والاستقراء، وعلى ذلك ''فمن وهبه الله الذوق التقط الإشارة وترجم العبارة، ومن حرم الذوق فاتته الإشارة وأبهمت عليه العبارة''.[١]

والتصوف عنده هو الحلّ لألغازه العديدة. إنه جاء بتفسيراته حول ''الهو'' أو ''الذات الإلهية'' و''الأنا' أو ''الذات الإنسانية''، والعلاقة القائمة بين ''الهو'' و''لأنا''، و''المشهد التوحيدي وكشف الحجاب''، و''الحبّ الحقيقى''، و''فكرة العبد الرباني''.

ولكن مع هذا، وقف مصطفى محمود وقفات عند محاذ ير التصوف. وفي هذا الخصوص أطلق كلمته الشهيرة، وهو يقيّم التصوف السني:

''والحقيقة أن التراث الصوفي بحر عميق فيه اللآلئ والأصداف، ولكن فيه أيضا التماسيح والحيتان، وعلى ذلك فإن القراءة في التصوف أشبه بالملاحة في بحار الظلمات بقارب شراعي، وما أكثر ما تنكسر الدقة، ويتحطم المجداف، ويفقد السالك اتجاهه، ومن هنا لا من هناك ولا من أي مكان آخر، كان النور الوحيد الهادي للسالك في هذا البحر هو نور الكتاب والسنة، لأنه بدون الشريعة لا يمكن أن يصل السالك إلى الحقيقة... إلى برّ الأمان! والشريعة دفة الملاح في هذا البحر... وهي دليله على ما يأخذ وما يدع... فما وافق الشريعة من لغة القوم وعلومهم يأخذ... وما خالف الشريعة يتركه غير نادم...''[٢]

هكذا جاء مصطفى محمود بأفكاره المتسمة بالوسطية حول التصوف والمتصوفة وانتقد في كتابة ''السر الأعظم'' على الغلاة المتصوفة من أمثال أبي يزيد البسطامي[٣] والحلاج[٤] و رأى أن التصوف في حاجة إلى هداية القرآن والسنة النبوية الشريفة.

الحبّ:

[١]. مصطفى محمود شاهد على عصره، جلال العشري، ص ٣٠٣.
[٢]. مصطفى محمود مفكراً إسلامياً، مأمون غريب، ص ٩٥.
[٣]. على قوله ''سبحاني ما أعظم شأني''.
[٤]. على قوله ''ما في الحبة إلى الله''.

ولا نبالغ لو قلنا إن مصطفى محمود خبير في مجال الحبّ، وقد نطلق عليه كلمتنا المتداولة في الهند ''Love Guru''، حيث اطلق برنامج مرشد للمعانين بمشكلات الحبّ. وأخرج كتبه ''٥٥ مشكلة في الحبّ'' و''اعترافات عشاق'' وبعض مقالاته حول الحب. إن أفكاره حول الحبّ ناتج عن مشاعر الحب والوداد والصداق العفيفة. كما يقول حول مفهوم الحبّ:

''أين الحبّ الصحيح؟ ...

الحبّ الصحيح خال من الغرض ... وإنما تأتي الأغراض فيما بعد...

حينما يحسّ كل حبيب أنه عاجز عن الحياة بدون الآخر وأنه في حاجة إليه كل يوم وكل لحظة، ولا وسيلة إلى ذلك في مجتمعنا إلا بالزواج''. [١]

فالحبّ الصحيح عنده لا يشوبه الغرض، والحبّ المثاني لا يدع المحب أن يحيا دون الحبيب، والعيش بكل قلب في عالم الحبّ لا يمكن إلا بالزواج، فالتعايش الصداقي بين الحبيبة والحبيب. قبل الزواج مرفوض عنده.

إنه تحدث عن مراحل الحبّ ونفسية الحبيب أو الحبيبة فيها قائلاً:

''الرجل في حبّه الأول يكون أفلاطونيا خجولاً ... وفي حبّه الثاني يكون شهوانياً جسوراً... وفي حبّه الثالث يكون عطوفاً حنوناً. وهو في هذه المرحلة يكون أحسن حبيب و أحسن زوج''. [٢]

التبادل بين حبيبة وأخرى وكذا بين حبيب وآخر أصبح ظاهرة عامة في عصرنا الحاضر، مصطفى محمود يعبر عن التغيرات كخبير نفسي، ويبشر في النهاية يتحسن الوضع والقاط الرجل بنتائج التغيرات السلبية.

وقد تحدث عن علامات الحبّ كطبيب الحبّ، قائلاً:

''لو سألني أحدكم ... ما هي علامات الحبّ وما شواهده لقلت بلا تردد أن يكون القرب من المحبوبة أشبه بالجلوس في التكييف في يوم شديد الحرارة وأشبه باستشعار

---

[١]- نقلاً عن ''صوت من الأعماق''، عبد الجبار دولة، ص ٧٦.

[٢]- نفس المصدر، ص ٧٧.

الدفء في يوم بارد... لقلتُ هي الألفة ورفع الكلفة وأن تجد نفسك في غير حاجة إلى الكذب... وأن يرفع الحرج بينكما، فترى نفسك تتصرف على طبيعتك دون أن تحاول أن تكون شيئاً آخر تعجبها.. وأن تصمتا أنتما الإثنان فيحلوا الصمت وأن يتكلم أحدكما فيحلو الإصغاء''.[1]

يعني إن الحبّ حالة قلبية تجمع بين الألفة ورفع الكلمة خالية من الجرح.

كما يرى مصطفى محمود أن الحب من أسرار رحمة الله تعالى، بل هو في نفخة وهبة إلهية.

''إن الحبّ الذي هو تناسب وانسجام بالنسبة لنا نحن العاديين... هو في المستوى الأعلى من البشر نفحة وهبة إلهية... ومن ذا الذي يستطيع أن يقيد على الله نفحاته أو يشترط عليه في هباته... وإذا شاء الله أن يرحم أحداً فمن الذي يستطيع أن يمنع رحمته... والحبّ سر من أعمق أسرار رحمته... ولا ينتهي في الحبّ كلام''.[2]

فالحبّ وديعة يهبه الله لمن يشاء.

وقد خاض مصطفى محمود في نفسية الحبّ، مستفيداً من القرآن، فقال:

''المرأة التي تشعر أن الرجل استولى على روحها تحاول هي الأخرى أن تنزع روحه وتستولي عليها وفي ذلك عدوان خفي متبادل وإن كان يأخذ شكل الحبّ... فماذا فعلت امرأة العزيز حينما تعفف يوسف الصديق؟... لقد طالبت بإيداع يوسف – عليه السلام – السجن وتعذيبه... إن عنف حبّها اقترن عندها بالقسوة والسجن والتعذيب''.[3]

كما يرى الرحمة أكثر فعالا بالنسبة للحبّ المجرد، ومن ثم يرى دلائل عظمة القرآن وإعجازه حينما ذكر الزواج فلم يذكر الحبّ وإنما ذكر المودة والرحمة والسكن، لأن الحبّ لا يكاد ينفك أبداً عن هذا الثالوث ''الحبّ والجنس والقسوة''، ومن ثم يعجب بالرحمة التي تحوي الحبّ أيضاً.

---

[1]- صوت من الأعماق، عبد الجبار دولة، من علامات الحبّ، ص ٨٠.
[2]- نفس المصدر، ص ٨٢.
[3]- نفس المصدر، ص ٨٥.

''الرحمة تحوي على الحبّ بالضرورة... والحبّ لا يشمل على الرحمة، بل يكاد بالشهوة أن ينقلب عدواناً. والرحمة أعمق من الحبّ وأصفى وأطهر... الرحمة عاطفة إنسانية راقبة مركبة، ففيها الحبّ، وفيها الأخوة، وفيها الصداقة، وفيها الحنان، وفيها التضحية، وفيها إنكار الذات، وفيها التسامح، وفيها العواطف، وفيها العفو، وفيها الكرم... وكلنا قادرون على الحبّ بحكم الجبلة البشرية... وقليل مناهم القادرون على الرحمة''.[1]

هذه هي المشاعر النبيلة والعواطف الإنسانية الجياشية توفي مطالب الحبّ وأسمى آياته.

الحرية:

الحرية كلمة حلوة ولكنها لا تخلو من المشاكل. فقد يرى مصطفى محمود أن الحبّ مادة ثمينة جداً، ولكنها خطيرة مثل مادة الراديوم أغلى من الذهب والبلاتين ''ولكنها خطيرة مدمرة محرقة'' تشع إشعاعات قاتلة.[2]

ومن ثم لا بدّ من الاعتدال في توظيف وممارستها في تحقيق السعادة، لأن الحرية وحدها لاتسعد الإنسان أبداً. بل الحرية والفراغ والشباب والإمكانيات الهائلة المتاحة إذا كانت خالية من هدف ينشغل المرء بتحقيقه تتحول إلى محنة وعذاب وملل وتلف عصبي.[3]

السعادة:

---

[1]- نفس المصدر، ص ٨٦.

[2]- من أفكار الدكتور مصطفى محمود في العلم والسياسة والاجتماع، الحرية بين الرجل والمرأة، ص ٩٢

[3]- المصدر السابق، ص ٩١.

السعادة تحولت الأن إلى شلة الأنس التي تكرع الخمر في عوامة وحولها باقة من النساء الباهرات العاريات، مع أجسادهن المشتعلة وهذه الصورة ليست علامة سعادة بل يطلق عليها مصطفى حالة شقاء وعبودية.

والسعادة في معناها الدقيق الوحيد هي ''حالة الصلح بين الظاهر والباطن، بين الإنسان ونفسه، وبينالإنسان والآخرين، وبين الإنسان وبين الله... فينسكب كل منهما في الآخر كأنهما وحدة، ويصبح الفرد منا وكأنه الكل، وكأنما الطيور تغني له وتتكلم لغته''.[1]

تطبيق الشريعة:

عاش مصطفى محمود مصر في فترة حاولت فيها المنظمات الإسلامية وعلى رأسها ''الأخوان المسلمون'' لتطبيق الشريعة كليا، كما حدث في إيران والسودان، ولكن فرض مصطفى محمود أن يأتي التطبيق للتو وعلى الفور، إنما يأتي بالتدريج. ومن ثم يفنّد مصطفى محمود محاولات الجماعات الإسلامية لتطبيق الشريعة للتو قائلاً:

''لاشك أن الشريعة الإسلامية هي المطمع الذي لايختلف عليه اثنان، ولكن أن يأتي طالب ساقط ثانوية عامة ويمسك شمروخاً في يده محاولا عمل انقلاب إسلامي في ٢٤ ساعة من أجل تطبيق الفضيلة في ٢٤ ساعة فهل يمكن أن يحقق ذلك في ٢٤ ساعة''.

ثم يتساءل:

... هل يمكن أن تأتي الفضيلة بمرسوم وزاري؟!...

هل يمكن أن نطبق الإيمان بقرار من مجلس الشعب؟!...

وبعد ذلك يسدد أخطاءهم قائلاً:

''هؤلاء فهو المسائل خطأ... فلا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم... يبقى الأول ''تغيير النفس''... هذه هي المرحلة الأولى إذن أن تطبق الشريعة أولاً على نفسك ثم بعد ذلك على المجتمع...[2]

---

[1]- صوت من الأعماق، عبد الجبار، ''السعادة'' ص ٩٥-٩٦.

[2]- اعترافات مصطفى محمود، مع محمود فوزي، الحلقة الحادية والعشرون، ص ٧١.

وعند ما سئل من قبل محمود فوزي على محاولات حزب ''الإخوان المسلمين'' عن صيغتها العصرية، هل هو يؤيد الحزب أم لا؟ تبلور من إجابته أفكاره حول السياسة واحتراف السياسة. وقال ردّاً على سؤاله:

''والله أنا أخاف على الإسلام من مزالق السياسة... احتراف السياسة... فالسياسة على رأي النكتة الإنجليزية الشهيرة حينما وجد شخصى تابوتا مكتوباً عليه هنا ''يرقد السياسي العبقري والرجل الصادق'' ... فقال: ''أول مرة أجد فيها اثنين مدفونين في تابوت واحد''. [١]

وأضاف قائلاً تذييلاً على هذا المثال:

''فالسياسة تحمل في طباتها الكثير من الكذب والميكانيكية والانتهازية...

وأنا أخاف على الإسلام من احتراف السياسة فالسياة يمكن أن تستلهم الإسلام ولكن أخشى أن يتحول الإسلام إلى احتراف سياسي''. [٢]

إن هذه الكلمة ''الاحتراف السياسي أو احتراف السياسة'' إنما تمخضت عن ينابيع أفكار مصطفى محمود المتدفقة، وتدل على مدى نبوغه في دراسة عصره، ومجتمعه وما يدور حوله من تقلبات وتحولات.

وعندما سأله محمود فوزي ''وهل كنت تجيز خروج حزب الإخوان المسلمين'' في الحياة السياسية؟! أجابه قائلاً: ''والله أنا ضد دخول الدين في السياسة نهائياً... ورأيي هذا أقوله بعد أن أمحنت التفكير حقيقة... فأنا أعتقد أن السياسة خليط من الكذب والالتواء والانتهازية ولابدّ من تنزيه الدين عنها''. [٣]

هذه هي خلاصة آراءه وأفكاره حول تطبيق الشريعة والسياسة، يحاول فيها تنزيه الدين الحنيف عن شوائب الكذب والانتهازية، وإلا الدين يهذب السياسة بل الدين يعذب الإنسان نفسه أولاً.

---

[١]- نفس المصدر، ص ٧٣.

[٢]- اعترافات مصطفى محمود، مع محمود فوزي، الحلقة الحادية والعشرون، ص ٧٢.

[٣]- اعترافات مصطفى محمود، الحلقة الثالثة والعشرون، ص ٧٧.

وعند ما سئل ''ألم تفكر أن تعمل بالسياسة؟'' فقال: إطلاقا... لا أحبّ أن أعمل بالسياسة لكن أقرأ وأكتب نعم... أشتغل بالسياسة لا... لأنني أرى جزءاً كبيراً منها عبارة عن رجل![1]

وعلى هذا نكتفى بالنماذج الفكرية التي تم تقديمها من خلال مقتطفات من كتاباته التي جمعها معظمها الكاتب عبد الجبار دولة في كتابه ''صوت من الأعماق، من أفكار مصطفى محمود في العلم والسياسة والاجتماع''، مستفيداً من كتبه المتنوعة منها إسرائيل... البداية والنهاية، والإسلام السياسي والمعركة القادمة، والإسلام في خندق، وأكذوبة اليسار الإسلامي، وألعاب السيرك السياسي، وأناشيد الإثم والبراءة، وحوار مع صديقى الملحد، ورحلتي من الشك إلى الإيمان، والروح والجسد، والسر الأعظم، وسوّاح في دنيا الله، والغد المشتعل، وفي الحب والحياة، والقرآن كائن حيّ، وكتاب عصر القرود، وكلمة السر، وماذا وراء بوابة الموت وغيرها من الكتب التي استمد منها أفكار مصطفى محمود الواردة في كتابه إلا أنه لم يذكر رقم الصفحة، وبسبب عدم إمكانية الحصول على كتبه كلها اعتمدنا على كتابه في ذكر النماذج.

على كل، إن أفكار مصطفى محمود نابع عن قريحته الفكرية المستنيرة ومنهجه الخاص الجامع بين العلم والمعرفة والمادية وغيرها من مقدمات تكوينه الفكري. ولكن هناك بعض أفكاره التي ظلت مثاراً للجدل بل أثارت بعضها ضجة بين المجتمع المسلم، حتى في المجتمع العلماني، سوف نبحث ونناقش عنها فيما تأتي من الصفحات لدى تقييم أفكاره.

[1]- اعترافات مصطفى محمود، الحلقة السادسة والعشرون، ص ٨٧.

الباب الرابع

تقييم أفكار مصطفى محمود الفكرية

تقييم أفكار مصطفى محمود المثيرة للجدل

شائعات وانتقادات عامة على مصطفى محمود وأفكاره

أفكار مصطفى محمود في آراء العلماء والمفكرين والنقاد

ومن خلال قراءتنا العابرة لكتابات مصطفى محمود وما كتبه الآخرون عنه وجدنا كلمات كثيرة تدل على نبوغه الفكري أو ممارسته للفكر والتفكير، والأفكار، والآراء، والتنبوءات بخصوصه... وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على خوض مصطفى محمود في القضايا الفكرية والممارسة العقلية أكثر بكثير بالنسبة للآخرين من معاصريه. فقد كثر استخدام هذه الكلمات بخصوصه. ومن ثم اشتهر مصطفى محمود كمفكر، بالرغم من وجود الانتقادات ضده في هذا المضمار وتعثراته وزلاته الفكرية في بعض المواطن. فشهرة مصطفى محمود قائمة بسبب طريقته الفكرية. خاصة فيما يتعلق بأفكاره المثيرة الجدل والنقاش بين العلماء والأدباء والمفكرين من المجتمع العربي على وجه عام ومن المجتمع العربي المصري على وجه خاص، كما وجّه بعضهم بسهام النقد والانتقادات نحوه فيما يخص بكتاباته المثيرة للجدل منها كتابه ''الله والإنسان'' و''الشفاعة'' وكتبه ومقالاته على تفسير القرآن الكريم العصري ودعوته إلى التفسير العلمي للقرآن. وبالإضافة إلى ذلك، ما قام به العلماء والكتّاب بإدلاء آرائهم وانطباعاتهم عنه وعن أفكاره... وعلى رأس هذه الاسباب نراه تصدى بأحدث التطورات العلمية والفكرية وحاول التقريب بين العلم والإيمان بطريقة نادرة قلما سلكها الآخرون. ومن هنا طارت شهرته وذاعت سمعته كمفكر ورجل عقل وتدبر في آيات الله سبحانه وتعالى في الكون. ونزعته الفكرية هذه متواجدة ومتداخلة في كتاباته العديدة.

ومن ثم يجدر بنا تقييم أفكار مصطفى محمود الفكرية التي أثارت جدلا و ضجة في الساحة الفكرية، وماذا لقي المفكر من انتقادات، وما ذا قال العلماء والكتاب والمفكرون المعاصرون الآخرون عنه، وما هي حقيقة الشائعات التي ظلت تطارده طول عمره منذ صباه حتى شيخوخته. وسوف نبحث عن كل ذلك في ثلاثة فصول من هذا الباب.

الفصل الأول

تقييم أفكار مصطفى محمود المثيرة للجدل

قد سبقت الإشارة في مستهل هذا الباب إلى بعض أفكار مصطفى محمود أثارت ضجة كبيرة بين الأوساط العلمية والعامة في المجتمع المصري على وجه خاص وفي المجتمع العربي الإسلامي على وجه عام، وجاءت ردود كثيرة تحولت إلى شكل الكتب خاصةً بعد أن كَتَبَ ''الله والإنسان''، و''الشفاعة'' وكتبَه ومقالاته حول القرآن الكريم وتفسيره العصري والنفسي، هنا يتسنى لنا الوقوف لدى بعض أفكاره المثيرة للجدل لغرض التقييم والنقاش لإزالة الالتباس فيما بين الكاتب والقارئين.

تقييم أفكاره المتهمة بالإلحاد:

شهدت فترة شباب مصطفى محمود بثورة على الدين، والإلحاد كان من الظواهر البارزة لتلك الفترة. وكان هذا التيار يتغذي بكتب داروين، وسلامة موسى، وشبل شميل... وقرأ مصطفى محمود هذه الكتب وافتتن بها، حيث كان وقتذاك، يقضي يوميا خمس أو ست ساعات في مكتبة البلدية ويتغذى بتلك الكتاب[1] والتي جعلته يزهو بعقله ويعجب بموهبة كلامه[2] ومن ثم بدأ يتساءل في القدر والكون، وعندما تخرج من كلية الطبّ وأخرج أول كتابه ''الله والإنسان'' قدّم تساؤلاته في كتابه هذا، عام ١٩٥٣م تساءل بتمرد:

''تقولون إن الله خلق الدنيا، لأنه لابدّ لكل مخلوق من خالق، ولابدّ لكل صنعة من صانع، ولابدّ لكل موجود من موجد... صدقنا وآمنا... فلتقولوا لي إذن من خلق الله... أم أنه جاء بذاته... فإذا كان قد جاء بذاته وصحّ في تصوركم أن يتمّ هذا الأمر... فلماذا لا يصحّ في تصوركم أيضاً أن الدنيا جاءت بذاتها بلاخالق وينتهي الإشكال''؟[3]

---

[1]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثالثة، ص ٩

[2]- رحلتي من الشك إلى الإيمان، مصطفى محمود، ''الله''، ص ٤

[3]. نفس المصدر، ص ٤

وهذه التساؤلات أثارت بلبلة في المجتمع المصري، ووجّه سهام النقد إليه بالإلحاد والتفكير واتهمه البعض بالردة الاجتماعية والنكسة الفكرية.[١] وثم رفع القضية إلى المحكمة عام ١٩٥٦م في عهد جمال عبد الناصر وتمت مصادرة النسخ القليلة المتبقية في السوق إذ تعالت أصوات كثيرة تؤكد إنه ألحد.

هذه هي قضية الإلحاد أو تهمة الإلحاد التي واجهها مصطفى محمود. وقد اعترف بإلحاده هذا قائلاً: ''أنا مررت بكل المراحل الفكرية من الشك إلى اليقين، من الإلحاد إلى أن أصبحت خادم كلمة التوحيد.''[٢]

هذا، وبجانب آخر حتى بعد أن وصل إلى الإيمان وبدأ يكتب على دروب اليقين جعل يبرر إلحاده، إذ قال في مذكراته ''الحلقة التاسعة عشر''، إن ''إلحادي'' كان صحيحاً. وقد سبق أن قال له الشاعر الكبير كامل الثناوي، عند ما صوّب أول سهام الإلحاد نحوه جملته الشهيرة، والتي تخاطب مصطفى محمود وتقول ''أنت تلحد على سجادة الصلاة''.[٣] إذن كيف كان هذا الإلحاد؟ وكيف يصحّ الإلحاد، وكيف يجتمع هذا الإلحاد مع الإيمان وعلى سجادة الصلاة؟

فالذي يدرس كتابه ''الله والإنسان'' وكتبه الأخرى خاصته ''رحلتي من الشك إلى الإيمان''، و''مذكراته'' واعترافاته، لايلبث إلا ويعرف بأن إلحاده يختلف تماماً عن إلحاد الآخرين من الماديين والجدليين والهيجليين، ولا يقصد بإلحاده الدكتور مصطفى محمود الشرك ولا الكفر بالله. بل إلحاده إنما لايتجاوز من مجرد شك في مسألة القضاء والقدر والجبر والجنة والنار ونوع الخلود وشكله ومظهره. إذ أنه يصرّح في كتبه مواطن كثيرة بأنه لم ينتبه الشك في القدرة الإلهية، وماشك طول عمره في وجود الله تعالى، وإثباته ''الواحد، الأحد، والقهّار''. كما يقول مصطفى محمود مبرراً موقفه:

---

[١]. اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة السادسة، ص ١٦

[٢]. مذكرات الدكتور مصطفى محمود، حمدي، الحلقة التاسعة عشر: ''إلحادي كان صحيحاً''

[٣] اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثالثة، ص ١٠

''الشك كان في مسألة القضاء والقدر والجبر والاختيار والجنة والنار، ونوع الخلود وشكله ومظهره. وكان رجال الدين يعتبرون أن مجرد التفكير في مثل هذه المسائل يعتبر الكفر بعينه... وأنا لم أكن كافراً!! وهذا هو السبب في أن كامل الشناوي قال لي فيما بعد: ''قديما كانوا يفكرون ويتعمقونى في مثل هذه الشكوك دون أن يعرضوا للشنق وهي قضايا الجبر والاختيار... والقضاء والقدر... والجنة والنار... والبعث والخلود''. [1]

إلا شكه ما لبث أن زال بنور الإيمان، وحلّ نوره محل بواعث الشك، كما يضيف مصطفى محمود قائلاً:

''ولكن هذه المسائل والقضاء تغير فيها تفكيري تماماً بعد بحث و تفكير كبيرين، مع إطالة التفكير والتدبر والتعمق في آيات القرآن، وأحسبت أن القرآن كتاب عجيب... لا تستطيع أن تحذف أو تضيف حرفاً إليه... القرآن جامع مانع... نسيج وحده... دستور للبشر أجمعين في كل زمان و مكان...'' [2]

وعلى هذا، يقصد هنا بإلحاد مصطفى محمود إلحاداً صحيا، وهو إلحاد من أجل الوصول إلى درب اليقين التام والإيمان الكامل. وهذه الحالة طرأت على كبار المفكرين الإمام الغزالي رحمه الله، والذي قال في كتابه الشهير ''المنقذ من الظلال'':

''كان التعطش إلى إدراك حقائق الأمور رأبي وديدني، من أول أمري وريعان عمري، عزيزة وفطرة من الله وضعتا في جبلتي، لا باختياري وحيلتي، حتى انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت عليّ العقائد الموروثة على قرب عهد الصبا''. [3]

ونفس الشيء حصل للدكتور مصطفى محمود، والذي مرّ بمراحل الشك والإيمان للوصول إلى دروب اليقين، فهو يقول في إحدى كتبه مثل الغزالي:

---

[1]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، حمدي، الحلقة التاسعة عشر: ''إلحادي كان صحيحاً''.
[2]- نفس المصدر
[3]- نفس المصدر

''إحتاج الأمر إلى ثلاثين سنة من الغرق في الكتب، وآلاف الليالي من الخلوة والتأمل مع النفس، وتقليب الفكر على كل وجه لأقطع الطرق الشائكة، من الله والإنسان إلى لغز الحياة والموت، إلى ما أكتب اليوم على درب اليقين''. [1]

هذه هي أزمة الإلحاد التي واجهها مصطفى محمود في حياته.

تقييم أفكار مصطفى محمود حول فكرة تفسير القرآن العصري:

جاء مصطفى محمود في كتبه حول القرآن الكريم وتفسيره أفكاراً و آراء أثارت ضجة وموجة الاعتراضات. فقد قام في كتابه ''القرآن تفسيرا عصرياً'' بتفسير بعض آيات وسور من القرآن الكريم. ومن أخطر ما جاء في الكتاب أنه استدلّ بدعاء الرسول ﷺ ''اللهم إني أعوذ بعفوك من عقابك، اللهم أعوذ برضاك من سخطك، اللهم أعوذ بك منك'' على أن الذي خلق الشيطان هو الله تعالى، وهو أيضا خالق الميكروبات والسرطانات والموت، كما هو مفجر البراكين والزلازل، وهو الضار النافع فبدلاً من أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يمكننا القول ''أعوذ بك منك لا أحد غيره، لأن الشيطان ما هو إلا جند من جنوده ومخلوق من مخلوقاته وبنفخة من الله يطير، وهذا في حدّ ذاته منتهى التوحيد...'' [2]

ونتج هذا التفسير عن بلبلة وانتقادات لاذعة. كما يقول مصطفى محمود بنفسه:

''وما خرج كتابي يحمل هذه المعاني إلا وظهرت موجة جديدة من التفكير تطاردني بعد أن كانت اختفت لبعض السنوات وطالبت نفس الفرقة بتفكيري وإعدامي بالرغم من أن هناك فئه اقتنعت بتلك التفاسير وكانوا علماء في مجال التفسير''. [3]

وبجانب هذا النوع من التفسير أن الكتاب حمل داخل طياته تفسير بعض الآيات الكونية المتحدثة عن النجوم والفلك والقمر والليل والنهار والكون والطبيعة. وأن الحاجة تتطلب منا تفسيرها تفسيراً عصرياً علمياً، وذهب في تفسيره لتلك الآيات أنها لم

---

[1]- نفس المصدر

[2]- مذاكرات الدكتور مصطفى محمود، الحلقة العشرون: كفّروني للمرة الثانية.

[3]- نفس المصدر، نفس الحلقة.

تكن مفهومة في عصرها أى في عهد الصحابة والتابعين لهم وممن اتبعهم بعد، لأن السلف الصالح لم تكن لديهم خلفية علمية لعلوم الفلك وأيضا لم يكن ظهر في عصرهم الأجهزة الدقيقة والعلم المتقدم الذي أصبح في عصرنا يحمل صاروخ الرجل إلى القمر والكواكب الأخرى ولكن الآن أصبحت مفهومة ويمكن تفسيرها بشكل أعمق وأصدق. ومن هنا حاول مصطفى محمود تفسير الآيات الكونية كعطاء جديد للقرآن.[١]

وقد اعترض على مصطفى محمود من منطلقات عدة، على النحو الآتي:

- هل هناك تفسير عصري وتفسير غير عصري للقرآن:

رأى بعض العلماء أن للقرآن تفسير واحد تعرّف عليه السلف الصالح، وليس هناك تفسير عصري وتفسير غير عصري، القرآن دائماً يكون هداية للناس في كل عصر ومصر. وهداية شاملة لجميع العصور للتاريخ البشري، فكيف يمكن القول بأن السلف الصالح لم يفهموا بعض الآيات وقد فهم الناس في العصر الحاضر أكثر؟

ويجيب عليهم مصطفى محمود قائلاً:

''هؤلاء فهموا المعنى خطأ... فالقرآن في كل عصر يفض مكنوناً جديداً ومن أجل ذلك نقول: إن القرآن لا ينتهي... فيه كلام فهو ليس مثل أي مقال يكتب ويبرز مضمونه ثري وغني... ففي كل عصر يعطي لك جديداً... فهذه الآيات الكونية التي تتحدث عن النجوم والفلك لم تكن مفهومة في عصرها لأنه لم تكن لديهم الأجهزة الدقيقة والعلم والمتقدم... ولكن الآن أصبحت مفهومة... فهذا عطاء جديد للقرآن... فهو في كل عصر يعطي عطاء جديداً...''[٢]

ويدلّ قوله هذا على أن العلم والتقدم العلمي يفتح آفاقاً جديدة من القرآن الكريم في كل عصر، ويمكن فهم الآيات الكونية في عصرنا الحاضر بشكل أحسن مما فهمه السلف الصالح بسبب عدم التقدم العلمي وقتذاك، هذا صحيح، ولكن لايمكننا الإدعاء أننا فهمنا تلك الآيات الكونية كما تليق، هذا أيضاً خطأ، لأن التقدم العلمي لا يصل إلى ذروته في

---

[١]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، الحلقة العشرون: كفروني للمرة الثانية.

[٢]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الحادية عشر، ص ٣٤.

عصرنا الحاضر، ولم نتمكن من الانكشافات والإختراعات العلمية والكونية في كل المعنى، بل اغترفنا غرفة أو قطراً من بحر زاخر.

- كما انتقد بعض الناس على تفسيره هذا، بأنه لم يكن رجل دين أو خريج من جامعة أو مدرسة إسلامية حتى يتكلم في أمور الدين. وفي هذا الخصوص يقول مصطفى محمود:

''تقولون إنكم ترفضون تفسيري للقرآن وتدخلي في شؤون الدين لأنني لستُ أزهريا ولا انتمي إلى هيئة تدريس من علماء العالم الإسلامي، فيقولون نعم... فأقول ماقولكم في سيدنا أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعقبة بن نافع إلى آخر الصحابة... فيقولون لاغبار عليهم... يعني لم يتخرجوا من الأزهر الشريف، ومع ذلك تأخذون العلم عنهم فكانوا يصمتون!!'' [١]

إن الأزهر الشريف أو الجامعات الإسلاميات التي تدرس فيها العلوم الإسلامية تركز على الأصول والمبارئ للفهم الدقيق للعلوم الإسلامية، ومعظم الأحيان يقع كثير من الناس في المزالق بسبب عدم علمهم بالمبادئ والأصول، حيث لا يمكن لشخص أن يدرس بعض الكتب في علوم الطب أو الاقتصاد أو النجوم أو الكمبيوتر ثم يبدأ يحكم على القواعد المعلومة ويتحدى الخبيرين في تلك المجالات... ولكن لا يعني هذا أنه لا يمكن الشخص قراءة الكتب المعنية بتلك العلوم ثم إبداء ملاحظاته وفقاً لفهمه إياها.

وما ذهب إليه النقاد من ضرورة الانتقاد على تفسيره العصري على أساس أنه لم يكن التفسير من اختصاصه، فقد نرى سوء التفاهم بينه وبين الناس، إذ اتهمه رجال الدين بأن تفسير القرآن الكريم لم يكن من اختصاص مصطفى محمود، وأما مصطفى محمود فقد اتهمهم بأن تفسير الآيات الكونية ليس تخصصهم بالمرة. ومن ثم عندما قال مصطفى محمود لمحمود فوزي في حواره الطويل ''... فأنا لا أعرف... لماذا يغضب هؤلاء... إن الموضوع ليس تخصصهم بالمرة!'' [٢] فقال له محمود فوزي ''عفواً

---

[١]- مذاكرات الدكتور مصطفى محمود، الحلقة العشرون: كفّروني للمرة الثانية.

[١]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الحادية عشر، ص ٣٥

د.مصطفى محمود إنهم يقولون بالعكس... إن الموضوع ليس تخصص حضرتك؟!'' فقال ''لا – إنهم لايفهمون في هذه المسائل... فالآيات الكونية ليست تخصص هؤلاء بالمرة... وقد فهم السلف هذه الآيات ... فهماً محدوداً وخاطئاً... والحقيقة أن التفاسير القديمة مليئة بالحشو والأخطاء فيما يتعلق بالآيات الكونية بالذات... ولكن الحمد لله انتهت هذه الصورة... وأراد الله أن يكون هناك تقدم علمي وأن تأخذ هذه الآيات حقها في الشرح والتفسير الحقيقي الصحيح من الفهم''. [1]

كثير من الناس فهموا من قوله المذكور أنه تجرأ على الصحابة والتابعين، مع أنه يبدو أنه لم يرد بقوله ''التفاسير القديمة مليئة بالحشو والأخطاء فيما يتعلق بالآيات الكونية بالذات'' مثلاً تفسير الرازي، والشوكاني، والطبري، وأمثالهم، وعلى سبيل المثال إنه تحدث عن تفسير عصري علمي للآية الكريمة ''الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون''. [2] إنه يفسر تفسيراً دقيقاً علمياً لهذه الآية، فنحن عادة لانتخذ من الشجر الأخضر ناراً وقوداً ولكن الذي يفض مكنون هذه الآية ... أن الشجر الأخضر مرتبط بالكلوروفيل الذي هو حقيقته تمثيل كلوروفيلي يقتنص طاقة الشمس ويخزنها في نشويات في جسم الشجر وساقها... وهذا اللغز قد تم كشفه عن طريق علوم النبات. يقول مصطفى محمود ''فلاشك أن العلم قد أعطى لنا أعماق هذه الآية... إنما الرجل ''السلفي'' تصور أن المسألة أنه يشعل في الشجر الأخضر للتدفئة ولكن الحقيقة أننا لا نشعل في الشجر الأخضر ولكن نشعل في الخشب الناشف... ولكن لماذا كلمة الشجر الأخضر؟ ... النص هنا صريح ''الذي جعل لكم من الشجر الأخضر'' إذن الخضرة لها دور... ودورها واضح فهي التي تأخذ ضوء الشمس وتحوله إلى طاقة وتختزن هذه الطاقة في جسم النبات''. [3]

---

[2]- نفس المصدر، نفس الحلقة،

[3]- سورة يس، الآية: ٨٠.

[1]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الحادية عشر، ص ٣٦

إلا أنه يرى الباحث أن العلاقة بين العلم والقرآن علاقة تكامل دون انطباق، فالعلم مجاله التجريب والظن والتخمين، والقرآن هو عالم الحقيقة واليقين لأنه من الخالق.[١] ومن ثم لا يفسح مصطفى محمود مجال التفسير العصري إلا للآيات الكونية لا غير، لأن العلم لا يفسّر كل شيء في المعتقدات والغيبيات.

هنا لابدّ من الإشارة إلى قصة انتقادات عائشة بنت عبد الرحمن المعروفة بـ بنت الشاطئي، على تفسيره العصري، التي وجهت بسهام النقد نحوه، وهاجمته في كتاب كامل، وكتبت في جريدة ''الأهرام'' قائلة ''إننا لايجب أن نتورط في المزلق الخطر الذي يمكن أن يتسلل إلى عقول أبناء هذا الزمان وضمائرهم فيرسخ فيها أن القرآن إذا لم يقدم لهم علوم الطب والتشريع والرياضيات والذرة فليس صالحاً لزماننا ولا جديراً بأن نسيغه عقليتنا العلمية ويقبله منطقنا العصري! هكذا باسم العصرية نغريهم بأن يرفضوا كما فهمه الصحابة في عصر المبعث ومدرسة النبوة ليفهموا في تفسير عصري من بدع هذا الزمان؟''[٢] وبالتالي اتهمته بأنه نموذج لمن يتكلمون في القرآن بغير علم وبالتأويل والرأي والهوى.

وبغضّ النظر عما قالته بنت الشاطئ في خصوص التفسير العصري الذي حاوله مصطفى محمود، من منطلق اجتهادي ورجل لايأمن الخطأ ومتحريا للأجر أو الأجرين في صواب الاجتهاد أو الوقوع في الخطأ. يقول مصطفى محمود إنه قدم الكتاب قبل طباعته ونشره أمام بنت الشاطئى للمراجعة، وإنها أقرت وامتدحت ولكن بعد مجيء الكتاب إلى المنصة تحولت عنيدة وناقدة. هنا نقدم الحكاية على لسان مصطفى محمود نفسه، والذي يقول: ''... ها جمتني بنت الشاطئى رغم أنني بعد أن اجتهدت وكتبتُ لم أشرع في طباعة الكتاب قبل أن أعطيها نسخة منه لتطلع عليها وتقول رأيها فيه، وذلك لأني كنت أقدر واعتز بآرائها في قضايا الدين فهي كانت عالمية في مجالها بمعنى الكلمة. وفوجئت في أحد الأيام باتصال تليفوني تطلب مني

---

[٢]- مصطفى محمود مفكراً إسلامياً، مامون غريب، ص ٨٦

[٣]- نفس الصدر، نفس الحلقة، ص ٣٤

زيارتها في منزلها فذهبت، وعلى الفور وبمجرد أن شاهدتني قالت لي ''إيه الأسلوب الرائع ده... اجتهاد رائع... وعمل يحسد عليه... وسيلاقي إعجاب الجميع'' وقالت ''اخترت للكتاب اسم ولا لسه'' فقلت لها ''هيكون شرف ليه ول اقترحتي عليه اسم''، فقالت ''اسمع سمه'' التفسير العصري للقرآن'' وبالطبع الإسم أعجبني كثيراً وعلى الفور أطلقته على الكتاب...'' [1]

ومصطفى محمود ظلّ حيرانا أسفا على هذا الحادث، وكان يسأل نفسه لماذا فعلت هذا، معها أنها أطلقت على الكتاب اسمه والذي يدل على اقتناعها بمضمونه، ويقول ''ولم أعرف حتى اليوم سرّ هذا العداء الرهيب الذي حملته بى رغم أنها وافقت على الكتاب قبل طباعتها وقالت: تفسيرك عصري وجميل ولذلك أطلق اسم التفسير العصري على كتابك.'' [2]

وأما فيما يتعلق بتبريرات مصطفى محمود بخصوص أفكاره العصرية في التفسير القرآني، فإنه لا يعمّ فكرة التفسير العصري إلا للآيات الكونية، وردّه على الاتهامات العديدة بهذا الخصوص وحيد، وهو أن المهاجمين لم يقرأوا كتابه وبدأوا يهاجمون دون فهم الكتاب وبلوغهم المرام. وقد بدأ مصطفى محمود يفكر على هذا النمط، وفي إخراج كتاب حول تفسير القرآن الكريم يفسره تفسيراً عصرياً عندما رأى العديدين من أصدقائه ومعاصريه الكتّاب يدعون إلى هدم الدين وعدم التمسك بالقرآن الذي لم يعد يصلح لهذا الزمان، والعصر. وعلى رأس هؤلاء الكتاب حدّد مصطفى محمود أسمائهم كالتالي: ''توفيق الحكيم (في ''العقادلية''، و''أهل الكهف'' و''سليمان الحكيم''، و''شهرزاد'' و''الملك أوديب''، و''راقصة المعبد'' و''الشهيد'' و''محمد رسول الله'')، وطه حسين (في ''الشعر الجاهلي''، و''الوعد الحق''، و''مرآة الإسلام''، و''الفتنة الكبرى''، و''الشيخان''، و''الأيام''، و''حديث الأربعاء''، و''ابن خلدون'' وغيرها من الكتب)، ونجيب محفوظ (في ''أولاد حارثنا'' و''الشحاذ'' و''ثرثرة فوق

[1]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، حمدي، الحلقة العشرون، كفّروني للمرة الثانية.
[2]- نفس المصدر، نفس الحلقة.

النيل''، و''بداية ونهاية''، و''اللص والكلاب'' و''الطريق'' و''عبث الأقدار'' و''الثلاثية'')، وإحسان عبد القدوس، وكل من يوسف إدريس، وأدونيس، ونزار، والبياتي، ونوال السعداوي، وعبدالله الغزامي، وصلاح عبد الصبور، ومحمد العلي، وأمل ونقل، وبدر شاكر السياب، وفوزية أبوخالد، ونجاة عمر، وعبده خليل وأمثالهم، الذين ذكر أسمائهم في مذكراته التي جمعها وقدمها حمدي. [1]

في ضوء ما تقدم يمكننا تقييم أفكاره حول التفسير العصري للقرآن، أنها تمثل فكرة جديرة بالبحث عنها، مع مراعاة التحري وعدم الاجتراء والنيل من السلف، بل بطريقة علمية وبتقدير واحترام للجميع، وأن الأفكار ناشئة من صميم غيرته الدينية، ولا يخلوا الكتاب من زلات وأخطاء، إلا أن الفكرة جميلة ورائعة.

تقييم أفكاره حول الشفاعة:

وكانت من ديدنة مصطفى محمود الفكرية أنه لم يقبل الدين بالوراثة، بل أراد أن يبحث ويكتشف ويفكر ويخرج بنتائج جديدة لم يأت بها الآخرون من قبل، وبالتالي أدت هذه النتائج إلى نفخ روح الضغائن في النفوس الكثيرة. يقول مصطفى محمود ''دائماً كنت أتمرد على المسلمات خاصة الدينية، فكيف أتلقى الدين بدون تفكير، وقد وهبنا الله عقولاً ميزنا بها على جميع مخلوقاته''.[2] وتعود مصطفى في الأخذ والتلقي الأمور الدينية بعد عرضه على هذا الميزان وذات مرة كان حاضراً في أحد الموالد والحضرات الصوفية إذ سمع حد الدراويش يردد ''افعل ما تشاء وصلي على الشفيع'' فأذهلته هذه المقولة، فسأل الناس مسألة الشفاعة، هل الرسول سوف يشفع للعصاة والزناة والقتلة من المسلمين، وجرت عليه مناقشة طويلة هناك.

---

[1]- نفس المصدر.

[2]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، الحلقة الثالثة والعشرون: أيام التكفير الثالث في أزمة الشفاعة.

وما لبث مصطفى محمود أن خاض في قضية ''الشفاعة'' انطلاقاً من أنها تكوّن صورة الاتكالية عند المسلمين بل رأى في هذه العقيدة منتهى الاتكالية وإباحة ارتكاب المعاصي. ومن تساؤلاته وتعقلاته مما يلي:

- لايستطيع أن يتخيل خروج العصاة من النار ودخولهم الجنة لمجرد الشفاعة.
- كان يتساءل كيف يكون هناك في النهاية وأمام العدل الإلهي ''واسطة'' أو ''فيزاكارت'' و''كوسة'' لدخول الجنة.
- وهل يعقل أن يتوسط الرسول للعصاة والزناة والقتلة من المسلمين ليدخلهم الجنة ويساوي بين الصالحين؟!
- كان لا يطمئن البال بمقولة المتصوفة الاتكالية ''افعل ما تريد وصلى على الشفيع''. [١]

وانطلاقا من هذه التساؤلات والتعليلات أنه اتخذ موقفاً مختلفاً من قضية شفاعة الرسول للمذنبين عن الآخرين. وقام باجتهاد في القضية ووصل بعد الاجتهاد إلى أن الشفاعة ليست مباحة للجميع وهناك شروط لتطبيقها. ومنها أن الله يعطيها لمن يشاء وينزعها ممن يشاء وأن الرسول – ﷺ – سيشفع، إلا أنه لا يكون بيع المتشفع لهم زانٍ أو قاتل أو سارق (أى مرتكبي الكبائر). [٢]

وجاء مصطفى الأفكار العلية وما شابهها في نفس القضية في كتاب مستقل معنون بـ''محاولة لفهم الشفاعة''. ولاقى الكتاب إثر صدوره هجوماً عنيفاً، يكفره للمرة الثالثة. واتهمه البعض بإنكار الشفاعة للرسول، وانفجرت الردود في وجهه حتى تجاوزت الكتب التي قامت بالردّ على كتابه ''محاولة لفهم الشفاعة'' نحو اربعة عشر كتاباً.

---

[١]- نفس المصدر، أيام التكفير الثالث في أزمة الشفاعة (٢٣).
[٢]- مذكرات، الحلقة الثالثة والعشرون، أيام التكفير الثالث في أزمة الشفاعة.

وذهب معظم النقاد أنه أنكر الشفاعة للرسول، مع أنه ظل يصرّ بعدم إنكار الشفاعة، كما يقول: ''... والحقيقة أننى لم أنكر الشفاعة ولكني أقول إنها مشروطة بضوابط''.[١] إنه استدلّ على موقفه هذا، بآيات قرآنية، منها قوله تعالىٰ ''لله الشفاعة جميعاً – ما من شفيع إلا من بعد إذنه''.[٢] وقوله ''وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه وليّ ولا شفيع''[٣] وقوله ''فما تنفعهم شفاعة الشافعين''.[٤] وقوله تعالىٰ ''يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً''[٥] فالآية الأولى تدل على أن الشفاعة ليست بمطلقة وإنما هي مشروطة، والآية الثانية تبرهن على جواز الشفاعة للذين يخافون ربّهم، والآية الثالثة تؤكد من أن الشفاعة لا تنفع المجرمين والآية الأخيرة تدل على الشفاعة تحلّ لمن أذن له الرحمن ورضى له قولاً، فالشفاعة مقصورة على أهل الرضا أي المرضي عنهم، والمرضى عنهم ناجون بحكم ما فعلوا في حياتهم من خير... ومن هنا يرى مصطفى محمود أن الشفاعة لا تحلّ للعصاة، بل هي مقصورة على المرضي عنهم... وإنه لم يقم ببوح هذه الأفكار إلا لطرد الاتكالية الفاحشة من بين المسلمين ويقول:

''وما خفت هذه المعركة الشرشة إلا ابتغاء مرضاه الله، ويعلم الله أني أتكلم الآن وأقول الحقيقة، فلم أقصد الإساءة إلى الدين أو الرسول كما صوروني للناس فقد عشت عمري كله أحمل راية الدفاع عن الدين''.[٦]

وعند هذا الحدّ قد يكون كلامه صحيحاً، ومن ثم سانده وأيّده شيخ الأزهر محمد سيد الطنطاوي من خلال مجموعة مقالات نشرت في جريدة ''الأهرام'' في البداية، ولكنه في تقديم الفكرة قد نال من الحديث ومكانته في التشريعي الإسلامي وتوظيف العقل

---

[١]- نفس المصدر، نفس الحلقة.
[٢]- الزمر، ٣٣/ يونس: ٣.
[٣]- الأنعام: ٥١
[٤]- المدثر: ٣٨.
[٥]- طه: ١٠٩.
[١]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، حمدي، الحلقة الثالثة والعشرون: أيام التكفير الثالث في أزمة ''الشفاعة''.

البحث في المسلمات الدينية. إذ أنكر على كتابة الحديث في العهد النبوي وعهد الصحابة جملة وتفصيلاً، وأنه اعتمد على جانب واحد من الموضوع، كما أنه هناك روايات صحيحة تؤكد من كتابة الحديث في زمن الرسول - ﷺ- وكانت صحيفة صديقة موجود عند ابن عمر، وقد تناول الكتاب الكثيرون هذه القضية وأتوا ببراهين عديدة والتي تُفَنّد رأيَ مصطفى محمود وتُدْحِضُه.

إنه رأى تناقضا بين الحديث والقرآن، مع أنه لايوجد التناقض فيما بين المصدرين الأساسيين للإسلام، حتى تحدى الإمام ابن خزيمة بعدم وجود التناقض فيما صحّ عن النبي – ﷺ – من أحاديثه، واطلق مقولته الشهير ''هاتوا بحديثين متعارضين حتى أوفق فيما بينهما''... ومن زلاته الفكريه الأخرى أنه فرّق بين القرآن والسنة من ناحية التشريع؛ مع أن العلماء كادوا أن يتفقوا على أن القرآن والحديث كلاهما وحيان؛ القرآن وحي متلوء، والحديث وحي غير متلوء، والقرآن يبرهن عليه إذ يقول ''وما ينطق عن الهوى، إن هو إلى وحي يوحى''. ويرى مصطفى محمود أن القرآن هو التشريع الأول، والسنة هي التشريع الثاني[1]، وعلى هذا يعلن التناقض فيما بين المصدرين، كما يضيف قائلاً ''فإذا ناقض الثاني الأول يصبح حكم الثاني خاطئا والتنفيذ للأول''[2] ولكن يبدو لنا أنه أراد بالحديث، الذي لم يصح عن النبي – ﷺ- أو ما اختلق منه عليه – صلوات الله وسلامه عليه – ومن ثم يستطرد قائلاً: ''... وهذا بالطبع ليس إنكاراً للسنة ولكن غيرة على السنة وخوفاً عليها من الوضاعين والمقتولين الذين قولوا الرسول عليه الصلاة والسلام مالم يقل''.[3] يعني هذا، أنه صادق ومخلص فيما يفكر، ولكن قلة بضاعته في علوم الحديث، وعلم المصطلح يدخله بعض المزالق، فبدلاً من إبداء التناقض والتفضيل فيما بين الوحيين كان يمكنه أن يصرّح بالحديث الصحيح والضعيف أو الموضوع، لأنهما لايصلحان للحجة... ويما يتعلق بقضية الشفاعة فلم ير

---

[2]- نفس المصدر، نفس الحلقة.

[2]. نفس المصدر، نفس الحلقة.

[2]- نفس المصدر.

أحد من العلماء أن المتكلمين سوف يستحقون لشفاعة الرسول – ﷺ- وأنهم لا يعتقدون بأن الذنوب مغفورة بفضل شفاعة الرسول مثلما اعتقد النصارى بأنهم سيغفرون بفضل ضحية نبيهم عيسى – عليه السلام -، بل الشفاعة تكون لمن خفت موازينهم في الميزان بشيء قليل، وقدرت لهم النار، فيمنّ عليهم الرحمن ويخرجهم من النار بفضل شفاعته – ﷺ – ولا يصح قياس الشفاعة الدنيوية على تلك الشفاعة الكريمة، وهو مقامه – ﷺ – المحمود.

تقييم أفكار مصطفى محمود حول تطبيق الشريعة والإسلام السياسي:

يتميز عصر مصطفى محمود بصراع اليبرالية والعلمانية والإسلام، وفي هذا المضمار لعبت الماركسية ثم الشيوعية دورها في إثراء الضجات والرجات بين الأوساط الفكرية والأعلام الثقافية داخل البلدان العربية، وفي حينها برزت دعوة الإسلام السياسي في ساحة المجتمعات العربية والإسلامية، خاصة في مصر، وتركيا، وباكستان، وبعض دول إفريقيا، خاصة في السودان وارتجت المنابر بصدى دعوة إلى تطبيق الشريعة في إيران والسودان، وحصلت انقلابات وثورات متتالية. وبما أن مصر امتازت بالعقل والفكر والوعي الديني، ونشأت في ربوعها الواسعة حركة الإخوان المسلمين والتي انطلقت من الدعوة إلى تطبيق الشريعة وفرض الحكم الإسلامي على المجتمع. وبعد ثورة يوليو عند ما حاول جمال عبد الناصر تضييق الخناق على الجماعات الإسلامية في مصر زاد الطين بلّة وبدأ أصرارها على تطبيق الشريعة ومن هنا ظهرت على الساحة مصطلح ''السلام السياسي'' وشعار ''الإسلام السياسي هو الحلّ'' بشكل ملموس. وجاءت أفكار مصطفى محمود متناولة هذه القضية المثيرة للدهشة والضجة. وقام المفكر بوزن القضية على قسطاسه الفكري الخاص. هنا نقدم بعض أفكاره حول تطبيق الشريعة وشعار الإسلام السياسي هو الحلّ ومصطلح الإسلام السياسي'' تلوا بعد تلو.

يعني مصطفى محمود بالشريعة أخلاقية الإسلام المتمثلة في الكتاب والسنة، فالإسلام باختصار شديد في رأيه هو الأخلاق. ومنتهى الأخلاق هو تقوى الله. ويقصد به أن يتمثل المرء الله في كل ما يفعل، وفي كل حركاته وأفعاله، حتى يحس بأن الله يراه في كل ما يفعل، ونتيجة لذلك يصبح لديه أخلاقية معينة. وأما السياسة فهي مجرد كلام فارغ في رأيه، والجزء الكبير منها ميكافيلي وانتهازي والسياسة عبارة عن كذب ودجل وشعارات مزيفة.[١]

ويرى مصطفى محمود أن الشريعة أصلاً هي أخلاقيات الإسلام، والإسلام يهتم بأخلاقيات الحاكم وأخلاقيات القوانين التي يطبقها الحاكم. ومن هنا ينتقد على الآخرين الذين حاولوا تطبيقها وقتذاك، على أساس أن معظمهم لم يفهموا الشريعة أو لا يفهمونها وأن فكرهم لايتجاوز من قطع اليد والرجم والجلد والسجن وإطالة اللحية وتقصير الثوب والحجاب.[٢] وهناك أولويات في الشريعة لابدّ من مراعاتها، إذ يرى أن العلم من أولويات الشريعة، جاء التركيز عليه أكثر بكثير بالنسبة للحجاب؛ فالعلم أهم من الحجاب. كما يقول ''والله سبحانه وتعالى أمرنا بالعلم والعمل... فالآيات التي نزلت في القرآن تأمرنا بالعلم والعمل أكثر من ١٤٨٠ مرة على حين جاءت مسألة الحجاب في موضع واحد أو اثنين... فحين تكون هناك أولويات... فلاشك أن العلم والعمل الذي جاء موضعهما في القرآن الكريم أكثر من ١٤٨٠ مرة التي تتفوق على ماعاداها ومنها مسألة الحجاب مثلاً... ثم إن اللائحة العقابية ليست أول بل آخر ما يلجأ إليه الشرع بعد استنفاد كل وسائل النصح إلى آخره...[٣]

ويقصر دور الإسلام في الحكم إلى النصح والرشد لا الحاكم. بل يرفض تعبير رجل الدين أو رجال الدين، ووجودهم، كما لاحاجة للحاكم أن يكون متخرجاً من كلية

---

[١]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة السادسة والعشرون، ص ٨٧.
[٢]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة السادسة والعشرون، ص ٨٩.
[١]- نفس المصدر، ص ٨٩.

الشريعة مثلاً، الازهر الشريف، ويستدل على قوله هذا، بخلفاء المسلمين الراشدين؛ أبي بكر و عثمان وغيرهم رضوان الله تعالى عليهم. يقول:

''... ولكن الإسلام يجب أن يكون دوره ناصحاً ومرشداً ولا يتحول إلى حاكم يجلس على كرسي ويضع على رأسه عمة كبيرة ويقول إنني أحكم بالتفويض الإلهي... لا... إنني أرفض ذلك مطلقاً! ثم ما هو المانع أن يكون الحاكم مسلما عصرياً؟!... وهل د.يوسف واي يس مسلما؟![1] هل حسب الله الكفراوي[2] ليس مسلماً؟! لا... كلهم مسلمون وكلهم لديهم حمية دينية... فليس شرطاً أن يتخرج الحاكم من كلية الشريعة لكي يحكم... فالدين قاسم مشترك بين كل الناس...[3] ففي رأيه الحكم الشرعي لايحتاج إلى تطبيق الحدود ولا إلى رجل محترف على رأسه عمة وبيده شمروخا قد يمكن لمسلم مثقف عادي، له باع وقدرة على الحكم أن يأخذ زمام الحكم ويتولى بمسئوولية القيادة.

ومن أهم أفكاره فيما يتعلق بتطبيق الشريعة أن التطبيق لا يتحقق على الفور، بل التطبيق يتحقق بتطبيق المرء المسلم الشريعة على نفسه، خاصة بعد التحلى بأخلاقيات الإسلام. وعندما سأله محمود فوزي مخاطباً إياه ''طل ترى تطبيق الشريعة كليا مثل تجارب إيران والسودان أو ترى تطبيقاً تدريجياً؟'' فأجاب قائلاً: ''لاشك أن الشريعة الإسلامية هي المطمع الذي لاتختلف عليه اثنان، ولكن أن يأتي طالب ساقط ثانوية عامة ويمسك شمروخا في يده محاولا عمل انقلاب إسلامي في ٢٤ ساعة من أجل تطبيق الفضيلة في ٢٤ ساعة فهل يمكن أن يحقق ذلك في ٢٤ ساعة؟!

... هل يمكن أن تأتي الفضيلة بمرسوم وزاري؟!...

هل يمكن أن نطبق الإيمان بقرار من مجلس الشعب؟!

---

[2]- ترجمة د.يوسف والي.

[3]- ترجمة حسب الله الكفراوي

[4]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة السادسة، ص ٨٨.

هؤلاء فهموا المسائل خطأ... فلا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم... يبقى الأول ''تغيير النفس'' هذه هي المرحلة الأولى إذن أن تطبق الشريعة أولاً على نفسك ثم بعد ذلك على المجتمع...'' [1]

ومن هنا أن مطالبة تطبيق الشريعة للتوّ، كلياً مضادة للروح الإسلامي، وإنما تتحقق الشريعة بالتدريج، ويستدل بطريقة تحريم الخمر على مدى ١٣ عاماً. ويرى أنه من الضروري أن يقوم بتقنين القوانين ''الفقيه القانوني'' والخبير ذو الأفق المستنير، وليس أصحاب الآفاق الضيقة والعقول المظلمة، والشريعة مفتوحة للاجتهاد والتدبر والظروف لها أحكام... مع ضرورة الوضع في الاعتبار في أن المصالح المرسلة قاعدة فلابدّ من أن نقدر ونوازن المسائل... ويتلخص إلى قوله ''ومن رأيي أن تطبيق الشريعة الإسلامية على مراحل فهذا أسلم للإنسان والمجتمع''. [2]

ولكن قاعدة التدريج قد ترجع إلى حدّاث الإسلام، التدريج في كل شيء الذي نجده في شريعتنا إنما يرجع إلى رحلتها من البداية والاستقرار، فهل يطبق نفس المنهج بعد أن صار الإسلام وراثيا، والمسلمون يحكمون البلاد والأمصار ويكلفون لجميع التكاليف ويفهمون الإسلام حلاله وحرامه.

والشيء الثاني الذي أشار الدكتور مصطفى محمود إلى أن باب الاجتهاد مفتوح للجميع، فهل يجوز الاجتهاد في الشريعة كل من هبّ ودبّ من المستفيض، وبالرغم من عدم معرفتهم للقواعد المعلومة على وجه بديهى من الشرع؟ لابدّ من أن يكون المجتهد السياسي هذا أن يجمع بين الفقه القانوني والفقه الشرعي ومن ثم يتخول له حق الاجتهاد. فإذا كان احتراف السياسة لايجوز فالأولى أن لا يجوز احتراف الاجتهاد.

وأما فيما يرى أن الأخلاق الإسلامي هو صلب الشريعة، قد يكون فيه خداج، إذ مسائل الحلال والحرام في الاقتصاد والتعامل والحياة الاجتماعية من السمات البارزة الشريعة الإسلامية، وهي تتجاوز من مجرد الأخلاقيات الإسلامية، ومن هنا تمس الحاجة إلى

---

[1]- اعترافات مصطفى محمود، الحلقة الحادية والعشرون، ص ٧١.

[2]- اعترافات مصطفى محمود، الحلقة السادة والعشرون، ص ٩.

تجاوز مفهوم الشريعة من مجرد الأخلاقيات. ورأيه في مقولته ''الإسلام السياسي هو الحلّ'' قد تكون مصيبة. إذا يطلق على هذا الشعار ''شعار فضفاض لا يدل على شيء''. [١]

وقد غير مصطفى محمود هذا الشعار بقوله ''أخلاقيات الإسلام هي الحلّ''. [٢] فالإسلام الناجح يمكن بالخطى الانتقائية التي تأخذ بيد المجتمعات هوناً وفي ترفق خطوة خطوة ومرحلة بعد مرحلة. والذين يتعجلون في الأمر ويحاول تطبيق الشريعة في ٢٤ ساعة من أصحاب الكراسي والفتن، يستغلون الإسلام لأجل الوصول إلى المناصب السياسية والمقاعد الحكومية. [٣]

---

[١]- اعترافات مصطفى محمود، الحلقة السابعة والعشرون، ص ٩١.
[٢]- نفس المصدر، ص ٩٢.
[٣]- صوت من الأعماق، من أفكار الدكتور مصطفى محمود في العلم والسياسة والاجتماع، عبدالجبار، دولة، ص ١٧٣.

تقييم أفكار مصطفى محمود فيما تتعلق بتنبوءاته حول سقوط اليسار والحضارة والأوربية:

سار مصطفى محمود على دروب فكرية وسطية تؤكد أن الإسلام منهج يشدد على التوازن بين الفرد والجماعة، فلا يهدف إلى تذويب الأفراد في الجماعة كما في الاشتراكية وأخواتها، ولا إلى التضحية بالجماعة لصالح شرذمة قليلين من الأفراد كما في الفكر الرأسمالي.[1] ومن ثم عارض بشدة الفكر الماركسي والشيوعي مع هجماته بلاهواءة على الفكر الرأسمالي، ومن هنا تنبأ الفكر بسقوط الماركسية بل سقوط اليسار كله، قبل أن تحدث أمارات السقوط. كما تنبأ بسقوط الحضارة الغربية وانهيار الرأسمالية وتوابعها دون أن يطلق المسلمون رصاصة واحدة، ويُرجع السبب إلى الترف والتخمة وعبادة الشهوات والفرق في الملذات، ويستدل عليه بمآل الحضارات الكثيرة الموجودة في طيات التاريخ البشري، التي ذهبت أدراج الرياح والنسيان بسبب حياتها البذخة وطريقة عيشها الترفيهية.[2]

إنه عاش عهد جمال عبد الناصر في مصر عندما وجد الفكر الماركسي أو اليسار طفرات وقفزات وسيادة ثقافية وسياسية ولكن نفس الوقت حاول مصطفى محمود تجريد الفكر الماركسي وكشفه عن كل الأقنعة. مع أن جمال عبد الناصر لم يدخر وُسعاً في كبت الأفواه الناطقة ضده وضد فكره اليساري، ومن جرأة مصطفى محمود أنه كتب مقالتين ''هتلر والنازية'' و''الخروج من مستنقع الاشتراكية'' ونشرهما في ''روز اليوسف'' بشكل متتال. وفي هاتين المقالتين فنّد مصطفى محمود الفكرَ الماركسي وتنبأ بسقوطه كما أرسل انتقادات لاذعة موجهة إلى السياسة اليسارية المصرية التي كان يحكم عليها جمال عبد الناصر. وسرعان ما بعد نشر المقالتين صودرت أداد روز اليوسف وخرج قرار إيقاف مصطفى محمود عن الكتابة. وجراء

---

[1]- نفس المصدر، المقدمة، ص ١١-١٢.

[2]- نفس المصدر، المقدمة، ص ١٣-١٤.

ذلك، قضى عاماً كاملاً بعيداً عن الكتابة وأطلق عليه ''عام المنفى''. وهزت المقالتان كيان عبد الناصر والفكر الماركسي من بنيانه. وبعد أن توفت المنية جمال عبد الناصر قام مصطفى بإجراء بعض التعديلات نشرهما أيام السادات مرة أخرى وسط الثمانينات، خاصة مقالته الشهيرة ''الخروج من مستنقع الاشتراكية'' التي نشرها في جريدة أخبار اليوم مؤرخا ١٣ يناير عام ١٩٩٠م، بعد أن انهارت الماركسية وانخر بنيان الشعوعية واليسار. وفنّد الفكر الماركسي والشيوعى تفنيداً قاسياً، ومن أهم نقاط المقال هي ما يلي:

- مات الفكر الماركسي بالسكتة في ساعة زمان.[١]
- ولم تكن هذه المرة البورجوازية وراء سقوط الماركسية، بل العمال والفلاحون والبروليستاريا والكادحون في المناجم والطبقات المطحونة التي زعمت الماركسية أنها جاءت لنجدتها... هي التي ثارت ضد الفكر الماركسي بعد أن زالت عنها الحقيقة وانكشف عليها الخفاء.[٢]
- لم تكن الاشتراكية العلمية... اشتراكية كما لم تكن علمية وإنما كانت تلفيقاً فلسفياً ومكراً يهودياً صغه ماركس، وجرّ به العالم إلى حمامات دم، وإلى هراعات رهيبة بين يمين ويسار استنزفت طاقات الشباب وضيعت أمماً، ودمرت اقتصاديات وألقت بشعوب في شباك عنكبوتية من الأكاذيب.[٣]
- وجراء ممارسة سياسة اليسار توقفت الزراعة في الريف ونزل الفلاحون لشراء الخبز والزبد والبيض والدجاج من المدينة، ومدت المدينة يدها لتستورد القمح والدجاج والبيض من هولندا، وأنا وزير وأخويا أمير وابن عمي مدير يبقى مين حيسوق الحمير، ومن يجمع زبالة القاهرة... لايبقى إلا أن نعهد إلى شركة سويسرية لتقوم بنظافة شوارعنا، والنتيجة قذارة

---

[١]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة السابعة، ص ١٩.
[٢]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، حمدي، الحلقة السادسة: الديكتاتورية عبد الناصر .
[٣]- المصدران السابقان، نفس الحلقات.

متراكمة في كل مكان... ولا أيدي تنظف... والخمسون مليوناً يريدون جميعاً أن يكونوا وزراء وخريجي الجامعات... ويؤدي الخُلل في البنية الاجتماعية إلى مزيد من الخلل ومزيد من التدهور في الخدمات.[١]

- إن السياسة الناصرية اليسارية أدت إلى تفاقم سوء الوضع الاقتصادي والاجتماعي وبالبطالة والعطالة ازدمم شارع المخدرات وأزقة الإرهاب وخلايا التطرف، وتتراكم الفاتورة... جرّاء نتيجة أخطاء القرارات الاشتراكية التي أعلِنت في الستينات وألقت بالبلاد في مستنقع من التناقضات والصراعات والعقم الاقتصادي والتدهور الإنتاجي.[٢]
- وأن الفكر الماركسي فكر ماركسي والوقت يتطلب منا خلع قناع الماركسية والتنازل عن سياسة الميسار، فيقول ''وقد آن الوقت لمثقفين عرب كرسوا أنفسهم لخدمة هذا الفكر الفاسد أن يُراجعوا أنفسهم وهم يرون أمامهم التاريخ في أوروبا يضع من جديد على نهج مضاد لما كانوا يرجون من آراء وتنبوءات خابت جميعها وكذبها الواقع.[٣]

هكذا حاول إخراج الشعب المصري من مستنقع الاشتراكية بعد كشف الغطاء وإزالة الخفاء واللبس من وجه الماركسية. وفي مقالته الأخرى ''سقوط اليسار'' أشار إلى مشكلات مصر العامة من سيادة الفساد والسرقة، والغش، وخراب الذمم والكسل، والسلبية، والأيدي الممدودة التي تريد أن تأخذ ولا تعطي والأصوات التي تطالب بالحق دون أن تنادي بالواجب والفهم والجشع وتعجل الربح وضياع القيم وعدم الانتماء... والكل يهدي ولا مهتد، ومنها سقوط الهيبة وانعدام القدرة وتراخي قبضة الحكم في محاولة لإرضاء الكل...[٤]

---

[١]- المصدران السابقان، نفس الحلقات

[٢]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة السابعة، ص ٢١.

[٣]- نفس المصدر، نفس الحلقة.

[٤]. مذكرات الدكتور مصطفى محمود، د. حمدي، الحلقة السادسة: الديكتاتورية عبدالناصر.

وها هذه المشكلات إلا بسبب استراتيجية سياسية يسارية اعتنقها جمال عبد الناصر وطبقها على المجتمع المصري مع أنها ضعفت سيطرتها في العالم كله وتراجع اليسار في إنجلترا وفرنسا، وإيطاليا وإسبانيا.

ويرى مصطفى محمود في مقالته هذه أن اليسار في النظام الحكومي أدى إلى سيادة القانون الوضعي الذي يعطي الزمام للحكم الطاغوتي باسم التقدمية والعلمانية، والذي وجد مكانه في لبنان، واليمن الجنوبي، وبنجلاديش ونظام أتاتورك، آنذاك الوقت. وجميعها أمثلة متفاوتة للأزمات الاقتصادية والديون والتخلف والتبعية وفقدان الهوية. العمّال الكادحون يقفون في طوابير ليشتروا الكرنب بالبطاقة بينما أعضاء الحزب الشيوعي يأكلون الكافيار ويركبون عربات فاخرة. وكان برجنيف يمتلك جرّاحاً به أكثر من عشرين عربة فاخرة من أغلى وأفخر أنواع المرسيدس والليموزين... وهذه هي الأسباب الرئيسية التي أدت إلى انهيار الحكم الشيوعي أو اليسار من دول العالم كما يقول مصطفى محمود في هذا المقال:

''ومن أجل هذا سقطا ليسار في العالم كله وتراجع جورباتشوف عن أفكار لينن وستالين، وبرجنيف وضرب بها عرض الحائط، كما تراجعت الصين، كما انتكست الأحزاب الشيوعية الأوروبية على رؤوسها ولم يبق من دراويش الماركسية إلا اليسار المصري يرفع رايات عتيقة بالية انتهت موضتها ويحلم بأمجاد...''[1]

هكذا استأنف انتقادات ضد استراتيجية جمال عبد الناصر وسط الثمانينات بمناسبة نشر المقال من جديد لمرة أخرى.

''ويقول لنا الزميل أحمد بهاء الدين (حامل لواء الاشتراكية ولواء جمال عبد الناصر) ''موتوا بغيظكم'' ومامات بغيظه إلا صاحبه، بل لقد مات بحسرته بهزيمة منكرة وإحباط لم يشهده زعيم قبله والزملاء الرفاق الذين يلبسون قميص عبد الناصر يتسون أن القميص أدركه البلى، وأنه دخل في تركة ماض انتهى وأصبح مخلفات وأن العصر

[1]. نفس المصدر، نفس الحلقة.

بمشكلاته ومتغيراته تجاوز عبد الناصر وفكر عبد الناصر وأن المشاكل التي استجدت تحتاج فكراً جديداً وأن نقود أهل الكهف التي يدورون بها في الأسواق لن تشترى لهم شيئاً افتحوا النوافذ يارفاق واستنشقوا الهواء نحن على أبواب التسعينيات''.[1]

هكذا تفرس مصطفى محمود الأوضاع غير المساندة للفكر الشيوعي والماركسي والاشتراكي، وتنبأ بسقوط الفكر وانهياره، حتى سقط بسكتة في ساعة زمان بفضل الشفافية لديه أدرك بها إيقاع التاريخ. ومن الطريف جدا، أنه عندما شهد الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية انهياراً وسقوطاً، سأله محمود فوزي ''ما حدث الآن من متغيرات في الاتحاد السوفيتي والدول الشيوعية... هل هو زلزال للحتمية التاريخية الماركسية؟! أم هذا يلغي الماركسية من جذورها أصلاً؟! فأجابه قائلاً:

''يلغي الماركسية من جذورها أصلاً، ولكن الشيوعيين الآن يقولون غير ذلك إنهم يقولون ''نجن نتطور – نغير جلدنا ... جلد كواييه؟ ... انتوبقى فيكو حاجه؟''! ملكية لوسائل الانتاج والاقتصار الشمولي والصراع الطبقي ديكتاتورية البروليتاريا... ماذا يبقى منها؟! والدليل على ذلك ماحدث في بولندا والمجر وبلغاريا حين شطبوا الماركسية كعلم من المناهج للطلبة في هذه البلاد... ماذا تريد أكثر من هذا؟!''

وعلى هذا، تحققت تنبؤات مصطفى محمود فعلاً، فيما تنبأ عن مصير الفكر الماركسي، وانهيار الدول الشيوعية وذهاب اليسار ضياعاً، وبقيت تنبؤاته بسقوط الحضارة الغربية، نتيجة نمط الحياة السائدة في الدول الغربية، وظلت تتربع على عرش الرقي والازدهار حتى الآن، بل ارتقت قمة الرقي والازدهار ولكن قد يمكن التراجع والانهيار من القمة والعلو، نتيجة قاعدة العلو والهبوط، فما من أمة مزدهرة إلا لقيت انحطاطاً وزوالاً بعد قضاء عصر ذهبي في رحاب البذخ والرقي والازدهار والله تعالىٰ يداول الأيام بين الناس، وهذه سنة الله ولا تبديل لسنة الله. قد يمكن انطلاق تنبؤات مصطفى محمود من هذه السنة الإلهية.

---

[1]- نفس المصدر.

تقييم أفكاره حول الأعمال الخيرية:

تحدثنا عن أعمال مصطفى محمود الخيرية لدى حديثنا عن أعماله وخدماته المتنوعة فيما سبق، لاحاجة إلى التكرار، وإنما نريد التركيز على أفكاره فيما يخص بالعمل الخيري. إذ أنه كرس حياته من أجل فقراء مجتمعه واليتامى والفلاحين. وعاد بالنفع الحجم والخيرات الجمّة لصالح بلاده. إنه أنشأ المعامل الصحية والاقتصادية واطلق مشاريع خيرية لتقديم العون والمساعدة للمحتاجين والفقراء بل للعامة من الناس مقابل أجور رمزية ومجانية.

ومن أهم أفكاره من خلال الأعمال الخيرية أنه فكر في محاربة الإرهاب بالتعليم ومحاربة البلطجة بإطعام الفقير وتربيته.

ولدى إبراز قيمة أفكاره حول الأعمال الخيرية تتسنى لنا الإشارة إلى حكاية أصبحت حلما لمصطفى محمود يحاول تحقيقه منذ نعومة أظفاره. وبالرغم من أنه لم يكم من الأثريا كما لم يكن من الفقراء، بل كان من المستورين (الطبقة المتوسطة) كان دائما الانشغال بالفقراء. كما يقول في مذكراته التي جمعها حمدي:

''اقتنعت بأن الفقر والجهل والظروف السيئة هي سبب تأخر أمتنا، بل هي منبع الإرهاب فقد حاول الشيوعية الروسية في روسيا بتنظيم جماعات إرهابية من خلال الأعمال الخيرية لصالح الفقراء وانتفعت بجهل الفقراء وعامة الشعب. كما أشار إلى هذه النقطة مصطفى محمود في نفس المذكرة، رقم الحلقة: السابعة عشر. فإذا أردنا أن نصعد بمعدل نموّ دولتنا مثل الدول المحترمة، وإذا أردنا أن نقطع جذور الإرهاب فعلينا بمحاربة أسبابه''. [1]

وقد حاول مصطفى محمود معالجة الفقر والجهل معاً، وتحقق حلمه، عندما أنشأ جمعية مصطفى محمود الخيرية، واتخذ مسجده مكانا يعم منه الخيرات والعطاء بلاحدود،

[1]- الحلقة السابعة عشر، حكايتى مع الأعمال الخيرية.

وانطلاقا من فكره حول القيمة البشرية بأنها تتمثل فيما يضيفه الإنسان بين حياته وموته.

وقد شجع مصطفى محمود على تحقيق حلمه حكاية قديمة، وأسطورة رجل طيب حببت إليه الأعمال الخيرية ومساعدة الفقراء والمحتاجين والفلاحين، وتغذت أفكاره من ينابيعها. نذكر هنا تلك الأسطورة على لسان مصطفى محمود ومدى تأثره بها:

''... نشأ في الريف، وكان رجلاً قوياً، صاحب عزيمة وطموح ودائماً قلبه يرق لضعفاء قريته، فأقام مشروعاً وشغل فيه فقراء القرية وكان يحجز جزءاً من أرباح هذا المشروع لينفق على أولاد عماله الفقراء... ويوفر لهم علاجا وتعليماً وملابس... إذن بعد أن اهتم بتوفير مصدرا للرزق يهتم بالتعليم والرعاية الصحية، وهو ما رفع من مستوى هؤلاء الفقراء وزادت احتياجاتهم فأصبحوا يشترون منتجات مصانع الرجل الطيب فراجت سلعته أكثر فدخل القرية المجاورة وأقام فيها فروعا أخرى معتمداً على فقرائها ورافعا إياهم من محنتهم... وظل هكذا حتى قضى تقريباً على البطالة والفقر في بلده... لأنه لم يكن يفكر بالأساس في جنى الأرباح فقط، بل كان يفكر في فقراء بلدته، فيكون نتيجة عمله الصادق أن تتسع تجارته وتتعاظم أرباحه، فيقسم هذا الربح بينه وبين الفقراء في مكان آخر، وهو مايضاعف من أرباحه مائة مرة...''[1]

وظل مصطفى محمود يفكر في الأسطورة ويحاول تطبيقها على نفسه، كما يقول:

''هذه الأسطورة المتداولة بين البسطاء كثيرا ما شغلتنى منذ الصغر، وكنت أفكر فيها باستمرار وأنقضها أحيانا، ولكننى وجدت نفسي أؤيدها بكل ما أوتيت من قوة... حتى جاء منتصف السبعينات ... وفكرتُ آلاف المرات في كيفية تحقيق هذه الأسطورة بالفعل... لكن الحقيقة أنني فكرت بالعقل... التفكير بالعقل مثل بالعواطف لو أردنا أن نحقق شيئاً، وصممنا عليه سيتحقق''.[2]

---

[1]- نفس المصدر، نفس الحلقة.

[2]. مذكرات، الحلقة السابعة عشر: حكايتى مع الأعمال الخيرية.

إنه بدأ بتنفيذ المشروع عام ١٩٧٦م. وفي البداية فكر في إنشاء المشاريع على نمط الدعاة النصرانية من خلال العمل الخيري، وفكر في دور الكنيسة الخدمى الذي تقوم به لرعاية شعبها ومن ثم اتخذ المسجد الذي أسسه نقطة محورية لعمله الخيري. ثم أنشأ المستشفى وبدأ يعالج المحتاجين والفقراء إما مجانا أو مقابل أجور رمزية، وزوّد المستشفى بالمختبرات والمعامل وأحدث الأجهزة والماكينات التي جلبها من أقصى الدنيا وأدناها، وبجانب تقديمه العلاج والدواء والعيادية للمرض حاول تربية الأطباء وإعداد جيل منهم يحبّ العمل الخيري، ويشجع المتخرجين في الطبّ وأفكارهم الحديثة ويساعد في انجاز مشاريعهم البحثية، إلى أن أتى عليه زمان يستقبل المستشفى أكثر من ٤٥٠٠ مريض كل يوم، بعد أن توسيع النطاق وأقام فروعا في أماكن أخرى. وبجانب الخدمات الطبية حاول توسيع نشاطاته في مجالات مختلفة، من توفير الملابس لعشرات الآلاف من الأسر المصرية، وتوفير مصدر رزق دائم وثابت لمعدومي الدخل وتوفير الأطعمة للمنكوبين. وفي هذا الخصوص إنه قام بأعمال ثلاثة مهمة، وهي:

- أنه أطلق مشروع ''رحلة الشتاء والصيف'' إذ كان يخرج بكم ''هائل من المعونات والأدوية إلى أماكن مصر الأكثر حاجة إلى الدعم منها مناطق سيناء، والعاحات، والصعيد، وريف مصر، وكان يذهب إليها بشكل قوافل، وقد بلغ عددها نحو ١٣ قافلة.
- مائدة الرحمن: إنه بدأ بمشروع ''مائدة الرحمن'' لإطعام الفقراء والمساكين، خاصية في شهر رمضان الكريم. ومن الطريف جدا، أنها كانت مجموعة أشخاص أصحاب مطاعم ينفقون من أرباحها على تربية وتنشئة فتيات أيتام، مرة واجهوا مشكلة التمويل، وبلغ النبأ إلى مصطفى محمود، فاتفق على شراء الوجبات من أصحاب تلك المطاعم تحت مشروع ''مائدة الرحمن'' لإطعام المساكين والفقراء، هكذا حزب عصفورين بحجر واحد، كما وسع هنا المشروع المسجونين.

- ومن أهم أعماله الخيرية، والتي تتجلى من خلاله فكره المثالي وعقليته، أنه فكّر في مشروع اقتصادي يعود بالنفع إلى الجمعية والفقراء ومحدودي الدخل أو معدومي الدخل. إنه احتذى مثالاً بالمثل الصيني الشهير ''بالانعطيه السمكة بل نعطيه السنارة ليتعلم الصيد'' والطق مشروعاً، وأعطى السنارة للأسر الكثيرة أكثر من ٦٠٠٠ أسرة في ٧ محافظات بما يزيد على ١٥ مليون جنيه شهريا.[١] هكذا عندما كانت الأسر المصرية البسيطة قرضا من الجمعية كان مصطفى محمود يعطيهم أدوات انتاج مثل آلات أو ماشية أو ماكينات بدلاً من الأموال كما كانوا يعطون القرض المردود للأسر المحتاجة والمسكينة إلا أنه لا يرد للجمعية بل تحصل عليه عائلة أخرى.[٢]

هكذا بدأ مصطفى محمود بمشاريعه الخيرية وأتى بأفكاره جديدة قلماً يفكر فاعل خير أو مؤسس جمعية خيرية على نمطه من قبل. وحاولت الشرطة ووكالات المخابرات بالمراقبة ومن هنا واجه مصطفى محمود وأعضاء الجمعية بمشكلات، ولكنهم توقفوا عن عملية التجسيس بعد أن اطمأنوا من نشاطات الجمعية وأعمالها الخيرية وخدماتها الإنسانية.[٣]

هذه هي بعض الوقفات المتأنية لدى تقييم أفكار مصطفى محمود فيما يخص بمجالات علمية وأكاديمية وسياسية واجتماعية وأخرى خيرية، تتميز بالحداثة والجدة، والعلمية، والطرافة، والاندهامش، كما تتموج بهاجس فكري عميق، ومشاعر نبيلة، وقد تشكو من تسرع الحكم والوصول إلى النتائج، كما بالإضافة إلى تناقض الآراء في بعض القضايا خاصة السياسية منها. اللهم إلا أنه أعاد النظر في عديد من أفكاره وتراجع عنها، واشتهر بنقد الذات بخصوصه.

---

[١]. مذكرات، الحلقة الثامنة عشر، الجمعية الخيرية كانت تجسيداً لأحلامي ونظرياتي الاقتصادية.
[٢]- نفس المصدر، نفس الحلقة.
[٣]. مذكرات، الحلقة السابعة عشر، حكايتي مع الأعمال الخيرية.

الفصل الثاني

شائعات وانتقادات عامة على مصطفى محمود وأفكاره

لدى البحث عن التقييم الفكري واستعراض مدى استقبال أفكار مصطفى محمود في المجتمع المصري والعالم العربي يناسب البحث عن الشائعات حوله والانتقادات العامة التي وجهت إليه وإلى أفكاره في فترات تاريخية مختلفة، بعد تقييم أفكاره النموذجي في الفصل الماضي.

هنا أناقش حقائق الشائعات وأسبابها التي ظلت تطارده طول حياته، على النحو الآتي:

- **إنه سوف يموت:**

ولد مصطفى محمود توأما لأخٍ مات بعد أيام من الولادة، ومن ثم شاع في الناس في الحيّ أنه أيضاً سيموت قريباً، إلى أن حدث معه حادث ظنّ الجميع أنه مات فكفنوه ووضعوه في النعش حيّاً، وقد روى الحادث مصطفى محمود القصة بأنه كان تلك الأيام مريضاً جداً، وكانت درجة مرارته منخفضة وضربات قلبه ضعيفة؛ لذلك استدعت أسرته طبيبا كان سمعه ضعيفاً فلم يسمع ضربات قلبه، فظن أنه فارق الحياة فتوجه إلى الأسرة، وقال لهم الطبيب حزينا: ''البقاء لله، لقد مات هذا الولد المسكين'' فأطلقت أمه صرخات ورقعت بالصوت، وحزن جميع أفراد العائلة على موته، وكفنوه ووضعوه في النعش، ولكنه بعد وقت قصير استعد وعيه وفتح عينيه وليجد نفسه في ظلام دامس وهو ملتم بالكفن، فشعر بالرعب الشديد لما كان فيه، وثارت في ذهنه أسئلة متعددة، وكان بينها: أين هو؟ وكيف سيخرج من النعش؟ على كل، عندما استعادته الأسرة كانت فرحة بلا وصف، ومن ثم بدأوا يطلقون عليه لقب المحسوس أو الملبوس''.[1]

ومن هنا ازداد الظن بشائعة عن موته، وأدت الشائعة إلى تأثير نفسي عميق، وأصبح الموت من أكثر الأفكار التي شغلته منذ طفولته حتى آخر لحظات عمره، وكان دائما يفكر في قضايا الموت والحياة، ويتصور أن عمره قصير جدا، وأنه سيموت مبكرا،

[1]- مذكرات مصطفى محمود، الحلقة الثالثة: ''عند ماكفنوني ووضعفوني في النعش حيا'' حمدي

وبعض الأحيان كان يقول بصوت مرتفع جدا واقفا أمام المرآة ''الموت يطاردني... يقف خلفي وأمامي وبجواري... لا استطيع الهروب منه''.[1] وكان يرى في الحلم ملك الموت محيطا به، ومن ثم ذهبت الأسرة عدة مرات إلى الأطباء، ولكن دون جدوى. وبسبب هذه الشائعة والتفكير الطويل نشأ بداخله مفكراً كبيراً، واكتشف أن الموت والمرض مشكلة كبرى، وحاول أن يجد حلاّ لألفاز الموت والحياة، ورحلته بين الشك والإيمان تكوّن الموت عنصراً هاماً لهذا النوع من التفكير.

وبالإضافة إلى شائعة الموت هناك نوع آخر من الشائعات؛ شائعة تشوّه سمعته، منها شائعة التلوث العقلى وشائعة الردة الدينية، ونوع يضيف قدره ومكانته وهو كونه عاملا كخادم للكعبة المشرفة والقيام بخدمة الحجاج، ونوع آخر من الشائعات لحقته بآخر أيامه، وهو شائعة علاقته بالجن. وعلى هذا يمكننا تقسيم الشائعات إلى ثلاثة أنواع:

- شائعة عادية تتعلق بموته في وقت ما.
- شائعتان تشوهان سمعته.
- شائعة تضيفه قيمة وتدينا وعلاقة بالله.
- شائعة تضيفه قيمة في تقديم العون للآخرين بمساعدة الجن، والعلاقة بهم.

فقد مضى الكلام حول الشائعة الأولى حول موته وأنه سيموت مبكرا. والآن نتحدث عن الشائعات الأخرى، أولاً نتحدث عن الشائعات المشوّه لسمعته، وهماه:

- **شائعة التلوث العقلي:**

ومن أشهر الشائعات المشوّهة لسمعة مصطفى محمود أنه أصابه بتلوث عقلي، وأنه انتابته حالة هستيرية نُقل على إثرها إلى مستشفى الأمراض العقلية. وعمّت الشائعة في المجتمع. والغريب أن الناس بدأوا يصدقون الشائعة على الإطلاق دون التفكير. وبعض الأحيان كان الناس يتحيرون عندما يشاهدونه ماشياً على الشوارع في طنطنا، ويزيدون

[1]- مذكرات، الحلقة الرابعة: ''كل إنسان يحمل الموت بداخله''.

في الحيرة عندما يبرز على شاشة التلفزيون لتقديم برنامجه الشهير''العلم والإيمان'' فكان الناس يندهشون لرؤيته؛ إذ لا يمكن له أن يكون في الشارع وفي الصلاة وفي الوقت نفسه في مستشفى الأمراض العقلية! [1]

- **شائعة الردة الدينية:**

هذه من أخطر الشائعات، حيث جرت على الألسن قصة بأن ابنتة مصطفى محمود الوحيدة ''أمل'' أصابتها بمرض مُزْمِنٍ، وأنها رأت في المنام المسيح – عليه السلام – يقول لها ''إن لم يتنصّر والدك فلن تشفي أبداً من هذا الداء العضال''، فلبّى مصطفى محمود النداء للتوّ وذهب إلى الكنيسة وتم تعميده وتنصيره. وشفيت أمل، بعد أن تنصّر والده، وذهب بعد ذلك إلى الدير يتعبد فيه مع البابا شنودة والأنبا بيشوى. [2]

مع أن مصطفى محمود ظلّ يكذب هذه الشائعات فإن هناك كثيرين من الناس مازالوا يعتقدون صحة هذه الشائعات. يقول مصطفى محمود:

''... فكيف أكون مسيحيا أؤدِّي في الكنائس واتعبد في الأديرة؟ وقد بنيت مسجداً لله وأعيش بداخله وأصلّي فيه جماعة مع المسلمين الذين كانوا يفاجئون في صلاة الجمعة بأنني أصلي معهم فيتأكدون من كذب الشائعة''. [3]

وأمّا فيما يتعلق بالأيدى وراء هذه الشائعات المشوّهة لسمعة مصطفى محمود لم يستطع العثور على مصادرها على وجه مؤكد وحاول كثيراً أن يعرف مروجيها ولكن دون جدوى. نعم، حاول تفسيرها فتوصل إلى نتيجه أن خصومه الذين عجزوا عن هزيمته بشتى الطرق طمو الذين لجأوا إلى الشائعات معتقدين بأنها قادرة على هدمه، إلا أنهم فشلوا فشلا ذريعاً في المشروع السلبي فوجهوا إليه بالطعن في الظهر. كما يعتقد مصطفى محمود المخابرات الإسرائيلية كانت وراء جزء كبير من هذه الشائعات، بعد ما قام بشن الهجمات الشعواء ضدّهم في أوائل التسعينات وبعد إصدار كتابه ''التفسير

---

[1]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، د.حمدي، الحلقة الخامسة والعشرون الأخيرة: الشائعات تطاردني.
[2]- نفس المصدر.
[3]- نفس المصدر، نفس الحلقة.

العصري للقرآن'' وكتبه الأخرى ضد الشيوعية وإسرائيل،[1] إذ تستهدف المخابرات الإسرائيلية وعلى رأسها ''الموساد'' إلى النيل من سمعة الرموز الإسلامية في مصر خاصة الفئة المستنيرة والحاملة للفكر الجديد وبالتالي يحاول الموساد إثارة الفتن والاختلافات فيما بين العلماء والمفكرين الإسلاميين في المجتمع المصري، ويحاول أن تتحول مصر إلى ساحة حروب أهلية بين المسلمين والمسيحين. وبالإضافة الأيدي المذكورة أعلاها وراء الشائعات المشوهة الخارجية يعتقد مصطفى محمود أن خصومه ممن ينتمون للجماعات الإسلامية كانوا من بين مروجي هذه الشائعات إلى أن حاولوا اغتياله أكثر من مرّة، ومن ثم عينت الوزارة الداخلية حارساً يرافقه أينما يأتي ويذهب.

على كل، رغم هذه المخاطر والمخاوف وبث الشائعات والأكاذيب لم تفترهمم مصطفى محمود بل واصل وظيفته عاكفا لدى مسئولياته تجاه مجتمعه وأمته. كما يقول: ''ولكن في كلّ الأحوال كانت الشائعات تدفعني إلى العمل باجتهاد، ولم تهذمني في يوم من الأيام ولم تؤثر على علاقتي بالآخرين...''[2]

ونعتقد أن المخابرات الإسرائيلية والجماعات الإسلامية كلتيهما كانتا وراء هذه الشائعات. لأنه اتخذ موقفاً صارِماً ضد إسرائيل في عدة كتب، كما قام بهجمات شديدة بلا هوادة على الشيوعية والماركسية، بأسلوب علمي، نفس الأسلوب الذي تختاره الماركسية، إذ كان مصطفى محمود يتربع على عرش العلم والفلسفة. وبجانب آخر أدى بعض مواقفه الدينية خاصة فيما يتعلق بالإيمان قبل وصوله إلى الإيمان، خلال رحلته من الشك إلى الإيمان، وموقفه من التفسير العصري للقرآن، وموقفه من الالحاد والشفاعة إلى إثارة ضجة وسخط بين الجماعات الإسلامية، ومن ثم تحولوا ضدّه. اللهم إلا أن القول باللجوء إلى الشائعات بالنسبة للجماعات الإسلامية قد تكون ضعيفة، ولكن لايستبعد كونها واقعة فريسة سهلة للمخابرات الإسرائيلية والمنظمات الشيوعية والعمل حسب مخططاتها جهلاً.

---

[1]- نفس المصدر، نفس الحلقة.

[2]- مذكرات، حمدي، الحلقة الخامسة والعشرون، الشائعات تطاردني.

والآن نذكر شائعة أخرى من نوع آخر تضيفة قيمة وعلاقة بالله عزوجل وهي:

- **شائعة العمل كخادم بجوار الكعبة ومعيشة صوفية:**

وعندما تقدّم عمر مصطفى محمود وأصابته أمراض الشيخوخة واختفى نهائياً عن الساحة الاجتماعية والإعلامية فاجاه مرة إذ أخبره بعض أصدقائه بأن أحد أقربائه ذهب الحج، وشاهد مصطفى محمود بجوار الكعبة يعمل خادماً حرمها، وأنه يعيش هناك حالة عالية جدا من الزهد والتصوف. [1]

مع أن مصطفى كذب هذه الشائعة، إلا أنها اسعدته، وتفاءل بها، وقال:

''الشائعة للغاية لأنني أثناء سنوات عزلتي الأخيرة كنت أناجي ربّي في صومعتي وحدتي، وأصلي له، وأعيش حالة عالية من التصوف، فقد أيقنت بأن الله هو الهدف والغاية، ومن الممكن أن تكون المعجزة تحققت بأن تنتقل الروح إلى ما تحبّ في حالة روحانية عالية، لكنني كذبتها بالطبع''. [2]

إلا أن عزلة مصطفى محمود هذه، وحياته المتصوفة كانت تختلف عن حياته الصوفية التي جرت على لسان الشائعة، وأنها تخالف العزلة الصوفية القريبة من الرهبانية، اعتقاداً منه الربانية لا الرهبانية في الإسلام، ومن ثم رغم اعتقاده العميق في التصوف السني، وخوضه في بحره ظل موجوداً في المجتمع يخدم البشرية من خلال كتاباته وحواراته وأعماله الخيرية.

- **شائعة علاقته بالجن:**

ومن الشائعات التي لحقت بمصطفى محمود في آخر عمره خرجت من لسان إحدى صديقاته الدكتورة لوتس عبد الكريم، وكان زوجها أيضا من أصدقاء مصطفى محمود. إنها ادعت في كتابها ''مصطفى محمود... سؤال الوجود'' بأنه كان على علاقة بالجن وكان يستعين به في قضاء حاجات أصدقائه من أصحاب المشكلات، وأنه وصف لها

---

[1]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، حمدي، الحلقة: ٢٥، الشائعات تطاردني

[2]- نفس المصدر، نفس الحلقة.

كيف كان يشتعل الممر المفضي إلى غرفته النيران حين يستدعي الجان، وكيف كان يدخل الجنّ فيه ويحتضنه بشدة حتى يغمى عليه لفترة غير قصيرة، وأن الألم كان في البداية هائلاً، إلى أن اعتاد عليه فلم يعد يعاني من شيء إذ أصبح الجان من صديقه ويفضي إليه بكل مايريده ويحقق له ولأصحابه المعجزات والكرامات...[١] وقد فنّد مصطفى محمود هذه الشائعة وكذّبها قائلاً:

''وكانت هذه الشائعة أكثر الشائعات افتراءاً، لكن لوتس اتصلت بي بعد ذلك لتوضح أنها لم تقصد الإساءة وأن الكلام نشر محرفاً''.[٢]

ويوضح حقيقة علاقته بالجان أو حبّه للاستطلاع على عالم الجان قائلاً:

''بالفعل كنت شغوفاً بالتعرف على عالم الأرواح والجان، وحاولت كثيراً، كما ذكرت في شبابي ومراحل متقدمة من عمري، التصرف على هذا العالم الخفي والغريب، لكنى لا استطيع أن أفعل كل هذه الأشياء التي ترددت عن علاقتي بالجان، خاصة بعد أن أصبحتُ في أواخر عمري، وبعد أن هدأت نفسي، ووصلت إلى اليقين، وأحببت التفاف أبنائي وأحفادي حولي، بعد رحلة طويلة من البحث والسفر وعدم الاستقرار''.[٣]

هكذا حاول مصطفى محمود البحث والكشف عن هذا العالم السحري، من هاجس الاستطلاع للوجود والحياة والموت، كي يعرف وجود الجان، والشياطين، ولكنه لم يرتبط لوقت ما بالجان، ولم يدخل الجن فيه ولو لمرة. وعندما شاعت الشائعة ذهب رجال الإعلام إلى ابنه أدهم ليسألوا عنه عن حقيقة الشائعة، فقال ضاحكا ''إني أنا الجن والوحيد الذي يتحدث معه''، وقد سبقت القصة في الباب الأول، وبعض التفاصيل المعنية بها.

فمن هذه الشائعات مايضيفه قدراً و احتراماً ومكاناً، ومنها مايشوّه سمعته وينال من عرضه. وظهرت هذه الشائعات على مدى السنين في مراحل مختلفة من حياته. وكان

---

[١]- نفس المصدر، وقد سبق الكلام عن هذه الشائعة خلال الحديث عن حياة مصطفى محمود في الباب الأول.

[٢]- نفس المصدر، نفس الحلقة.

[٣]- نفس المصدر، نفس الحلقة.

تأثره بهذه الشائعات مختلفاً، حسب قوله ''وكنت اتعامل معها بأن استمتع وأضحك أحياناً، وأغضب بشدة، وأبكى في أحيان أخرى''.[1] يعني بين الاستمتاع، والضحك، والغضب، والبكاء.

هنا نتوقف كلامنا عن الشائعات التي طاردته طول حياته، لنتحدث بإيجاز عن انتقادات عامة وجهت إليه في حياته أو بعد مماته.

- **أفكاره متضاربة فيما بينها:**

من أهم الانتقادات الفكرية التي وُجهت إلى مصطفى محمود أن بعض مواقفه متضاربة فيما بينها، وقد يصل بعضها إلى حدّ التناقض.[2] وربّما يكون هذا من السبب الرئيسي الذي لفت انتباه النخبة المثقفة والعامة من الناس إلى ضجات أثيرت حوله. فقد شغل مصطفى محمود الناس بما أثاره من أفكار وقضايا على طول حياته الفكرية وأدى إلى حالة ثقافية شابها كثير من الجدل. ومن ثم عاش أنماطاً فكرية عديدة، تستوجب التناقضات، إذ مستحيل أن يجمع الشك والإيمان في قلب واحد. فالإلحاد يختلف تماماً عن عقيدة التوحيد، ومن ثم تغير رأيه فيما بعد عندما سمعه الرئيس أنور السادات إعادة طباعة كتابه ''الله والإنسان''. ولم يطبع الكتاب.

ومعظم التناقضات خاصة في مواقفه السياسية لايمكننا وضعها في موضع اتهام. لأنه اعترف بنفسه بأنه كان على غير صواب في بعض مراحل حياته. ومن ثم سأله ذات مرة محمود فوزي في هذا الشأن:

''هل من الممكن – من وجهة نظرك – أن يغير الكاتب في طبعته الثانية ماجاء في طبعته الأولى من أفكار لتلائم روح أو ظروف العصر ... هل يمكن للكاتب أن يراجع نفسه؟؟''

فأجاب إثباتا، ومثّل له نفسه، قائلاً:

---

[1]. نفس المصدر، نفس الحلقة.

[2]. صوت من الأعماق، من أفكار الدكتور مصطفى محمود في العلم والسياسة والاجتماع، عبد الجبار دوله، مقدمة الكتاب، ص ١٢.

''لقد حاكمتُ نفسي وعرفت ما هي أخطائي؟! والكاتب لابدّ له أن يراجع نفسه. فالإنسان دائما خاطئ... ولا يوجد غير كاتب واحـــــد لايؤخذ منه ولا يرد وهو القرآن الكريم''.[1]

ومحاكمة المرء نفسه طبعاً من ضروب الشجاعة والقدرة على نقد الذات، وهذا شيء يفتقر إليه الكثيرون من الناس.

ويكون من نافلة القول الإشارة إلى رأيه المثير للإعجاب والدهشة، أنه يرى الإنسان معجزة التناقضات. وكتابه ''لغز الموت'' الذي أخرجه في مرحلة خاصة من مراحل حياته الفكرية يبحث عن حقيقة الإنسان والله والموت والحياة، وهو بمجمله يدور حول فكرة التناقض. والإنسان عنده نموذج حيّ لهذا التناقض، والذي يتمثل في جسده المحدود روحه الحرة المنطلقة التي لاتحدّها حدود ولا زمن ولا أفكار. وبجانب آخر يستدل مصطفى محمود على هذا التناقض الإنساني، بوجود الاختلافات والآراء لدى كلّ إنسان.

ومن ثم عاش مصطفى محمود أكبر دليل على أن الإنسان هو نتاج الأفكار المتناقضة فقد عاش طوال مسيرته وحياته الفكرية محاطاً بالفكر والإيمان، والشك، واليقين، والتصوف، وإعمال العقل، وهيمنة العلم، ومن هنا يجده المتتبع لحياته ممتلئة بالتناقضات، على المستويين: الشخصي والاجتماعي. خاصة من خلال كتبه الثلاثة ''الله والإنسان''، و''التفسير العصري للقرآن الكريم'' و''الشفاعة'' ولاقى في هذا السبيل من أزمات عنيفة وقضى شطراً من القساوة والعنف الاجتماعي.

- **هيمنة العلم والمادة على أفكاره:**

كما أُعترض عليه بشدة على عكوفه لدى العلم والتحليل العلمي والمادي والاستنتاج الفكري في ضوءه. خاصة في كتابه الأول ''الله والإنسان''، حيث بدأ بالمسلمات الأولية العلمية وتعاطف عم الفكرى المادي، ومن ثم اتهم بالشيوعية واعتناق الفكر

[1]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة العاشرة، ص ٣١.

الماركسي والإلحاد على الرغم من أنه لم يدخل يوما مع الماركسيين أو الأحزاب اليسارية الأخرى. ولكن هيمنة العلم والمادة هذه إنما جاءت نتيجة نمط فكري شغف به في مرحلة بدائية من حياته الفكرية. كما يقول:

''... لكن حدث ذلك بحكم البداية... بحكم تعاطفي مع الموقف العلمي والمادي، والفكر المادي الجدل، حدث ذلك حين كتبت هذا الكتاب (الله والإنسان) في عامي ١٩٥٤م و ١٩٥٥م ثم صدر ذلك في عام ١٩٥٦م.'' [١]

وأما مكانة العلم لدى مصطفى محمود في الوصول إلى تفسير ألفاز الحياة والموت واليقين فقد تطورت من مكانة إلى أخرى. في البداية خاصة في أيام شبابه كان شديد الإيمان بالمنهج العلمي، مهتديا بعلماء الطبيعة والذي رأوا المنهج العلمي كافيا كل الكفاية لتفسير جميع الظواهر المادية والحية دونما حاجة إلى قوة غيبية تقوم بهذا التفسير. كما قال العالم الفرنسي الكبير لا بلاس ''إنني لم أجد في نظام السماء ضرورة للقول بتدبير إله''.[٢] ولكن بعد استمرار في البحث والكشف عن حقيقة العلم ودورها في تفسير الظواهر تغيرت أفكار مصطفى محمود وجاء في كتابه ''اينشيتن والنسبية'' بمواقف حازمة تجاه قضية العلم والمادة. وقال ''لقد انهار اليقين العلمي القديم''[٣] وفحص العلم بتقسيمه إلى دورين؛ العلم من حيث هو ''تطبيق'' من ناحية، ومن حيث هو ''ميتافيزيقياً'' من ناحية أخرى. العلم باعتباره ''تطبيقا'' بالغ النفع، وأقدر على إعطاء نتائج ذات قيمة فعلية بالنسبة للحياة الإنسانية. وأما من حيث ''الميزيقيا'' فيستطيع أن يملأ الفراغ الذي أحدثه اختفاء الإيمان بقوانين الطبيعة. ومن هنا تغيرت النظرية العلمية، ولم يعد العلم ''يفسر الظواهر، وإنما اقتصر دورها على وصفها فقط. والذي عبره مصطفى محمود بقوله ''العلم يدرك كميات، ولكنه لايدرك ماهيات''.[٤] فمثلاً أن العلم لايمكنه أن يعرف ما هو الضوء؟ ولا ما هو الإلكترون؟ وحينما يقول

---

[١]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثانية، ص ٦

[٢]- مصطفى محمود شاهد على عصره، جلال العشري، ص ٢١.

[٣]- نفس المصدر، ص ٢٤.

[٤]. نقلاً عن نفس المصدر، ص ٢٦.

العلم إن الأشعّة الضوئية هي موجات كهربائية مغنطيسية أو هي فوتونات، فإنه إنما يحيل الألغاز إلى ألغاز أخرى... لأن السؤال الجديد الذي سرعان ما ينزغ هو ... ما هي الموجات الكهربائية المغنطيسية؟ حركة في الأثير! وما الحركة؟! وما الأثير؟ وعلى ذلك فإن العلم لا يمكن أن يعرف ماهية أي لشيء. إنه يستطيع أن يعرف سلوك الشيء وعلاقاته بالأشياء الأخرى، والكيفيات التي يوجد بها في الظروف المختلفة... ولكنه لايستطيع أن يعرف حقيقته.[1]

وعلى هذا، خاب ظن مصطفى محمود بأن العلم هو تفسير للظواهر حتما، بل العلم مفيد بدوره، في تحليل الأشياء ووصفها وصفا دقيقاً وتحليلاً منطقياً، والذي يفسر الظواهر خاصة الظواهر الغيبية فيما يتعلق بالموت والحياة والوجود فإن المعرفة هي التي تقوم بالتفسير والإيصال إلى حلّ ألغازها. ويريد بالمعرفة هو الذوق الإيماني الذي يشعر به المؤمن بربه من ظهر الغيب، والمعرفة السائدة لدى المتصوفة هي التي اقنعته بإيمانه برب العالمين. ومن هنا وجد مصطفى محمود ضآلته المنشودة بعد تيهه في وادي الشك نحو ثلاثين عاماً فأكثر.

- **الدعوة إلى التفسير العلمي:**

بعد أن وجد مصطفى محمود ضآلته الفكرية المنشودة في القرآن الكريم بعد ثلاثين سنة من انهماك في الكتب، وآلاف الليالي من الخلوة والتأمل مع النفس وتقليب الفكر على كل وجه ليصل إلى دروب اليقين. بدأ يدرس القرآن ويفكر في معانيه السامية، ووفقاً لها حسّه الفكري والعلمي بدأ يبحث عن مكنونات خفية في الآيات القرآنية من خلال تفسيرها العلمي، في كتبه ومقالاته حول القرآن وتفسيره، والتي أثارت ضجة كبيرة بين الأوساط العلمية والعامة. وبدأوا يعترضون على التفسير العلمي على الأساس بأن النظريات العلمية تتغير ولكن الحقائق القرآنية لاتتغير وبالتالي ينبغي ألا نربط القرآن بالتفسير العلمي.[2]

---

[1]. نفس المصدر، ص ٢٦.

[1]- مصطفى محمود مفكراً إسلامياً، مامون غريب، ص ٧٥.

ولكن يرد مصطفى محمود على معترضيه قائلاً: إنه ليس كل علم متغيراً، هناك علوم متغيرة وهناك علوم ثابتة... فالأرض ثبت أنها كروية وصورت من القمر... وانتهى الأمر... وعرفنا سر الليل والنهار والرياح والفصول... أو أن الماء يغلى في درجة (١٠٠) في الضغط العادي... كل هذه حقائق علمية ثبتت وأصبحت حقائق وهكذا... هناك مثلاً قانون الجاذبية... الجاذبية حقيقة ولكن قد يأتي اينشتين بنظرية ونيوتن بنظرية ... ولكن الجاذبية حقيقة ... فهناك حقائق ... وهناك ثوابت... وهناك تخمينات... والمحاذير هو أنك ينبغي ألا تربط الدين بالتخمينات.[١]

فالعلم الذي لايفيد اليقين والثبات لا يمكن تفسير القرآن على أساسه ولكن العلم الذي يفيد الثبات واليقين ينبغي تفسيره عليه. كما أراد بالتفسير العلمي تفسيراً في إطار مدلول الآية ومعناها ثم تفسيرها على حسب مقتضى الأمر متمسكا بالآيات القرآنية. ومن تبريراته أنه لايحاول تفسير كل القرآن تفسيراً علمياً، بل يقتصر هدفه في الآيات الكونية. كما يقول:

''كما ينبغي أن تعرف أنه ليس كل القرآن هو الذي يفسر تفسيراً علميا، ولكن الذي يفسر علميا جانب واحد المتعلق بالآيات الكونية، كل ما يخصّ الرياح والنجوم... والفلك والجنين...، وهي آيات قليلة في مجموعها ولكن واضح أنه لابدّ أن يشترك العلم في تفسيرها لأنها أصلاً تتحدث عن مسائل علمية... ولكن أن ينفرد بها الفقيه فهذا خطأ''.[٢]

فالتفسير العلمي عنده له مكان في القرآن الكريم وانكاره خطأ. ونرى أن الثوابت العلمية متفقة مع ماجاء في القرآن الكريم، ولا يفكر مسلم لدى تعارض مفاهيم الآيات القرآنية المعلومة وبين النتائج العلمية أن يوجه بسهام النقد إلى القرآن وأن يشك في القرآن نتيجة التفاسير العلمية. التفسير العلمي يجب أن يكون في خدمة معاني القرآن،

---

[٢]- نفس المصدر، ص ٧٥.

[١]- نفس المصدر، ص ٧٦.

وإن جاءت النتيجة مخالفاً لظواهر القرآن فهذا يعني أن المفسر العلمي ينقصه الضعف في التحليل العلمي، وهو يحتاج إلى مزيد من المطالعة والبحث.

- **الخوض فيما لايعنيه:**

وقد أُعترض عليه بأنه خاض في مسائل وقضايا لا تَمُتُّ إليها بِصِلَةٍ، فالخوض في مسائل القرآن خاصة في تفسير القرآن الكريم تفسيراً عصرياً أو تفسيراً علمياً، كما دخوله في مسألة الشفاعة، والكلام في حقيقة الجنة والنار وغيرها من قضايا عديدة عدّها العلماء المعاصرون له بأنها لاتتعلق باختصاص مصطفى محمود، وإنه طبيب أو أديب لايجوز له التصدي بالخوض فيها.

ومن ثم يشكو مصطفى محمود غير مرة من أنه لا حاجة إلى التكلم في القضايا الدينية. وينتقد على الذين يرون أن حق التكلم في المسائل الدينية لرجال الدين أو متخرجي الأزهر فقط. إنه انتقد في مواضع كثيرة على مصطلح رجال الدين، وقال:

''... فلا بدّ أن يظل باب الاجتهاد مفتوحاً وغيرمقصور على فئة معينة من الناس فلا يمكن أن يحصل رجل الدين في الإسلام على مكانة الحاخام عند اليهود أو البابا في المسيحية أو الخوميني عند الشيعة حتى يصبح له مكانة أكبر من الإله ويشرع على أهوائه ويكفر من يشاء فرجل الدين له احترامه ومنزلته ورمز للإسلام ولكنه ليس إلهاً أو نبياً مرسَلاً، ومن الطبيعي أن يحمل نظريات خاطئة وليس الدين مقصوراً عليه وحده''.[1]

ويعتبر كتابه ''التفسير العصري للقرآن'' بوابة دطمت احتكار الدين على أصحاب العمائم مرتدي العمة والكاكولة فريجي الأزهر الشريف.

وعندما قالوا عنه أن هذه الموضوعات لاعلاقة له بها وأنها ليست بتخصصاته، فأجاب قائلا: ''إنهم لايفهمون في هذه المسائل... فالآيات الكونية ليست تخصصهم هؤلاء بالمرة، وقد فهم السلف هذه الآيات فهما محدوداً وخاطئاً... والحقيقة أن التفاسير

[1]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، حمدي، الحلقة العشرون، كفروني للمرة الثانية.

القديمة مليئة بالحشو والأخطاء فيما يتعلق بالآيات الكونية بالذات ... ولكن الحمد لله انتهت هذه الصورة... وأراد الله أن يكون هناك تقدم علمي وأن تأخذ هذه الآيات حقّها في الشرح والتفسير الحقيقي الصحيح من الفهم''.[١]

هكذا أثبت مصطفى محمود أن انتقاد الخوض فيما لايعنيه إنما مجرد دعوى فارغة بل تفسير الآيات الكونية من علوم الفلك والنجوم والسماوات والجبال والطقوس والأجنة كانت من اختصاصاته وموضوعاته، وأنه حري بأن يقوم بتفسيرها على أساس العلم والثوابت من العلم.

[٢]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الحادية عشر، ص ٣٥.

الفصل الثالث

أفكار مصطفى محمود في آراء العلماء والمفكرين والنقاد

وقد مضى أن أفكار مصطفى محمود أثارت ضجة كبيرة بين الأوساط العلمية، كما لفت انتباه المتخصصين من العلماء والمفكرين والنقاد إلى إدلاء الآراء واتخاذ المواقف تجاه أرائه وأفكاره التي تميز بها. وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن أفكاره كانت مثيرة للجدل وتستوجب تدوين الآراء وإبداء المواقف تجاهها من قبل الآخرين. وعلى هذا الأساس جاءت آراء ومواقف مؤيدة له وأخرى معادية له ولأفكاره المثيرة للجدل والنقاش، بشكل جدي وكبير. وقد بلغت ردود حول موقفه ''الشفاعة'' نحو ١٤ كتابا فأكثر، ولدى تقييم آرائه وأفكاره لابدّ من ذكر بعض آراء العلماء والمفكرين والنقاد في شخصيته وأفكاره كى يكون التقييم شاملاً وموضوعياً وغير منحازٍ إلى جانب واحد.

- **رأيهم في أفكاره المتهمة بالإلحاد:**

وقد سبقت الإشارة إلى أنه عاش حقبة الخميسنات والستينات متأثراً بالتيارات الفكرية والمادية بشتى أنواعها من الشيوعية والعلمانية والوجودية والماركسية التي عصفت بكثير من المفكرين العرب، وبالتالي نالت هذه التيارات من مصطفى محمود واتعبته كثيراً وأخذ مصطفى محمود يتأثر بها في رحلة المعانات الفكرية والروحية، إلى أن أخرج كتابه ''الله والإنسان'' والذي أثار ضجة وقلقاً بين الأوساط الدينية. وتفاخم الأمر، ووصل إلى المحاكمة الشرعية وجاء القرار بمصادرة النسخ المتبقية من الكتاب، واتهم بالإلحاد ووجه بالتفكير. وجاءت ردود كثيرة من قبل رجال الدين والعلماء والنقاد، هنا نذكر رأي حسن مأمون المفتي وكامل الشناوي.

يرى كامل الشناوي أن إلحاد مصطفى محمود كان صحيحا، وأنه لم يكن مارقا عن الدين. إذ قال مقولته الشهيرة يبرر من خلاله مصطفى محمود:

’’إذا كان مصطفى محمود قد ألحد فهو يلحد على سجادة الصلاة؛ كان يتصور أن العلم يمكن أن يجيب على كل شيء، وعند ما خاب ظنه مع العلم أخذ يبحث في الأديان بدءاً من الديانات الأرضية مثل الزراد شتية والبوذية ثم انتقل إلى الأديان السماوية، ولم يجد في النهاية سوى القرآن الكريم.’’ [1]

ولكن كان إلحاداً بالرغم من ذلك، ومن ثم تمت محاكمة الكتاب ثم مصادرته، ومن قبل رُفعت القضية إلى علماء الأزهر الشريف، للاستفتاء به، وأفتى حسن مامون نيابة عن هيئة علماء الأزهر، والذي محفوظة داخل مجمع البحوث. هنا ننقل محتوى الفتوى لأنه جاء بتقييم شامل للكتاب مع ذكر النماذج، ومواطن الاعتراض، على النحو التالي:

"سؤال: من الأستاذ: م.ح.أ بطلب قيد برقم ١٣٥٧ سنة ١٩٥٧ يرغب فيه منّا أن نطلع على كتاب (الله والإنسان) ونُبْدِى رأينا فيه".

جواب: أجاب: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده . وبعد:

فقد اطلعنا على هذا الكتاب الذى ألفه الدكتور (م.م) وأخرجه فى مارس سنة ١٩٥٧ بعد أن نشر بعض فصوله فى مجلة روزاليوسف. ونظرا لأن هذا الكتاب قد أثار ضجة كبيرة.

وطلب منى الطالب بصفته ممثلا لمجمع البحوث العلمية، وجماعة البر والتقوى إبداء رأيى فيما نشر بمجلة روزاليوسف من الكتاب، وفى الكتاب نفسه بعد طبعه وتوزيعه على القراء.

وقد قرأت هذا الكتاب من أوله إلى آخره قراءة هادئة غير متأثر بما أثير حوله، لأننى لا أحب أن يصدر حكمى عليه فى جو عدائى له أو جو تسيطر عليه فكرة سيئة عنه.

ولذلك أجد من الإنصاف أن أقول: إن الكاتب عنى فى كتابه بتمجيد العقل والعلم والحرية، وإظهار أثرها فى تقدم الفرد والأمة. ولا جدال فى أن الدين الإسلامى قد سبقه

---

[1] - صوت من الأعماق، من أفكار الدكتور مصطفى محمود في العلم والسياسة والاجتماع، عبدالجبار دولة، المقدمة، ص ٥.

إلى ذلك فقد عرف للعقل قيمته وقدره. وطالب الناس بالتفكير فى خلق الله، وبالنظر والاعتبار، ونجد آيات القرآن الكريم حافلة بذلك.

كما أنه دعا إلى العلم بكل ما يحتاج اليه الإنسان فى حياته وفى مماته، وكل ما يرفع شأن البشرية، ويحقق على الوجه الأكمل معنى خلافة الإنسان عن الله فى أرضه، يعمرها ويستخرج كنوزها ويفيد من كل ما وضع الله فيها، وأيضا فإن الإيمان الذى فرضه الإسلام وسائر الأديان السماوية.

وهو الإيمان بأن للكون إلها واحدا هو الله سبحانه وتعالى وهو المستحق وحده للعبادة والذى يستعان به ولا يستعان بغيره فى كل شؤون الحياة يحقق معنى حرية الإنسان فى أسمى صورها وأعلى مراتبها. فالمؤمن. إيمانا صادقا لا يكون عبدا لغيره، ولا عبدا لشهواته، ولا لأى شيء آخر سوى الله سبحانه وتعالى الذى خلقه وخلق كل شيء.

فدعوة الكتاب إلى تخليد العقل والعلم، وإلى أن يفكر الإنسان تفكيرا حرا مستقيما، دعوه لا ننكرها عليه، ولا ينكرها الدين الإسلامى. فما جاء فى آخر الكتاب من الدعوة إلى أن يتكاتف السياسى اليقظ والمفكر الحر ورجل الدين العصرى إلى أن يكونوا فى توثب دائم ليكسروا الدروع السميكة حول أعدائنا، ويمزقوا عن وجوههم القبيحة النقاب لاشيء فيه وهو مما نوافقه عليه.

غير أن الكتاب لم يخل من أخطاء لا نستطيع أن نمر بها بدون إبداء رأينا وعلى الأديان كلها هجوم واضح نلمسه فى كتابه فى كثير من المواطن.

واعتقد أن هذا الكاتب وأمثاله لم يقعوا فيما وقعوا فيه من خطأ إلا لأنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء دراسة الأحكام التى دعا الإسلام الناس إلى اتباعها بدليل أنى لم اجد فى كتابه شيئا منسوبا للدين يستحق أن ينتقد أو يزدرى وسنذكر بعض الأمثلة من خطاه الذى لا نقره عليه بل إننا نعتقد أنه لو راجع نفسه لا يقر هذا الخطأ.

ص ٢٤

(والطريقة العصرية فى بلوغ الفضيلة ليست الصلاة، وإنما هى الطعام الجيد والكساء الجيد، والمسكن الجيد. والمدرسة والملعب والموسيقى).

ص٢٦

(لقد صنعنا الصلاة على المذاهب الأربعة ولم يبق إلا أن نجرب الطعام الجيد)

وهذا من أمثلة الخطأ.. فهو خطأ فاضح فليس من الإنصاف أن يقول كاتب: إننا صنعنا الصلاة، فالصلاة لم يصنعها الإنسان، وانما أمر بها الله ولا أدرى ما الذى دعاه إلى مثل هذا التهجم على أوامر الله إنكار فائدتها أولا، وبنسبة صدورها لا إلى الله بل إلى الناس ثانيا. ولو قال بدل هذه العبارة أننا امتثلنا إلى أوامر الله بالصلاة وذقنا أثرها وحلاوتها فى صدورنا فلنضف إليها أيضا ما تحتاج إليه أجسامنا ومقومات حياتنا لنكون أقوياء بإيماننا وبأجسامنا وأرواحنا حتى نستطيع أن نواجه عدونا بهذه الأسلحة مجتمعة.

ص ٥٤

تهجم على الأديان

والأديان سبب من أسباب الخلط فى معنى السعادة لأنها هى التى قالت عن الزنى والخمر لذات وحرمتها فتحولت هذه المحرمات إلى أهداف يجرى وراءها البسطاء والسذج على أنها سعادة، وهى ليست بسعادة على الاطلاق.

ليحفظ للواقع: أن الدين وهو يحرم بعض ما يشتهيه الإنسان ويلذ له إنما يحرمه للضرر الذى يعود عليه من الجرى وراء ملذاته فقد حرم الخمر ليحفظ للناس عقولهم.. وحرم الزنى ليحملهم على الزواج والتناسل فيحفظ بذلك النوع الإنسانى على أكمل وجه ويقيه شر الانحلال والانقراض والانهيار.. هذه هى الحقيقة التى ما أظن أن الكاتب غفل عنها ولكنه مع هذا يخطئ فى التعبير فيقول: إن الأديان سبب من أسباب الخلط فى معنى السعادة وأن السعادة ليست تحررا بحيث يفعل الإنسان كل ما يريد وكل ما تشتهيه نفسه ولو كبه ذلك على وجهه وأوقعه فى الهلاك.

ص ١١١

إن لفظ الجلالة (الله) فكرة، وهي فكرة فى تطورٍ مستمرٍ كما تدل على ذلك قصة تطور الأديان.. وفى فقرة أخرى يقول (وشريعة هذا الدين- أى الذى يدعو إليه- بسيطة جميلة وهى الولاء للحياة).

يقول المفتى.. الكاتب هنا يطعن فى الذات الإلهية فيتحدث حديثا ما كان واجبا أن يتحدث بمثله.. ويضيف.. لا أيها الكاتب المتعلم تعليما جامعيا ليس الله فكرة كما تقول، وإنما سبحانه وتعالى ذات منزهة عن صفات الحوادث ومتصفة بجميع صفات الكمال، وهو الذى خلقك وخلق كل ما تراه حولك فليس الله فكرة متطورة كما تقول وليست الأديان قصة كباقى القصص التى لا أصل لها وانما الأديان السماوية حقيقة أيدها الله سبحانه وتعالى بالمعجزات، التى أجراها على أيدى رسله.

ص١٨

أنا فتحت عينيى فى يوم لأجد نفسى وحيدا وإلى جوارى مصحف وحجاب لمنع الفقر.

ويقول المفتى عن القرآن الكريم.. إن هذه المعجزة معجزة خالدة باقية.. عجز العرب وغيرهم أن يأتوا بمثلها.. وهى القرآن الكريم.. فالمصحف الذى وجدته ولا يمكن لمثلك أن يكون بعيدا عنه هو المعجزة التى يكفيك أن تقرأه وتمعن النظر فيه لتعرف الأسس التى تضمنها، والتى لو عمل بها الفرد وعملت بها الأمة لتحقق الفرد الصالح والأمة الصالحة، ولما صار الشرق كما نراه الآن بعيوبه وبضعفه، فإن الإسلام لا يعرف الضعف والضعفاء ولا يعرف السعادة التى يحققها حجاب أو دعاء.. كما تريد أن تلمز به الإسلام بحملك الحجاب مع المصحف، فلا يوجد فى الشريعة الإسلاميه حجاب يمنع الفقر أو يجلب السعادة وإنما يوجد عمل دائب مستمر لتحقيق معنى السعادة الحقيقية..

السعادة المؤسسة على قوة المادة وقوة الروح معا، ولعلك لو تحدثت عن الشرق وقد استحال أمره إلى أن يكون له جيوش ومصانع وطيارات، وغير ذلك مما يوجد فى الغرب، الذى لا يحول الإسلام بينه وبين أن يبلغه لما كان حديثك عن الإسلام هذا الحديث المتأثر بحالة الشرق الآن تأثرا دعا إلى أن تمجد المادة التى وصل إليها الغربيون التى لم يصل إليها الشرق بعدُ، لا، لأن الدين قد حال بينه وبين بلوغه، ولكن

الاستعمار الذى رزخ على صدر الشرق والشرقيين فى القرون الأخيرة هو السبب الأكبر فى ذلك".

ص ١١٩

فلا مَحَلّ لافتراضِ فى بقاء آخر روحاني لهذا الترابط المادى البحتى.. إنها نهاية طبيعية إذن.. أن يبعث الإنسان حيا بعد الموت هو والدودة التى فى بطنه والقملة التى فى رأسه فهذه تعنى روحية الأديان.

وفى فقرة أخرى «أن دعوى الخلود الشخصى لا يسندها العلم ولم تعد تسندها الضرورات الاجتماعية القديمة".

كانت هذه الدعوى العريضة التى يدعيها الكاتب فى كتابه ويقول عنها دعوى الخلود الشخصى لا يسندها العلم.. لم يقل لنا اسم العلم الذى ينكر الحياة الآخرة اللهم أن يكون قولا لبعض العلماء المتطرفين، الذين مجدهم الكاتب فى أثناء كتاباته أما العلماء الذين بحثوا فى أصل الإنسان، وعرفوا عظمة الله وقدرته فيما كشفوه عن بعض آثارها فى الأرض والسماء، فما أظن أنهم ينكرون الحياة الثانية أو ينكرون وجود الله وقدرته وعظمته.

ص١٣١

إن الله ليس فوق الجدل.. وليس فوق العقل.. وليس فوق الواقع.. إن الله هو العقل وهو الواقع، وهو مجموع القوى الكونية التى تعمل خيرنا فى كل وقت، وهو قوى تقبل المراجعة والتفكير والبحث والتطوير.

هنا إنكار الله بتعبيرات ضعيفة لا يسندها منطق ولا دليل ولا شبه دليل ما الذى يريده الكاتب من هذه العبارات؟ هل يريد أن يوحى إلى قارئيه بأن الكون الذى يعيش فيه ويعيش فيه الناس خلق هكذا دون خالق؟ وهل العقل الذى يمجده ويقول إنه هو الله الذى أوجد هذه المخلوقات كلها، وإذا كان العقل هو الموحد كما يقول فلماذا وجد عند قوم وكان ضعيفا ومعدوما عند آخرين.

وفي النهاية بدلا من الطعن دعا المفتي لصلاح الكاتب مصطفى محمود، قائلاً:

نسأل الله لهذا الكاتب وأمثاله الهداية والرجوع إلى الحق ـ فإن الرجوع إلى الحق فضيلة.. والله أعلم". [1]

وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أن رأيه الذي أعرَبَه في كتابه "الله والإنسان" لم يخرج عنه على وجه التعنت والإصرار، وإنما صدر منه على وجه سوء فهم دعاه إليه، ومن ثم تراجع مصطفى محمود عن آرائه الكثيرة من هذا الكتاب، وعندما سمحه الرئيس أنور السادات بإعادة طباعة الكتاب، لم يقم بطباعة الكتاب مرة ثانية وبد لا منه قام بطباعة كتابه الآخر ''حوار مع صديقي الملحد'' حيث دحض شبهات الملحدين وأثبت الدين الإسلامي الصحيح.

- **رأيهم في تفسير القرآن العصري:**

ينتمي مصطفى محمود إلى فترة كانت بداية حقيقية لانفجار مدرسة الإعجاز العلمي للقرآن، ويعتبر كتابه حول تفسير القرآن الكريم العصري، نقطة انطلاق فكري لهذه المدرسة. ولكن الكتاب أحدث ضجة إثر صدوره. وتوالت عليه وابل من الأسئلة. وكان أول هذه الأسئلة، هل يمتلك مصطفى محمود مؤهلات المفسر العصري للقرآن، وهو طبيب ومؤلف وكاتب صحفي ولم يدرس في الأزهر الشريف من قبل؟! وكان يجيب عليهم رغم أنه لم يكن من أصحاب العمائم ولم يدرس في الأزهر ولكنه يستطيع تفسير القرآن لا مؤهلات المفسر العصري للقرآن تقوم على أمرين؛ ويمتلكهما، حيث وهبه الله تلك الملكات والعلوم؛ أولهما أن يكون المفسر ملماً بحاجة العصر وثانيهما أن يكون عالما علما وافيا ودقيقا بحقيقة القرآن... [2]

وبالرغم من ذلك كثير الانتقاد على مصطفى محمود بسبب فكره المؤدي والمؤيد لتفسير القرآن العصري أو ما نسمّيه ''العلمي''. ومن أشد الهجمات جاءت من قبل عائشة بنت عبد الرحمن المعروفة بـ ''بنت الشاطئ''، والتي قدّم لها مصطفى محمود كتابه حول تفسير القرآن العصري، قبل إصداره، فاطمأنت فلم تقل شيئا سوى المدح

---

[1]- مذكرات الدكتور مصطفى محمود، حمدي، الحلقة السابعة، ''وثيقة التكفير''.

[2]- مذكرات، الحلقة الثانية والعشرون، ''الهجوم على تفسيري لـ ''القرآن'' لم يرهبني''.

والثناء على الكاتب والفكرة، وبعد أن صُدِر الكتاب، نكست وعارضته بشدة ولانتقاد لاذع في سلسلة مقالاتها المنشورة بانتظام في ''أهرام'' كل يوم الجمعة. ومن ردودها العنيفة، نذكر أهمها فيما يلي:

''الكلام عن التفسير العصري للقرآن يبدو في ظاهره منطقياً ومعقولاً يلقى إليه الناس أسماعهم ويبلغ منهم غاية الإقناع دون أن يلتفتوا إلى مزالقة الخطرة التي تمسخ العقيدة والعقل معاً وتختلط فيها المفاهيم وتتشابه السبل فتفضي إلى ضلال بعيدة إلا أن نعتصم بإيماننا وعقولنا لنميز هذا الخلط الماسخ لحرمة الدين المهين لمنطق العصر وكرامة العلم...'' [1]

وهنا تنطلق بنت الشاطئي كأنه أصبح مصطفى محمود عدواً للإسلام، ومن ثم تحذر الآخرين أن يقعوا فريسة فكره.

''الدعوة إلى فهم القرآن بتفسير عصري علمي على غير ما بينه نبي الإسلام تسوق إلى الإقناع بالفكرة السامة التي تنأى بأبناء العصر عن معجزة نبي أمي بعث في قوم أميين في عصر كان يركب الناقة والجمل لا المرسيدس والرولز رويس والبوينج وأبوللو... ويستضيء بالحطب لا بالكهرباء والنيون... ويستقى من نبع زمزم ومياه الآبار والأمطار لا من مصفاة الترشيح ومياه فيشى و مرطبات الكولا...'' [2]

كما جاء ردّها على فكرة الإعجاز العلمي في قوله تعالىٰ ''مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً'' [3] إذ يرى مصطفى محمود أن العم كشف مؤخراً أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن. وردّت على هذا التوضيع بنت الشاطئي قائلة:

''إن مصطفى محمود وقع في خطأ لايقع فيه المبتدؤن من طلاب اللغة العربية، فالقرآن في هذه الآية يجري على لغة العرب الذين أنثوا لفظ العنكبوت من قديم جاهليتهم

---

[1]- نقلاً عن نفس المصدر، نفس الحلقة.
[2]- نفس المصدر، نفس الحلقة.
[3]- نفس المصدر.

الوثنية كما أنثوا مفرد النمل والنحل والدود فلم يقولوا في الواحد منها نملة ونحلة ودودة وهو تأنيث لغوي لا علاقة له بالتأنيث البيولوجي كما توهم المفسر العصري، فأي عربي وثني من أجلاف البادية كان ينطقها هكذا، فأين الإعجاز العلمي في هذا الكلام''؟ [1]

هكذا استمرت الردود لمدة وانتهى الأمر بثبات الفكرة حول الإعجاز العلمي للقرآن، بعد ذلك، ورسخت مبادئ مدرسة الإعجاز العلمي للقرآن.

وبجانب آخر نقدم رأياً معاكساً لرأي بنت الشاطئ، وهو رأي الناقد حمدي، الذي يقول في هذا الخصوص:

''لم يتعمد الفارس المستمرد، فيلسوف الشرق الدكتور مصطفى محمود إحداث الضجة الإعلامية حوله من أجل الظهور على الساحة، ليصبح من المشاهير، كما قالوا عنه خلال الأزمة التي وقعت بعد صدور كتابه في تفسير القرآن، ولم يكن مجرد مفكر تأخذه شطحاته إلى الهلاك وتدخل به سراديب تغوص في ظلام الكفر والعلمانية كما قالوا عنه أيضا خلال تلك الفترة... بل هو مفكر أراد الخير لأمته الإسلامية وأراد أن تتوقف لتتأمل الخطر الذي تقبل عليه''. [2]

وعندما تحدث حمدي مع مصطفى محمود حول تلك الأزمة وحاول حفزه على استرجاعها بنفس الحماس الذي واجهها به وقتها، إذ قال:

''كثيرون هاجموني، وأخرجوا كتبا عديدة لمواجهتي، ولكنني كنت أقول دائماً أمام الجميع إن كل هذه الكتب التي خرجت ضدي لم تستطيع أن تحرك شعرة في رأسي، لأنه كما كان هناك معارضون كان هناك مؤيدون من كبار الأئمة والعلماء في مصر والعالم الإسلامي''. [3]

---

[1]- نقلاً عن مذكرات مصطفى محمود، حمدي، الحلقة الثانية والعشرون، ''الهجوم على تفسيري لـ ''القرآن'' لم يرهبني''.

[2]- نفس المصدر، نفس الحلقة.

[1]- نفس المصدر، نفس الحلقة.

هكذا بدأ مصطفى محمود بنظرية جديدة في تفسير كتاب الله الكريم، والتدبر في آياته مستفيداً من النظرية العلمية، ولكنها بدون تعميم الفكرة للقرآن بأكمله، بل اقتصرها على الآيات الكونية بالذات.

- **رأيهم في فلسفته:**

عُرف مصطفى محمود بين أوساط المفكرين ورجال الفكر كفيلسوف الشرق، وتحدث الناقد ''جلال العشري'' عن فلسفة مصطفى محمود في كتابه ''مصطفى محمود شاهد على عصره'' في أربع و عشرين صفحة. وأتى بنتيجة مهمة بأن فلسفته تدور حول طبيعة العالم الذي نعيش فيه، والكون، وقوانين الطبيعة، وقضية الخلود، والموت، والحياة، والإرادة، من خلال أسئلة كثيرة حولها. يقول الناقد جلال العشري:

''هذه الأسئلة وأمثالها هي التي عرضت لمصطفى محمود و تعرّض لها، شأنه شأن كثيرين من المفكرين والكتاب، غير أن مصطفى محمود له في الإجابة عليها محاولات لا تعدم الجدة والابتكار، ولا تخلو من الطرافة والأصالة''.[١]

خاض في التناقض الفلسفي فيما يتعلق بوجود الله تعالىٰ، إذ قال في كتابه ''الله والإنسان'': ''ولم أدرك أني اتناقض مع نفسي إذ اعترف بالخالق ثم أقول ومن خلق الخالق، فاجعل منه مخلوقاً في الوقت الذي أسميه فيه خالقا، وهي السَفْسَطَة بعينها''.[٢]

إلا أنه استدل بوجوده على وجوده سبحانه وتعالىٰ. وحاول الإجابة على وجود الله بعد أن تعرف على ''المعرفة'' وبه وصل إلى درجة اليقين وبوجده تعالىٰ، مع أنه لم ينف وجوده بل أخذه الشك فيه. وفي فلسفته جسما درسه جلال العشري ركز مصطفى محمود على الأخلاق الفاصلة، وتنبأ بموت إبليس بالسكتة القلبية ليعلن علو الشرف والفضيلة، ولأجل الحياة السعيدة. يقول جلال العشري:

''والذي يهمنا الآن، هو أنه إذا كان الفكر الفلسفي عند مصطفى محمود قد انتهى به إلى القضاء على ''الموت'' من أجل ''الحياة'' عبر طريق ''الحبّ''، وإلى إعلان

---

[٢]- مصطفى محمود، شاهد على عصره، جلال العشري، ص ٤٢-٤٣.

[٣]- نقلاً عن مصطفى محمود شاهد على عصرى، ص ٤٦.

موت إبليس من أجل الإشادة بوجود الله، عبر طريق ''الفضيلة''، فما السبيل أمام الإنسان كي يحيا مع الله؟!'' [١]

ويرى عبد الجبار دولة أنه تتلاقى الأمواج الكثيرة من الفكر والأدب والفلسفة والتصوف والعلم في عالم مصطفى محمود الفكرية.[٢] وإنه يجمع بين إحساس الأديب وإدراك الفيلسوف، وقد مزج هذين البعدين بأسلوب عصري فيه عمق الفكر ودفء العبارة وفيه البصر الذي يوحي بالبصيرة، والمادي الذي يؤدي إلى المعنوي، والعبارة التي تلتقي بالرؤية كأروع ما يكون اللقاء.[٣]

في حين وقف الناقد مأمون غريب وقفات طويلة لدى أفكار مصطفى محمود الفلسفية وأطلق عليه بفيلسوف الشرق. وأشار إلى فلسفته الشهيرة، وهي ''فلسفة القهر''. فلو اجتمعت سلطات العالم على قلب رجل واحد لما استطاعت أن تغيره كرها. ولا تستطيع وسائل الكبت والقمع أن تنزع ذرة كراهية من قلبه أو يبدل عواطفه قهراً. فهناك في أعمق الأعماق روح اعتقها الله من كل القيود لا سلطان لأحد عليها... ولهذا تعجز كل وسائل الإصلاح التي تعتمد على العنف والقهر والقوة. وتفشل النظم التي تحاول تغيير المجتمعات بالوسائل البوليسية والأساليب القهرية. وأما فلسفة الحبّ، فالحبّ يلعب دوره الرئيسي في الإصلاح وتبديل العواطف الإنسانية واستبدال الكراهية بالأمن والسلام، لأن الحبّ لايستخرج بالارغام، والشرف والنبل والإخلاص والرحمة والمودة لاتولد بالكرباج ولا تصنع بقرار وزاري، وإنما هي نبات رباني.[٤]

- **رأيهم العام في شخصيته وعمله وأفكاره:**

---

[١]- مصطفى محمود شاهد على عصره، ص ٦٥.

[٢]- صوت من الأعماق (من أفكار مصطفى محمود في العلم والسياسة والاجتماع)، عبد الجبار دولة، المقدمة، ص ٥.

[٣]- نفس المصدر، ص ١٢.

[١]- مصطفى محمود مفكراً إسلامياً، مامون غريب، ص ١٠٢-١٠٣.

- يقول الناقد جلال العشري إن الفكر عند مصطفى محمود كائن حيّ له يدان؛ يسراه العلم، ويمناه الفلسفة، أمـــــــا التصوف فهو قلب الطائر الخفاق''![1]
- ويضيف قائلاً: ''ومهما يكن من أمر الأفكار التي تشابهت مع أفكار مصطفى محمود، والأصداء التي ترددت في كتبه وكتاباته، فإن الذي لاشبهة فيه ولا شائبة، أن مؤلفاته ليست مجرد مرآة انعكست على صفحاتها قراءاته، وإنما هي قد اشتملت على الكثير من الخطرات الفلسفية، والمبادئ الأخلاقية، والنظرات الصوفية، هذا بالإضافة إلى الآراء التي يمكن أن يكون لها أثر في حياتنا الاجتماعية''.[2]

ويتلخص في نهاية الأمر بإطلاقه عليه كاتباً أصيلاً ومعاصراً بل شاهداً على عصره، ومن هنا يعنون كتابه بـ ''مصطفى محمود شاهد على عصره''.

- ويقول الناقد مأمون غريب: ''الدكتور مصطفى محمود كاتب متعدد المواهب، درس الطبّ وعشق الأدب، وأحبّ الفلسفة، وتعمق في التصوف، وهام حبا بالعلم، وجاءت مؤلفاته في مختلف فروعها تمس كل هذه الجوانب، ومن كان ثراؤه الفكري. وكتاباته الجرئية، وإيمانه بما يكتب جعل لهذه الكتابات مذاقا خاصا، كما أن أراءه أيّدها البعض، وعارضها البعض الآخر، والفكر الثري هو الذي يثير دائماً الحديث حوله لأنه فكر مؤثر فعّال''.[3]
- ويقول معجبا به وبأفكاره: ''واعتقد مخلصا أن أهمّ ما قدمه مصطفى محمود هو الجانب الفكري وهو يحدثنا من خلال فكر عالم، ورؤية فنّان عن العديد من القضايا الفسلفية والفكرية التي قد تفرض نفسها على العقل

---

[2]- مصطفى محمود شاهد على عصرى، جلال العشري، ص ١٩.
[3]- نفس المصدر، ص ١٥-١٦.
[1]- مصطفى محمود مفكراً إسلامياً، مامون غريب، تمهيد، ص ٣.

الإنساني ومحاولة وضع هذه القضايا موضع التحليل العميق، فإذا به يضع النقط فوق الحروف باجابات شافية يقبلها العقل ولا يرفضها المنطق''. [1]

- وقد كتب الدكتور غازي القصيبى كلمته الشهيرة ليعرب عن مدى إعجابه بمصطفى محمود وافتتانه بفكره وآرائه وأدبه بلغة شاعرية متدفقة:

أعجبت بكتابات هذا الرجل...

منذ أن كنتُ طالباً ناشئا في الجامعة – وكان هو ملء السمع والبصر...

كاتبا شهيراً ليسطّر المقالات،

ويدبّج الروايات،

ويجيب على رسائل القراء!

وكان، منذ أن بدأ مسيرته الفكرية، باحثاً عن الحقيقة... متلهفاً إلى الوصول إليها... أو إلى شيء منها...

وقاده بحثه إلى أكثر من منعطف،

وساقته مسيرته إلى أكثر من صحراء...

وأخيراً،

انتهى به بحثه في واحة الإيمان...

وروى قصة رحلته المثيرة، من الشك إلى الإيمان، بكل الصدق والشفافية...

وسرعان ما فاجأ الجميع بكتاب تضمن فهماً (عصرياً) للقرآن... أثار ثائرة المحافظين...

والليبراليين... وحتى أكثر أصدقائه القدامى... وكلّ أصدقائه الجدد...!

على أنه ظلّ في مسجده – الذي تحوّل إلى صومعته...

يكتب ما يبدو له حقاً،

---

[2]- نفس المصدر، ص ١١.

غيراً به بالجدل الذي أثاره ويثيره حوله الكتاب...

وكان الكتاب يثير الكثير من الجدل...!

كائناً ما كان رأينا في مصطفى محمود ... فقد قذف كرة في بحيرة كانت راكدة...

وظلّ مخلصاً للحقيقة...

وفيّاً لها...

شهيداً من شهدائها...

مصطفى محمود،

شكراً جزيلاً ... ![1]

وفي هذه الأبيات القصيرة دوّن غازي القُصَيْبِي ترجمة مصطفى محمود ورحلته من الشك إلى الإيمان، وما لقى من أزمات وانتقادات وحبّ وتكريم، وما قام به من أعمال، وأفكار مثيرة للجدل، وكيف قذف الكرة في البحيرة التي كانت راكدة ليبث الأمل، والتساؤل، وحبّ الاستطلاع بين المجتمع المسلم.

وفي هذا العدد الممتاز الصادر من قبل مجلة الجزيرة الثقافية نجد العديدين من الكتاب والصحفيين والكتاب الذين أبدأوا آرائهم ودوّنوا انطباعاتهم فيما يتعلق بشخصية مصطفى محمود وآرائه وأفكاره وأعماله لا حاجة إلى إحصائها، فإن في هذا القليل لكفاية للاستنتاج على عقليته وأفكاره ونزعته ونظرياته.

ونريد هنا أن نذكر إجابة مصطفى محمود لسؤال طرحه عليه محمود فوزي، وهو:

''د.مصطفى محمود ... بعد هذه التجربة العريضة الثرية... كاتباً ومفكراً وعالماً... ما هي الحكمة التي تؤمن بها؟''

فردّ عليه مصطفى محمود قائلاً:

---

[1]- الملف الخاص حول مصطفى محمود الصادر من قبل مجلة الجزيرة الثقافية، يوم الاثنين، ٤ رجب، ١٤٢٩، رقم الحدد: ٢٥٤/الموافق ٢٠٠٨/٧/٧م. كما تم نشر الإصدار من خلال موقعها الثقافي: (http://www.aljazirah.com.sa/culture/2008/07072008/speuss5.htm)

''لقد مررتُ بمراحل كثيرة في حياتي... والآن لا أريد شيئاً ... فلو قلت لي ماذا تريد؟ ... أو ماذا تؤد أن تقابل الله سبحانه وتعالى فبماذا تقابل؟ وبأيه صفة؟ فأنا لا أريد أن أقابل الله بصفة الفنان أو الصحفي أو المؤلف أو المفكر... لكن أريد أن التقى بوجهه عزوجل كجندي من جنود كلمة لا إله إلا الله ... كخادم لكلمة لا إله إلا الله ... وأن يتقبلني إنه الغفور الرحيم''.[١]

وربّما لا يخلو من فائدة رأي مصطفى محمود في نفسه، عند ما سأله محمود فوزي: د.مصطفى محمود! كيف يرى مصطفى محمود؟ فقال: ''أنا لما أقرأ لنفسي أحسّ أنني ينقصني أشياء كثيرة جداً وأتمنى لو أنني أستطيع أن أكتب وأن أعيد ما كتبته مرة ثانية. وأنا اعتبر كتبى هي تنفسي عبر هذا العمر... هي الرئة التي أتنفس بها فعلاً ... وكل الذي كتبته في مراحل عمري كله تستطيع أن تقول إنها ممثلة في كتبي''.[٢]

وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على أنه لو سنحت له فرصة لإعادة كتاباته لراجع عن بعض أفكاره الأخرى، كما راجع عن بعضها، و يمكن أيضا أن يقوم ببعض الإضافات القيمة في ضخم أفكاره، كما لايستبعد أن يقوم بإثارة ضجات فكرية أخرى والخوض في أزمات جديدة. اللهم إلّا أن آراء مصطفى محمود وأفكاره جريئة للغاية، وأنه كان مخلصا فيما يقول أو يفكر، لا يعرف النفاق، وأنه لم يعرف طول حياته حيادة فكرية، وإنما جاءت أفكاره كلها نابغة من أعماق قلبه ومما سولت له هواجسه الفكرية ومهدت له الطريق مكوناته العقلية والدليل الرئيسي على إخلاصه هو عدم انتمائه الحزبي أو المدرسي، بالرغم من أن الفترة التي عاشها اتسمت بالحيادة الفكرية والانتماء الحزبي، وكما شهدت الفترة بالانتماء السياسي والفكري إلى اليسار والمنهج النقدي الماركسي، وحوّل جمال عبد الناصر هيكل قبلة مصر إلى الشيوعية أو إلى الفكر الماركسي، وحاول أعلام اليسار المصريين أن يقوموا باختطاف مصطفى محمود فكرياً، خاصة إثر إصداره كتابه الأول ''الله والإنسان''، وعندما نشر قصة

---

[١]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحقلة التاسعة والعشرون والأخيرة، ص ٩٩.

[١]- اعترافات مصطفى محمود مع محمود فوزي، الحلقة الثامنة والعشرون، ص ٩٥.

رجل ذبال، كادوا أن يحملوه على عرش المدح والثناء، ويبحثون في داخله روح خرتشوف أو ماركس عادت من جديد في مصر، ولكنه دحض شبهات الشيوعيين على رؤوس الأشهاد، وفنّد مناهجهم الفكرية، واستقل بفكره ومنهجه الذي اعتنقه بعد دراسة وقراءة متأنيتين، ليصبح حقاً فيلسوف الشرق وشاهداً على العصر.

***

نتائج البحث.

هكذا وصلنا إلى نهاية المطاف، بعد دراسة متأنية للمواد المتاحة حول شخصية مصطفى وأعماله، وتطوراته الفكرية من طور إلى آخر، ومن مرحلة إلى أخرى، وبسطنا القول في أربعة أبواب، وقسمنا كل باب إلى فصول، وقد تشير هذه البيانات إلى بعض النتائج الحاسمة، والتي نود الإشارة إليها في خاتمة البحث في نقاط حسب ترتيب الأبواب والفصول:

- وإن دراسة عابرة لأعمال مصطفى محمود المتنوعة توحي إلى الباحث بأنه عاش طول حياته في بيئة سياسية و اجتماعية وثقافية بحيث يجده في دوّامة الأفكار المتنوعة التي تتنوع بتنوع الظروف وتتغير بتتغير الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية لمصر.

- تعدّ شخصية مصطفى محمود علامة فارقة في تاريخ تشكيل العقل المصري بل العقل العربي إلى حسد كبير، حيث ساهم بغزارة علمته وسعة إطلاعه وتنوع ثقافته في إثراء الحياة الفكرية في مصر على وجه خاص وفي العالم العربي على وجه عام في العصر الذى عاشه وماتلاه.

- ينقسم عصره إلى أربعة عصور؛ عصر الطفولة والبلوغ (عصر الملوك)، وعصر الشباب والكهولة (عصر جمال عبد الناصر)، وعصر الكهولة والشيخوخة (عصر السادات)، وعصر الشيخوخة (عصر حسني مبارك). وفي هذه العصور قطع مصطفى محمود مشوار حياته المختلفة منذ طفولته حتى وفاته عام ٢٠٠٩م، وبعد ثلاث سنوات عن وفاته تمت تنحية حسني مبارك عن الحكم المصري.

- وقد توصلنا إلى نتيجة أنه أثرت في نشوءه عوامل شتى من العوامل النفسية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية، والاجتماعية، ووجدناها أنها أثرت في شخصية مصطفى محمود، ووجهت أنماط أفكاره، و إن تختلف فترة هيمنتها وتتنوع أساليبها،

إلا أنه من بصيرة النافذة البراقة ووعيه التام حتى لم يدع لأي تيار أو اتجاه معين يظل جاثماً، ومن ثم جعل يتراوح بين أفكار كثيرة، لايعكف على مذهب معين، بل تتغير وجهة نظره مع كل اكتشاف، ولم يخضع لأي اتجاه خاص في حياته ومن ثم في شبابه وكهولته أصبح عدواً لليسار واليمين معاً، ولكننا نرى أن البعد عن الثقافة الدينية المستقاة من الكتاب والسنة والغلو في التفكير بعض الأحيان أدى إلى اضطرابات فكرية وذاق ويلاتها ومُرارتها غير مرة في حياته.

- وكل ما كتبه يعدّ إحساسًا عميقا بالعصر الذي عاش فيه، وتحليلا حافلا بالآراء حول طبيعة ذاك العصر. وتبدو عليها الاهتمامات الفكرية المعاصرة بشكل ملموس. وربما لا نبالغ عندما نقول إن الجانب الفكري هو إبرز جوانب كتاباته.

- الحلم والخيال والأساطير من المكونات الفكرية الرئيسية التي بذرت بذور التفكير والسبح في فضاء الفكر الرحيب منذ صباه الباكر. ومع مضى الوقت دخل مصطفى محمود في مرحلة أخرى من حياته واستهوته علوم الكيمياء، والفلك الطبيعة، وعندما دخل المرحلة الثانوية من دراسته بدأت الموهبة الفكرية تترشح منه.

- ويكون من أبرز النقاط في هذا الخصوص نوعية الشك الذي اعتراه في هذه المرحلة. معظم الناس يعتقدون أنه كان يشك في وجود الله تعالى، وانكر وجوده سبحانه وتعالى. إلا أنه صرّح بأنه لم يشك في ذاته سبحانه وتعالى أو في وجوده. فلم يشك في وجود الله تعالى على ما يقول إنما ترجع نوعية الشك في مسأله القضاء والقدر، والجبر والاختيار، والجنة والنار، وكيفية الخلود وشكله ومظهره...

- وبالوقوف لدى تقييم أفكار مصطفى محمود فيما يخص بمجالات علمية وأكاديمية وسياسية واجتماعية وأخرى خيرية، توصلنا إلى نتيجة أنه تتميز أفكاره بالحداثة والجدة، والعلمية، والطرافة، والاندهامش، كما تتموج بهاجس فكري عميق، ومشاعر نبيلة، وقد تشكو من تسرع الحكم والوصول إلى النتائج، كما بالإضافة إلى تناقض الآراء في بعض القضايا خاصة السياسية منها. اللهم إلا أنه أعاد النظر في عديد من أفكاره وتراجع عنها، واشتهر بنقد الذات بخصوصه. وبالإضافة إلى شائعة

الموت هناك نوع آخر من الشائعات؛ شائعة تشوّه سمعته، منها شائعة التلوث العقلى وشائعة الردة الدينية، ونوع يضيف قدره ومكانته وهو كونه عاملا كخادم للكعبة المشرفة والقيام بخدمة الحجاج، ونوع آخر من الشائعات لحقته بآخر أيامه، وهو شائعة علاقته بالجن. وعلى هذا يمكننا تقسيم الشائعات إلى أنواع ثلاثة:

- شائعة عادية تتعلق بموته في وقت ما.
- شائعتان تشوهان سمعته.
- شائعة تضيفه قيمة وتدينا وعلاقة بالله.
- شائعة تضيفه قيمة في تقديم العون للآخرين بمساعدة الجن، والعلاقة بهم.

- إنه قطع شوطا كبيراً ومدة طويلة نحو ثلاثين عاما لرحلته بين الشك والإيمان، متردداً بين الإيمان والشك، ثم الشك والإيمان، حائراً بين نداء الفطرة الملحّ ونداء التيارات الفكرية التائهة... ولكن وجد المنهج الشكي المادي عاجزاً عن تفسير الحياة والموت فلجأ للفلسفة فوجدها في حاجة لفلسفة أخرى تعينها؛ فقرأ في الأديان السماوية وغير السماوية إلى أن وجد الكمال في القرآن. والملاحظ في رحلته بين الشك والإيمان لم ينكر وجود الإله بقدر محاولة الوصول إليه بعقله.

- كان يتصور أن العلم يمكن أن يجيب على كل شيء، وعندما خاب ظنه مع العلم، أخذ يبحث في الأديان، بدء بالديانات السماوية وانتهى بالأديان الأرضية ولم يجد في النهاية سوى القرآن الكريم.

- إنه كان مفكراً إيجابياً وعلمياً غير منحاز إلى طائفة مثقفة أو بل من أبرز خصائصه أنه لم يكن منتميا إلى إتجاه فكري أو أدبي معين أو مدرسة فكرية، وكان دائماً يتراجع بعد التفكير عن آرائه أو أفكاره المسبقة.

- من أهم عناصر التكوين الفكري المؤثرة في شخصية مصطفى محمود تتمثل في حالته البدنية، وصحته، وحلمه، وخياله، وحبّه للأساطير، وحكايته مع إمام المسجد الشيخ محمود، الذي بذر بذوة الشك الأولى داخل نفسه، وطبيعته الفكرية، وميوله العلمية، ودراسته للطب وشدة تعلقه بعلم التشريح والوقوف الطويل أمام الجثث في

المشرحة والتفكير في حقيقة الموت والتأمل في الكون، والخوض في التساؤلات المعروفة لديه المتمثلة في ''من أين'' و ''إلى أين'' ثم ظاهرة الإلحاد والميمنة العلمية، والتيار المادي من الشيوعية، والعلمانية والوجودية، وحبّ الاستطلاع والاكتشاف ومحاولة تفسير الحياة، والغيب، وهاجس التفكير غير المنجاز إلى اتجاه أو مذهب معين... و كل هذا جعل من داخل شخصية ذات أبعاد متنوعة.

- تدل كتابات مصطفى محمود على أنه كان رجل العقل والمنطق وشديدا بتمسكه بالمنهج العلمي ومن ثم استمر البحث عن الإجابة لتساؤلات حول الحياة والموت، وبناءاً على هذا شهد تقلبات عديدة ومنعطاف كثيرة في حياته الفكرية وعاش عدة مراحل من أنماط عقلية واتجاهات متنوعة وهي تتواجد شائعة في كتبه، ودراساته ومقالاته، وقصصه القصيرة، ورواياته، ومذكراته واعترافاته مع الآخرين. ومن خلال تصريحاته عرفنا كثرة تحولاته فيما يرى ويفكر حول حقيقة الحياة والموت منذ طفولته حتى آخر لحظاته من العمر. قد يمكننا متابعة تحولاته الفكرية وتطور أفكاره على مر السنين في الفترات التالية:

فترة التدين التقليدي

فترة الشك:

و يمكننا تقسيم هذه الفترة منذ صدور كتابه ''الله والإنسان'' إلى أربع مراحل على النحو التالي:

١- مرحلة المادية العلمانية

٢- مرحلة التذبذب وعدم الاستقرار

٣- مرحلة الطبيعة

٤- المرحلة التعليمية

٥- المرحلة الأدبية

فترة الإيمان:

عاش مصطفى محمود منذ صباه المبكر كمفكر ورجل المنطق، له آراء وخواطر حول مسار الحياة الإنسانية وجوانبها الشتى خاصبة فيما يتعلق بالعلم والسياسة والاجتماع إضافة إلى الفكر الديني والتصوف. فقد مثّل علامة فارقة في تاريخ الأدب والثقافة والسياسة، فهو كمفكر وكاتب وأديب وفيلسوف وطبيب وفنان مصري ترك وراءه كمية هائلة من الآراء والأفكار حول معترك الحياة.

- إن أفكار مصطفى محمود نابع عن قريحته الفكرية المستنيرة ومنهجه الخاص الجامع بين العلم والمعرفة والمادية وغيرها من مقدمات تكوينه الفكري. ولكن هناك بعض أفكاره التي ظلت مثاراً للجدل بل أثارت بعضها ضجة بين المجتمع المسلم، حتى في المجتمع العلماني، سوف نبحث ونناقش عنها فيما تأتي من الصفحات لدى تقييم أفكاره.

- ومن خلال قراءتنا العابرة لكتابات مصطفى محمود وما كتبه الآخرون عنه وجدنا كلمات كثيرة تدل على نبوغه الفكري أو ممارسته للفكر والتفكير، والأفكار، والآراء، والثنبوءات بخصوصه... وإن دلّ هذا شيء فإنما يدل على خوض مصطفى محمود في القضايا الفكرية والممارسة العقلية أكثر بكثير بالنسبة للآخرين من معاصريه. فقد كثر استخدام هذه الكلمات بخصوصه. ومن ثم اشتهر مصطفى محمود كمفكر، بالرغم من وجود الانتقادات ضده في هذا المضمار وتعثراته وزلاته الفكرية في بعض المواطن. فشهرة مصطفى محمود قائمة بسبب طريقته الفكرية. خاصة فيما يتعلق بأفكاره المثيرة الجدل والنقاش بين العلماء والأدباء والمفكرين من المجتمع العربي على وجه عام ومن المجتمع العربي المصري على وجه خاص،

- إن بعض أفكار مصطفى محمود أثارت ضجة كبيرة بين الأوساط العلمية والعامة في المجتمع المصري على وجه خاص وفي المجتمع العربي الإسلامي على وجه عام، حتى جاءت ردود كثيرة تحولت إلى شكل الكتب خاصة بعد أن كتب ''الله والإنسان''، و''الشفاعة'' وكتبه ومقالاته حول القرآن الكريم وتفسيره العصري والنفسي.

- في ضوء ما تقدم في بيان تقييم أفكاره حول التفسير العصري للقرآن، توصلنا إلى نتيجة أنها تمثل فكرة حريئة بالبحث عنها، مع مراعاة التحري وعدم الاجتراء والنيل من السلف، بل بطريقة علمية وبتقدير واحترام للجميع، وأن الأفكار ناشئةمن صميم غيرته الدينية، ولا يخلوا الكتاب من زلات وأخطاء، إلا أن الفكرة جميلة ورائعة.

- وكان من ديدن مصطفى محمود الفكرية أنه لم يقبل الدين بالوراثة، بل أراد أن يبحث ويكتشف ويفكر ويخرج بنتائج جديدة لم يأت بها الآخرون من قبل، وما لبث مصطفى محمود أن خاض في قضية ''الشفاعة'' انطلاقاً من أنها تكوّن صورة الاتكالية عند المسلمين بل رأى في هذه العقيدة منتهى الاتكالية وإباحة ارتكاب المعاصي. اتخذ موقفاً مختلفاً من قضية شفاعة الرسول للمذنبين عن الآخرين. وقام باجتهاد في القضية ووصل بعد الاجتهاد إلى أن الشفاعة ليست مباحة للجميع وهناك شروط لتطبيقها. ومنها أن الله يعطيها لمن يشاء وينزعها ممن يشاء وأن الرسول – ﷺ – سيشفع، إلا أنه لا يكون بيع المتشفع لهم زانٍ أو قاتل أو سارق (أى مرتكبي الكبائر). وذهب معظم النقاد أنه أنكر الشفاعة للرسول، مع أنه ظل يصرّ بعدم إنكار الشفاعة.

- ومن أهم أفكاره فيما يتعلق بتطبيق الشريعة أن التطبيق لا يتحقق على الفور، بل التطبيق يتحقق بتطبيق المرء المسلم الشريعة على نفسه، خاصة بعد التحلى بأخلاقيات الإسلام.ويرى أن أن مطالبة تطبيق الشريعة للتوّ، كلياً مضادة للروح الإسلامي، وإنما تتحقق الشريعة بالتدريج.

- كما وصلنا إلى نتجية مهمة من خلال كتابات مصطفى محمود بأن باب الاجتهاد مفتوح للجميع، فهل يجوز الاجتهاد في الشريعة كل من هبّ ودبّ من المستفيض، وبالرغم من عدم معرفتهم للقواعد المعلومة على وجه بديهى من الشرع؟ لابدّ من أن يكون المجتهد السياسي هذا أن يجمع بين الفقه القانوني والفقه الشرعي ومن ثم يتخول له حق الاجتهاد. فإذا كان احتراف السياسة لايجوز فالأولى أن لا يجوز احتراف الاجتهاد.

- سار مصطفى محمود على دروب فكرية وسطية تؤكد أن الإسلام منهج يشدد على التوازن بين الفرد والجماعة، فلا يهدف إلى تذويب الأفراد في الجماعة كما في الاشتراكية وأخواتها، ولا إلى التضحية بالجماعة لصالح شرذمة قليلين من الأفراد كما في الفكر الرأسمالي.

- يمكننا تقسيم الشائعات إلى أنواع ثلاثة: شائعة عادية تتعلق بموته في وقت ما، و شائعتان تشوهان سمعته؛ وهما شائعتا التلوث العقلي، و الردة واعتناقه للديانة المسيحية، و شائعة تضيفه قيمة وتدينا وعلاقة بالله؛ شائعة العمل كخادم بجوار الكعبة ومعيشة صوفية، و شائعة تضيفه قيمة في تقديم العون للآخرين بمساعدة الجن، والعلاقة بهم. فمن هذه الشائعات مايضيفه قدرا و احتراماً ومكاناً، ومنها مايشوّه سمعته وينال من عرضه. وظهرت هذه الشائعات على مدى السنين في مراحل مختلفة من حياته.

- يشكو مصطفى محمود غير مرة من أنه لا حاجة إلى التكلم في القضايا الدينية. وينتقد على الذين يرون أن حق التكلم في المسائل الدينية لرجال الدين أو متخرجي الأزهر فقط. إنه انتقد في مواضع كثيرة على مصطلح رجال الدين.

- وقد وصلنا إلى نقطة مهمة من خلال كتاباته في غير موضع أنه لو سنحت له فرصة لإعادة كتاباته لراجع عن بعض أفكاره الأخرى، كما راجع عن بعضها، كما يمكن بعض الإضافات القيمة في ضخم أفكاره، كما لايستبعد أن يقوم بإثارة ضجات فكرية أخرى والخوض في أزمات جديدة. اللهم إلّا أن آراء مصطفى محمود وأفكاره

جريئة للغاية، وأنه كان مخلصا فيما يقول أو يفكر، لا يعرف النفاق، وأنه لم يعرف طول حياته حيادة فكرية، وإنما جاءت أفكاره كلها نابغة من أعماق قلبه ومما سولت له هواجسه الفكرية ومهدت له الطريق مكوناته العقلية والدليل الرئيسي على إخلاصه هو عدم انتمائه الحزبي أو المدرسي، بالرغم من أن الفترة التي عاشها اتسمت بالحيادة الفكرية والانتماء الحزبي، وكما شهدت الفترة بالانتماء السياسي والفكري إلى اليسار والمنهج النقدي الماركسي، وحوّل جمال عبد الناصر هيكل قبلة مصر إلى الشيوعية أو إلى الفكر الماركسي، وحاول أعلام اليسار المصريين أن يقوموا باختطاف مصطفى محمود فكرياً، خاصة إثر إصداره كتابه الأول ''الله والإنسان''، وعندما نشر قصة رجل ذبال، كادوا أن يحملوه على عرش المدح والثناء، ويبحثون في داخله روح خرتشوف أو ماركس عادت من جديد في مصر، ولكنه دحض شبهات الشيوعيين على رؤوس الأشهاد، وفنّد مناهجهم الفكرية، واستقل بفكره ومنهجه الذي اعتنقه بعد دراسة وقراءة متأنيتين، ليصبح حقاً فيلسوف الشرق وشاهداً على العصر.

هذه هي نتائج مهمة استخلصناها من الأبواب الأربعة وفصولها الشتى، وهذه النتائج تساعدنا في فهم مصطفى محمود، وأفكاره، وتراثه، وأعماله.

وأخيرا ندعو الله على توفيقه لإنجاز هذا البحث المتواضع، ولايفوتنا أن نشير إلى أننا لاندعي بأننا وُفقنا في كتابة هذا البحث، وأنها كاملا، لايأتيه النقصان، فقد أبى الله إلا أن ينفرد بالكمال، ولم يبرأ أحد من النقصان، فالحمد لله رب العالمين، ونطلب منه السداد في كل حين وآن.

معراج أحمد
جامعة جواهر لال نهرو
نيو دلهي - الهند

فهرس المصادر والمراجع

الف: الكتب

تفاصيل الكتاب والنشر

أحمد حسين، موسوعة تاريخ مصر، الجزء الثاني والثالث، مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ب.ت.

أحمد محمد مسعد حسين، عرابه، دراسة في الأوضاع السياسية والاقتصادية، والاجتماعية (١٨٠٤-١٩١٨)، رسالة قدمت للحصول على درجة الماجستير في التاريخ بكلية الدراسات العليا بجامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ٢٠١٠م.

جلال العشري، مصطفى محمود شاهد على عصره، الطبعة الخامسة، دار المعارف، مصر، ١٩٨٩م

جماعة من الكتاب، الملف الخاص حول مصطفى محمود الصادر من قبل مجلة الجزيرة الثقافية، في يوم الإثنين، ٢٠٠٨/٧/٧م، العدد: ٢٥٤. عدد ممتاز.

جمال الدين محمد سعيد، الاشتراكية العربية ومكانتها في النظم الاقتصادية، قسم الاقتصاد بكلية التجارة، جامعة عين شمس، مصر (ب.ت.)

حمدي (جمع وتقديم)، مذكرات مصطفى محمود (في حلقات عديدة)، تم نشرها على موقع منتديات المنار التعليمية، يمكن الإطلاع عليها وتحميلها انطلاقا من الموقع الألكتروني التالي: http://www:manar 9.com/ t2660- topic#ixzz3cQKL9ch

د. عبدالله عبدالرزاق إبراهيم، و شوقي الجمل، تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م.

د. عبدالمتعال الجبري، شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٧٦م.

عبدالجبار دولة، صوت من الأعماق، من أفكار الدكتور مصطفى محمود في العلم والسياسة والاجتماع، الطبعة الأولى، دار وحي القلم، ٢٠١٥م.

مأمون غريب، مصطفى محمود مفكراً إسلاميا، دار الفيصل للتأليف والترجمة والنشر،مصر .ب.ت. النسخة الإلكترونية متاحة على الرابط التالي:
(www.books4all.net)

محمود فوزي، اعترافات مصطفى محمود، الطبعة الأولى، دار النشر هاتييه، مصر، ب.ت.

مصطفى محمود، ٥٥ مشكلة حب، الطبعة السابعة، دار المعارف، مصر، ١٩٩٧م.

مصطفى محمود، أكل عيش (مجموعة قصصية)، مقدمة للناقد جلال العشري، ب. ط. دار المعارف، مصر، ١٩٥٣-١٩٥٤م.

مصطفى محمود، الشفاعة محاولة لفهم الخلاف القديم بين المؤيدين والمعارضين، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، رئيس التحرير: نبيل أباظة، يوليو، ١٩٩٩م.

مصطفى محمود، الشيطان يسكن في بيت، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٣م.

مصطفى محمود، العنكبوت، الطبعة الثامنة، دار المعارف، مصر، ب.ت.

مصطفى محمود، الله والإنسان، دار الجمهورية، مصر، ١٩٥٧م.

مصطفى محمود، الماركسية والإسلام، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٥م.

مصطفى محمود، المسيخ الدجال، (رواية سياسية)، منشورة من خلال مدونة مصطفى محمود الشخصية، على الرابط التالي:

http:// dmostafamachmoud.blogspot.in/2012/10/blog-post_6736html

مصطفى محمود، جهنم الصغرى، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٨٢م.

مصطفى محمود، حكايات مسافر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٩٣م. والكتاب متاح على موقع:

www.alkottob.com

مصطفى محمود، حوار مع صديقي الملحد، النسخة الإلكترونية، قام بنسخه

إلكترونيا حطين، أميرة الجلباب، والكتاب متاح على موقع:

www.alkottob.com

مصطفى محمود، رأيت الله، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٣م.

مصطفى محمود، رحلتي من الشك إلى الإيمان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٦م.

مصطفى محمود، شلة الأنس، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، مصر،١٩٦٤م.

مصطفى محمود، عصر القرود (رواية)، الطبعة الخامسة، دار المعارف، مصر، ب.ت.

مصطفى محمود، عصر القرود، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٢م

مصطفى محمود، عظماء الدنيا وعظماء الآخرة، الطبعة السادسة، مطبوعات أخبار اليوم، قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، مصر، ١٩٩٦م.

مصطفى محمود، لغز الحياة، دار أخبار اليوم، قطاع الثقافة، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢م.

مصطفى محمود، لماذا رفضت الماركسية؟، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٤م.

مصطفى محمود، من أسرار القرآن، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ب.ت/ الطبعة الأولى ١٩٧٧م.

مصطفى محمود، هل هو عصر الجنون، أخبار اليوم، قطاع الثقافة والكتب والمكتبات، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨م.

ب: مقالات:

نوعية	تفاصيل المقال والنشر
انطباع	أيمن يحيى، مصطفى محمود" ... الذكري الدائمة، انطباع منشور في" المصري اليوم" مؤرخاً: ٢٠٠٩/١٢/٩م. ومتواجد على مدونة مصطفى محمود: http://mostafamahmoudmosque.com/?page_id=97
ترجمة	مصطفى محمود، سيرته الذاتية بقلمه، منشورة على الانترنت، يمكن الإطلاع عليها من خلال الرابط التالي: http://www.hrddiscussion.com/hr7249.html#sthash.Br0FVOPN.dpuf.
ترجمة	غازي القصيبي، العدد الممتازحول شخصية مصطفى محمود، لصحيفة الجزة الثقافية ، ٤/رجب١٤٢٩/٧/٧/٢٠٠٧م، رقم العدد: ٢٥٤، يوم الإثنين على الرابط التالي: http:// www.al-jazeerah.com.sa/culture/2008/07/072008/speuss5.htm.
ترجمة	أمل بنت مصطفى محمود، صحيفة "كلمة " الجزيرة الثقافية ٤ رجب ١٤٢٩من الهجرة رقم العدد ٢٥٤.
تقرير	عربية نت أعده فراج إسماعيل من دبي بعنوان "صديقة للدكتورمصطفى محمود تكشف سراختفائه .. وفقدان ذاكرته .. بتاريخ ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٨ من الهجرة، ط. ٠٨ إبريل ٢٠٠٧م وللإطلاع لى التقرير راجع إلى الرابط التالي: http://www.alarabiya.net/articles/2007/04/08/33315
تقرير	الصراع على امبراطورية مصطفى محمود الخيرية من خلال الرابطا لتالي: http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Senal=8755eid
مقال	المؤامرة، مصطفى محمود ١٧-٠٤-١٩٨٤ نشرعلى المدونة مستفيدا من موقع جمعية مسجد محمود، راجع إلى الرابط التالي: http://dmostafamahmoud.blogspot.in/2010/04/blog-post_773.html
مقال	مصطفى محمود، لا للتطبيع ... ألف مرة ، مدونة مصطفى محمود، راجع إلى الرابط التالي :-http://dmostafamahmoud .blogspot.in/2010/04blog-post 733.html
مقال	مصطفى محمود، الشيوعيون الجدد ... وكيف يعملون ، تم نشره على مدونة مصطفى محمود على الرابط التالي : Http://dmostafamahmoud.blogspot.in2010/10/blog-post-4074.html

مقال مصطفى محمود: شكرا، مجلة الشباب، العدد ٣٥٤، ص ١٠-١٢، الصادر في ١ نوفمبر ٢٠٠٦م.

مقال مصطفى محمود ، أهل الله وأهل الشيطان، تم نشره مؤخرا على مدونة مصطفى محمود على الرابط التالي :

Http://dmostafamahmoud.blogspot.in2010/10/blog-post-7489.html

مقال مصطفى محمود ، الحكم الإسلامي ..متى ..وكيف؟ : كتبه بتاريخ ١٩٧٩/١٠/٢١ م وتم نشره عام ٢٠١٠ على موقع مدونة مصطفى محمودعلى الرابط التالي:
Http://dmostafamahmoud.blogspot.in2010/10/blog-post-8060.html

مقال عادل عبدالرحيم، مصطفى محمود... رحلة العلم والإيمان والإلحاد وفضح إسرائيل وأمريكا ، موقع البوابة نيوز، تم آخر تحديث: يوم الجمعة، مؤرخا: ٢٧-١٢-٢٠١٣م، يمكن الإطلاع على المقال فى خلال الرابط التالي
http://www.albawabhnews.com/point/aspx?id=293018

مقال سلوى ياسين-الإسماعيلية، علامة فارقة في تاريخ الإنسانية، المصري اليوم، عدد يوم الأربعاء، ٩ ديسمبر ٢٠٠٩م، العدد: ٢٠٠٥، رابط النسخة الإلكترونية:

http://today.almasryalyoum.com/article2.aspx?ArticleID=236037&IssueID=1614

مقال د. عطيات أبوالعينين، مثلث العلامة مصطفى محمود ، والمقال منشورفي العدد الممتازلصحيفة الجزيرة ٤رجب١٤٢٩رقم العدد٢٥٤.

مقال حمد حسين مبارك ، " شخصيات مصرية" منشور على مدونة الكاتب، يمكن الإطلاع عليه من خلال الرابط التالي:

http://www.egyptiancharacters.ml/2015/04/blog

مقال .د. سيّار الجميل، رؤية من الشاطئ الآخر.. مكوّنات مصطفى محمود الجميلة، منشور على صحيفة الجزيرة الثقافية، يكمن العثور على المقال الكامل انطلاقا من الرابط التالي:

http://www.aljazirah.com.sa/culture/2008/07072008/speuss23.htm

مقال " محمد أنور السادات" مقال منشور على موقع صحيفة الأهرام الرقمية ، من خلال الرابط التالي:

http:tt// digitalachram.org eg/articles.aspx? serial= 6363.55eid=264

مقال " تاريخ مصر الحديث" (التاريخ المصري الحديث من عهد محمد علي وحتى الآن، منشور على موقع أبناء شباس عمير، يمكن الإطلاع عليه من خلال الرابط التالي:

http://www.egypty.com/egyptana/egyptian_%20modern_%20history.asp

مقال " إنه مصطفى محمود"، الانتصار سليمان- مصطفى سليمان، الصادر في مجلة الشباب، عدد ٣٥٢، بتاريخ ١-١١-٢٠٠٦م، مصر.

ج: المواقع والمدونات الثقافية:

http://www.aljazirah.com.sa/culture/2008/07072008/speu553.htm
www.rapidshare.com (science and faith serial)
www.Youtube.com (science and faith serial)
http://rapidshare.com/files/84398415/054s
http://dmostafamahmoud.blogspot.in/2010/05/blog-post21.html
http://dmostafamahmaoud.blogspot.in/2010/10/blog-post_8525html
http://www.faresacd.com/2015/05K

قائمة المحتويات

المحتويات	الصفحات
مقدمة	١-٩
الباب الأول: مصطفى محمود: عصره وشخصيته وتكوينه الثقافي	١٠- ٥٧
الفصل الأول: عصر مصطفى محمود	١١
الفصل الثاني: حياة مصطفى محمود وشخصيته	٣١
الفصل الثالث: التكوين الثقافي وعوامله	٤٥
الباب الثاني : أعمال مصطفى محمود وانجازاته الكتابية والإعلامية والخيرية	٥٨- ١١٢
الفصل الأول: أعمال مصطفى محمود الكتابية	٦١
الفصل الثاني: أعمال مصطفى محمود الإعلامية؛ الصحافية والتلفزيونية	٨٣
الفصل الثالث: أعمال مصطفى محمود الخيرية	١٠٤
الباب الثالث: تطور أفكار مصطفى محمود	١١٣- ١٦٦
الفصل الأول: تكوين مصطفى محمود الفكري ومؤثراته	١١٤
الفصل الثاني: تطور أفكار مصطفى محمود ومراحلها	١٢٧
الفصل الثالث: نماذج من أفكار مصطفى محمود	١٥٦
الباب الرابع: تقييم أفكار مصطفى محمود الفكرية	١٦٧- ٢٢٥

الفصل الأول: تقييم أفكار مصطفى محمود المثيرة للجدل ١٦٩

الفصل الثاني: شائعات وانتقادات عامة على مصطفى محمود وأفكاره ١٩٧

الفصل الثالث: أفكار مصطفى محمود في آراء العلماء والمفكرين والنقاد ٢١٠

نتائج البحث ٢٢٦-٢٣٣

فهرس المصادر والمراجع ٢٣٤- ٢٣٩

قائمة المحتويات ٢٤٠-٢٤١

Mustafa Mahmud and his Thoughts: A Critical Study

(Mustafa Mahmud wa Afkaruhu: Dirasa Naqdiya)

Thesis submitted to Jawaharlal Nehru University in partial fulfillment of the requirements for the award of the degree of

Doctor of Philosophy

Submitted by

MERAJ AHMAD

Under the supervision of

PROF. RIZWANUR RAHMAN

Centre of Arabic and African Studies

School of Language, Literature and Culture Studies

Jawaharlal Nehru University, New Delhi–110067, India

2017